المبشرون بالنار

دروسٌ، وعظاتٌ وعِبَرٌ

تأليف

(أبو إسلام)

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن – عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمدَ لله نَحمدُهُ، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النار.

فهذا هو القسم الثالثُ من: (سلسلة البشارات النبوية) والذي سيكون بعنوان: (المبشرون بالنار -دروسٌ وعظاتٌ وعِبَرٌ) نتكلم فيه عن وصف النار، وحال أهل النار وعن المَبَشَّرين بالنار ويُخَلَّدون فيها، وعن المبشرين بالنار ولا يُخَلَّدُون فيها، والقصدُ من ذلك هو التخويفُ من النار، ومن عذابها. فاللهُ

عزوجل يقول: ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزُّمَر]، ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم].

سائلين المولى في علاه أن يباعدَ بيننا وبين النار كما باعد بين المشرق والمغرب.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكتبه

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

عمان-الأردن



أولاً: وصفُ النارِ وما فيها من العذابِ الأليم

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومِنْ سَيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هادِيَ لَهُ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعدُ: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

يقولُ الله عزَّ وجلَّ لرسولِهِ ﷺ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

ويقولُ سبحانه: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

ولذلك فنحنُ ما زلنا في صدَدِ الحديثِ عن سلسلةِ الخطبِ والمواعظِ التي

بعنوان: «**قصصُ القرآنِ الكريمِ**» والتي تتكونُ من أربعةِ أجزاءَ:

الجزءُ الأولُ: «**الفرقانُ من قَصصِ القرآن**» والذي تكلَّمنا فيه عن قَصصِ القرآنِ مِنْ غيرِ قَصصِ الأنبياء، كقصةِ قارونَ، وصاحبِ الجنتين، وسبأ ... وغيرهم. وخرجَ هذا الجزءُ كتاباً بعنوان: «**الفرقانُ مِنْ قَصص القرآن**».

الجزءُ الثاني: «**البيانُ مِنْ قَصصِ القرآن**»، والذي تكلمنا فيه عن قصصِ الأنبياءِ مِنْ غيرِ أولي العزمِ، كقصةِ آدم، وسليمانَ، ويوسفَ .. وغيرها وخرجَ هذا الجزءُ كتاباً بعنوان: «**البيان من قصصِ القرآن**».

الجزءُ الثالثُ: «**البرهانُ مِنْ قَصصِ القرآنِ**»، والذي تكلمنا فيه عن قَصصِ أولي العزمِ مِنَ الرسلِ: قصةُ نوح، وقصةُ إبراهيمَ، وقصةُ موسى، وقصةُ عيسى عليهمُ السلامُ.

وخرجَ هذا الجزءُ كتاباً بعنوان: «**البرهانُ مِنْ قصص القرآن**».

الجزءُ الرابعُ: «**اللؤلؤُ والمرجانُ مِنْ قصص القرآن**»، والذي سنتكلمُ فيه إن شاءَ اللهُ تعالى عن قصةِ نبيِّنا محمد ﷺ، وهذا الجزءُ سيكونُ على خمسِ مراحلَ:

المرحلةُ الأولى: «**اللؤلؤُ والمرجانُ من قصص القرآن (١)**»، والتي تكلمنا فيها عن ثمراتِ السيرة النبويةِ، وقد خرجَ كتاباً بعنوان: «**ثمراتُ السيرةِ النبوية**».

المرحلةُ الثانيةُ: «**اللؤلؤُ والمرجانُ من قصص القرآن (٢)**»، وهذه المرحلةُ ستكونُ على ثلاثةِ أقسام:

القسمُ الأولُ: البشاراتُ النبويةُ العامةُ وقد خرجَ كتاباً بعنوان: «**البشاراتُ النبويةُ دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**».

القسمُ الثاني: المبشرونَ بالجنةِ رجالاً ونساءً، وقد خرجَ كتاباً بعنوان: «**المبشرونَ بالجنةِ رجالاً ونساءً**».

القسمُ الثالثُ: المبشرون بالنارِ رجالاً ونساءً، وهذا القسمُ هو الذي سنبدأُ الحديثَ عنه ابتداءً مِنْ خُطبةِ اليومِ سائلين المولى في علاه التوفيقَ والسدادَ.

عبادَ الله! أرسلَ اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودين الحقِّ بشيراً ونذيراً، فبلَّغَ الرسالةَ وأدى الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ وكشفَ الغمةَ، وجاهدَ في سبيلِ دينه حتى أتاهُ اليقين، وتركَ أمتهُ على البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ، وبشرَّ المؤمنينَ بالجنةِ والنعيمِ المقيمِ استجابةً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

وبشرَّ ﷺ العصاةَ والمنافقينَ والمجرمينَ بالنارِ والعذابِ الأليمِ استجابةً لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة:٣].

ولقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

• والمبشَّرون بالنارِ منهم مَنْ يُخَلَّدُ فيها ولا يخرجُ منها أبداً، ومنهم مَنْ إذا دخلها لا يُخلدُ فيها.

• أما الذين يخلدونَ فيها ولا يخرجونَ منها أبداً فهم على سبيل المثال:

أولاً: الكفارُ الذينَ كفروا باللهِ وملائكتِهِ وكتبهِ ورسلِه واليومِ الآخرِ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الصافات].

وهل أُعِدَّتِ النارُ إلا للكافرين.

قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة].

ثانياً: المشركونَ الذين جعلوا مع اللهِ إلهاً آخر

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة].

ثالثاً: المنافقون الذين يُبطنون الكفرَ ويُظهرونَ الإسلامَ، ويتربصونَ بالمسلمينَ الدوائرَ.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء].

رابعاً: المرتدونَ عن الإسلامِ بعدَ إسلامهم وماتوا كفاراً على غيرِ ملةِ الإسلامِ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وأما الذين لا يُخَلَّدونَ في النارِ فهمُ العُصاةُ مِنَ الموحِّدين الذين ماتوا على التوحيدِ ومعهم من الكبائرِ ما معهم، فهم في مشيئةِ اللهِ، إن شاءَ عَذَّبَهم في النارِ،

وإنْ شاءَ عفا عنهم، وإن عذبَهم في النارِ لا يُخلدونَ فيها، ولكن نقولُ للعصاةِ من المسلمين: اعلموا أن غمسةً واحدةً في النارِ تُنسي نعيمَ الدنيا.

يقولُ ﷺ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً**» -أي: يُغمَسُ غمسةً- «**ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ واللهِ يَا رَبِّ...**»[1]. الحديث.

كيف لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر].

عباد الله! وقبلَ أن نتكلمَ عن المُبشَّرينَ بالنارِ ممن يُخلدُ فيها، وممن لا يُخلدُ فيها سنتكلمُ:

أولاً: عن وصفِ النارِ وما أعدَّ اللهُ فيها للعصاةِ من العذابِ الأليمِ.

ثانياً: عن أحوالِ أهلِ النارِ في أرض المحشر وعلى الصراطِ وفي النار.

وصفُ النارِ

النارُ دارُ البَوارِ، حرُّها شديدٌ، وقعرُها بعيدٌ، وعذابُها أليمٌ.

قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الليل].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٠٧).

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك:٦-٨].

وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة].

وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» قَالُوا: وَمَا رَأَيتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ**»[1].

وقال ﷺ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**»، قَالُوا: والله! إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**»[2].

وقال ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلاَ مِثْلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم(٤٢٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٤٣).

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٠١)، والبزار (٩٧١٩)، والبيهقي في «الشعب» (٣٨٤) عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط» (١٦٣٨) عن أنس، [«صحيح الترغيب» (٣٦٦٢)].

وقال ﷺ: «**أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ**»[(١)].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا ، فَسَمِعْنَا وَجْبَةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « **هَذَا حَجَرٌ أُرْسِلَ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَالآنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**»[(٢)].

والوجْبة: هي صوتُ سقوطِ الحجرِ من مكانٍ عالٍ.

ولذلك كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿**رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾**﴾ [البقرة][(٣)].

• النارُ خَلقَها اللهُ لتعذيبِ العصاة والمجرمين، وقال لها: «**أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ**»[(٤)].

فالنارُ عذابُها أليمٌ، وحرُّها شديدٌ، وقعرُها بعيدٌ.

• طعامُ أهلِها الزقومُ والضريعُ والغسلينُ والنارُ -نسأل الله العافيةِ-.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾**﴾ [الدخان].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٧٢)، والدارمي (٢٨١٢)، والبزار (٣٢١٤)، والحاكم (١٠٥٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٦٥٩)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم(٢٨٤٤) .

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠) .

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) .

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧)﴾ [الغاشية].

والضريعُ نوعٌ من الشوكِ لا تأكلُه الدوابُّ لخباثته.

وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦)﴾ [الحاقة].

قال ابنُ عباسٍ: الغِسلينُ: الدمُ والماءُ والصديدُ الذي يسيلُ من لحومِهم.

وقال تعالى: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [البقرة:١٧٤].

• **وشرابُهُم الحميمُ والصديدُ**

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)﴾ [محمد:١٥].

والحميم هو الماءُ الحارُّ المغليُّ بنارِ جهنم يذابُ بهذا الحميم ما في بطونهم، وتسيلُ به أمعاؤُهم، وتتناثر جلودُهم. كما قال تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢)﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ۝١٧﴾ [إبراهيم].

- **ولباسُهُمُ النارُ والقَطِرانُ**

قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩﴾ [الحج].

وعن سُمرَةَ بنِ جندبٍ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ**[1] **وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ**[2]»[3].

وقال ﷺ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلاَنِ وَشِرَاكَانِ**[4] **مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ**[5] **مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا**»[6].

---

(١) (حجزته) هي مَعْقِدُ الإزار والسراويل.

(٢) (ترقوته) هي العظم الذي بين النحر والعاتق.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٤٥).

(٤) (شراكان) الشراك أحد سيور النعل، وهو الذي يكون على وجهها وعلى ظهر القدم..

(٥) (المرجل) هو القِدْرُ سواءٌ كانَ من حديد أو نحاسٍ أو حجارةٍ..

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣) واللفظ له.

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم:٥٠].

وقال ﷺ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»[1].

- **وفراشهم وغطاؤُهمُ النارُ**

قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١]. أي: فرشٌ من النار، ويلتحفون بألحفةٍ من النار.

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر].

فهل تقدرُ أيها العاصي، أيها المجرمُ على هذا العذاب؟!

* **عبادَ الله!** النارُ عذابُها أليم، وحرُّها شديدٌ، وقعرُها بعيد، طعامُ أهلِها الزقومُ والضريعُ، وشرابُهم الحميمُ والصديدُ، ولباسُهم النارُ والقَطِرانُ، وفراشُهم وغطاؤهمُ النارُ ومع كلِّ ذلك يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ عن أهلِ النارِ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٣٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦].

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم].

كُلُّ ذلك يُخَوِّفُ اللهُ عبادَهُ من النارِ ليفِرُّوا إليه منَ الكفر إلى الإيمانِ، ومن الشركِ إلى التوحيد، ومنَ البدعةِ إلى السنةِ، ومن المعاصي إلى الطاعاتِ قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ [الليل]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ

شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

ولذلك لما أنزلَ اللهُ على رسولِهِ ﷺ قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء].

دعا رسولُ الله ﷺ قريشاً فاجتمَعُوا، فعَمَّ وخَصَّ. فقال: « **يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ! أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ**[١] **مِنَ اللهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا**[٢]»[٣].

هذا وصفُ النارِ التي أعدَّها اللهُ للعصاةِ والمجرمين يوم القيامة، أجارَنا اللهُ وإيّاكم منها.

أما حالُ أهلِ النارِ في أرضِ المحشرِ وعلى الميزان وعلى الصراطِ وفي النارِ، فهذا الذي سنعرفهُ في الجمعة القادمة إن شاءَ الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) (فإني لا أملك لكم) : معناهُ لا تتكلوا على قرابتي، فإني لا أقدر على دفع مكروه يريدهُ الله تعالى بكم.

(٢) (سأبلها ببلالها) سأصلها.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٤) .

٢

ثانياً: حالُ المجرمينَ أهلِ النار يومَ القيامة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ].

تكلمنا في الجمعةِ الماضيةِ عن وصفِ النارِ وقلنا: إنَّ جهنمَ حَرُّها شديدٌ، وقعرُها بعيدٌ، وعذابُها أليمٌ، طعامُ أهلِها الزقومُ والضريعُ، وشرابُهُمُ الحميمُ والصديدُ، ولباسُهُمُ النارُ والقِطرانُ ومع كل ذلك.

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج]، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].

- **النارُ يا عبادَ الله! هي دارُ البوارِ وبئسَ القرارُ.**

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم].

• **النارُ هي دارُ الخزي والخسران**

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٣﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥﴾ [الشورى].

• **النارُ هي دارُ العذابِ الأكبرِ**

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [القلم].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ [السجدة].

كيف لا؟ واللهُ عز وجلّ يقولُ عن عذابِ النارِ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة]. ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩﴾ [المدثر].

ويقولُ سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء]، ويقول سبحانه لأهل النار: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ].

- **النارُ أعدَّها اللهُ للمجرمين**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه].

ويقول القائل:

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرضِ عُريانا ... مُسْتَوحشاً قلقَ الأحشاءِ حيرانا

والنارُ تلهَبُ من غيظٍ ومن حَنَقٍ ... على العُصاةِ وربُّ العرشِ غضبانا

اقرأ كتابَك يا عبدي على مَهَلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا

لما قرأتَ ولم تنكرْ قراءتَه ... إقرارَ من عرفَ الأشياءَ عِرفانا

نادى الجليلُ خذوهُ يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنارِ عطشانا

المجرمونَ غداً في النارِ يلتهبوا ... والمؤمنونَ في دارِ الخلدِ سكانا

* إذا تبينَ لنا أنَّ النارَ أعدَّها اللهُ للمجرمينَ، فتعالَوا بنا لنتعرفَ على أحوالِ المجرمينَ أهل النارِ يومَ القيامة منذُ أنْ يُنفَخَ في الصورِ إلى أن يدخلوا النارَ، ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة، والعاقلُ منِ اتعظ بغيره، والشقيُّ من شقي في بطن أمه.

أولاً: حالُ المجرمينَ يومَ القيامةِ إذا نُفخَ في الصورِ

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104)﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55)﴾ [الروم].

ثانياً: حالُ المجرمينَ إذا وقفوا عندَ ربِّهم للحساب والجزاء

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (14)﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

ثالثاً: حالُ المجرمين أهلِ النار يومَ القيامة إذا جيء بجهنم

إذا خرجَ الناسُ من قبورهم يومَ القيامة حفاةً عراةً غُرلاً حُشِروا في مكانٍ واحدٍ ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف].

الشمسُ فوق رؤوسِهم، والعرقُ يُلْجِمُهُمْ إلجاماً، أجسادُهم عاريةٌ، أبصارُهم خاشعةٌ، أقدامُهم حافيةٌ، في هذا الوقتِ يُؤتى بجهنم.

قال تعالى: ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر]. وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء].

وقال ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ، لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٤٢).

وإذا جيءَ بجهنمَ ورأتْ أهلَها من بعيدٍ سمعوا لها تغيظاً وزفيراً قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢)﴾ [الفرقان].

ولما رأى المجرمونَ النارَ علموا وأيقنوا أنَّ النارَ ما جاءت إلا لهم قال تعالى: ﴿وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)﴾ [الكهف].

وإذا جيءَ بجهنمَ ورآها المجرمونَ قيل لهم توبيخاً وتقريعاً:

* ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)﴾ [الطور].

* ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤)﴾ [يس].

ثم يؤخذُ بالمجرمين من أقدامِهم ونواصيهم ويُقذَفُ بهم في النار قال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)﴾ [الرحمن].

ويقولُ ﷺ: «يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ؛ يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ؛ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَـهًا آخَرَ، وَبِالْـمُصَوِّرِينَ»(1).

عندها يتمنى المجرمُ لو يفتدي من عذابِ جهنمَ بأغلى ما يملكُ بلْ بكلِّ ما يملكُ، ولكنْ هيهاتَ هيهات.

قال تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [المعارج].

يقالُ للمجرمين عند ذلك: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد].

فإذا وقفَ المجرمونَ على أبواب جهنمَ قال لهم خزنتُها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر].

وقالوا لهم أيضاً توبيخاً وتقريعاً: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك].

---

(1) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥٧٤)، وأحمد (٢/ ٣٣٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٥١٢)].

وندمَ المجرمونَ على تكذيبهم هذا عندما وقفوا على أبوابِ جهنم قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام].

وعندها يصدرُ الأمرُ من ربِّ العالمينَ في هؤلاءِ المجرمين: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ [ق].

رابعاً: حالُ المجرمينَ أهلِ النارِ في النارِ

المجرمون يُحشرونَ يومَ القيامة على وجوهِهم عُمْياً وبُكماً وصُماً، يُساقون إلى جهنمَ عطاشاً. قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم]. (ورداً) -أي: عطاشاً-.

- أتدرونَ كيفَ يدخلُ المجرمون النارَ؟

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور].

-أي: يُدفعون ويُلْقَوْنَ من الخلفِ دفعاً قوياً-.

يقول ﷺ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ! مَا**

لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْـمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»(1).

• أتدرونَ يا عبادَ الله! ماذا يُقالُ لهم توبيخاً وتقريعاً إذا دخلوها؟ قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات].

وقال تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور].

• فإذا دخلَ المجرمونَ النارَ ووجدوا فيها منَ العذابِ ما لا يخطرُ لهم على بال.

١- لعنَ بعضُهم بعضاً. قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨].

٢- يدعون بالويلِ والثبور. قال تعالى ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

٣- الصراخُ والعويلُ. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧].

أتدرونَ ماذا يريدُ المجرمونَ أهلُ النارِ؟

١- يريدونَ أن يَخرجوا من النارِ ليعملوا صالحاً. قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر:٣٧].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون].

٢- يريدون أن يُخَفَّفَ عنهم العذابُ أو يُقضى عليهم. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧].

أتدرونَ يا عبادَ اللهِ! ماذا كان الجوابُ على طلبهم؟

قال تعالى: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر].

٣- يريدونَ من أهلِ الجنةِ ماءً أو طعاماً.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ [الأعراف].

عبادَ الله! أتدرونَ مَنِ الذينَ اتخذوا دينهم لهواً ولعباً؟ إنهمُ المبشَّرون بالنارِ الذين سنعرفُهمْ ونتحدثُ عنهم ابتداءً من الجمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إنْ كانَ في العمرِ بقيةٌ.

اللهمَّ اعتق رقابَنا ورقابَ آبائِنَا وأُمهاتِنا من النارِ



القسم الأول: المبشرون بالنار: رجالاً ونساءً الذين ليسَ لهم توبةٌ

تبشيرهُ ﷺ للكفار الذين ماتوا على الكفر بالنارِ والعذاب المقيم

عبادَ الله! تكلمنا في الجُمعتينِ الماضيتينِ عن وصفِ النارِ وحالِ المجرمينَ أهلِ النارِ يومَ القيامةِ وتبينَ لنا:

أنّ النارَ حرُّها شديدٌ، وقعرُها بعيدٌ، وعذابُها أليمٌ، طعامُ أهلها الزقومُ والضريعُ، وشرابُهم الحميمُ والصديدُ، ولباسُهُم النارُ والقَطرانُ ومعَ كُلِّ ذلك.

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦].

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].

• وموعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: «**اللؤلؤُ والمرجانُ من قصصِ القرآنِ دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**» والتي نتكلمُ فيها عن قصة نبيِّنا وحبيبنا محمدٍ ﷺ أتدرونَ ما هيَ يا عبادَ الله؟ إنها: **بشاراتُ النبيِّ ﷺ لأهلِ النار التي سنتعرَّفُ عليها من دراستِنا للسيرةِ النبويَّة العطِرَة.**

• والمَبَشَّرونَ بالنارِ في الكتابِ والسنة قسمان:

القسمُ الأولُ: المبشرونَ بالنارِ رجالاً ونساءً وليس لهم توبةٌ، وهؤلاءِ إذا دخلوا النار لا يخرجونَ منها أبداً.

القسمُ الثاني: المبشرون بالنارِ رجالاً ونساءً بأعمالهم ما لم يتداركوها بتوبةٍ، وإذا دخلوا النار لا يخلدون فيها.

أما القسمُ الأولُ وهمُ المبشَّرونَ بالنارِ رجالاً ونساءً وليس لهم توبةٌ، وإذادخلوا النارَ لا يخرجونَ منها أبداً.

فأولُهم: الكفارُ الذينَ كفروا باللهِ ورسلِه وماتوا وهم كافرون

قال تعالى مبشراً لهم في كتابه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [آل عمران].

وهل أُعدَّتِ النارُ إلا للكافرين؟

قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة].

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ق]..

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ (٢٧) مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (٣٧)﴾ [الحاقة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ (٦٦) وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ (٦٧) رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)﴾ [فاطر].

وقال ﷺ: «**يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ؛ يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ**»[1].

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥٧٤)، وأحمد (٢/ ٣٣٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٥١٢)].

* أتدرونَ يا عبادَ الله! لماذا أعدَّ اللهُ النارَ للكافرين وبَشَّرهم بها في كتابه، وبَشَّرهم بها رسولُ الله ﷺ في سنته؟

أولاً: لأنهم كفروا بالله ورسله وصدوا عن سبيله

قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) ﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) ﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) ﴾ [النساء].

ثانياً: لأنهم كفروا بكتاب الله واستهزأوا به وسَخِروا منه

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [سبأ: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة].

ثالثاً: لأنهم كفروا برسولِ اللهِ واستهزأوا به، وهَمُّوا أن يقتلوهُ، وأخرجوهُ من بلده

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ

يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

ولا يزالُ الكفارُ إلى يومِنا هذا يستهزءون ويسخرون من الإسلام ورسولِ الإسلام والمسلمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات].

ويقول الله عزَّ وجلّ لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات].

ويقول له أيضاً: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس].

ويقول له أيضاً: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ

أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر].

ويقول له أيضاً: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام].

ويقول له أيضاً: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم].

ويقول له أيضاً: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران].

رابعاً: لأنهم ينفقون أموالهم بالليلِ والنهارِ ليصدوا عن سبيلِ اللهِ ويبغونها عوجاً

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة:٢١٧].

خامساً: لأنهم لا يحبون الإسلام ولا المسلمين

قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

فالكفارُ مجرمون أُعدَّتِ النارُ لهم وبُشِّروا بها لأنَّ النارَ أولى بهم وها همْ يعترفونَ بذنوبِهم، ويعترفون أنَّ النارَ أولى بهم من غيرها وأنَّ اللهَ لم يَظْلِمْهمْ ولكنهم كانوا همُ الظالمين.

- فها همْ يعترفونَ بكفرهم عندَ الموتِ

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف].

- وها همْ يعترفونَ بكفرهم في أرضِ المحشرِ، ويتَمَنَّوْنَ لو كانوا مسلمين، بل يتمنى الكافرُ يومَ القيامةِ إذا رأى العذابَ أنْ لو كانَ في الدنيا حيواناً ليصيرَ تراباً كما صارت إليه الحيواناتُ.

قال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ۝٤٠﴾ [النبأ].

• وها هم الكفار يعترفون بكفرهم وهم في النارِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك].

فالكفارُ الذين كفروا باللهِ وملائكته وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ وماتوا وهمْ كافرون بَشَّرَهُمُ اللهُ بالنارِ في الدنيا، ويُدْخلُهُمُ النارَ يومَ القيامةِ، ولا يظلمُ ربُّكَ أحداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر].

ونقول لهم كما قال ربُّ العزة: ﴿مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! إذا عرفنا وأيقنا من كتاب ربِّنا وسنةِ نبيِّنا أنَّ الكفارَ لا يحبوننا، ويعملون ليلَ نهارَ ليصدونا عن ديننا فما هو الواجبُ علينا نحوَ هؤلاءِ الكفار؟

أولاً: أن نتبرأَ منهم ومن دينهم وعقيدتهم الفاسدةِ

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

ثانياً: أن لا نتخذَهُمْ أولياءَ

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة].

ثالثاً: أن لا نتخذ منهم بطانة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨].

رابعاً: أن لا نطيع الكفار أبداً

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩)﴾ [آل عمران].

خامساً: أن لا نتشبه بهم

قال ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[(١)].

سادساً: أن لا نقيم بينهم وفي بلادهم إلا للحاجة والضرورة

قال ﷺ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْـمُشْرِكِينَ»[(٢)].

اللهمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمِنَ حالِ أهلِ النَّارِ

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٠٣١) عن ابن عمر، والبزار (٢٩٦٦) والطبراني في«الأوسط» (٨٣٢٧) كلاهما عن حذيفة [«صحيح الجامع» (٦١٤٩)].

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٢٦٥)، [«صحيح الجامع» (١٤٦١)].

٤

تبشيرهُ ﷺ لأعداء الرسل بالنار والعذاب الأليم

عبادَ الله! يقول الله عزَّ وجلّ في كتابه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم].

ويقول سبحانه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ

كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

• موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: «**اللؤلؤُ والمرجانُ من قصصِ القرآنِ: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**» والتي نتكلمُ فيها عن قصة نبيِّنا وحبيبنا محمدٍ ﷺ أتدرونَ ما هيَ يا عبادَ الله؟ إنها: **بشاراتُ النبيِّ ﷺ لأهلِ النار التي سنتعرَّفُ عليها من دراستِنا للسيرةِ النبويَّة العطِرَة** أ لا وهي: **تبشيرهُ ﷺ لأعداءِ الرسلِ بالنارِ والعذابِ المقيم.**

• أعداءُ الرسلِ الذين كفروا برسلِ الله، ويريدون أن يؤمنوا ببعضٍ ويكفروا ببعض:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

• أعداءُ الرسل الذين يستهزءون ويسخرون برسل الله

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الرعد].

• أعداءُ الرسل الذين يقتلون الأنبياء بغير حق

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [آل عمران].

وهذا العذابُ الأليم يكونُ في الدنيا والآخرة

أولاً : عذابُ أعداءِ الرسلِ في الدنيا

ومن الأمثلة على ذلك:

• هذا نوحٌ عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً إلى عبادة الله وحدَه، وحذرهم من الشرك، فسخروا منه، ورمَوْه بالضلالةِ، فدافع نوح عليه السلام عن نفسه.

قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ

﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢)﴾ [الأعراف].

- فكيف انتقم الله تعالى من الظلمة -قوم نوح- الذين سخروا من رسولهم، ورمَوْه بالضلالة؟

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦)﴾ [القمر].

فكيف كان عذاب الله لِمن كذَّب واستهزأ برسوله؟

كان أليماً شديداً، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ [هود].

- وهذا موسى عليه السلام أرسلهُ اللهُ إلى فرعَوْنَ وقومِه، قال تعالى لموسى عليه السلام:

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧)﴾ [النازعات].

فسخرَ فرعون من موسى عليه السلام واتهمه بالجنون.

قال تعالى على لسان فرعَوْن: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧)﴾ [الشعراء].

وقال تعالى على لسان فرعون أيضاً: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١﴾ [الإسراء].

فدافع موسى عليه السلام عن نفسه. فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢﴾ [الإسراء].

فكيف انتقمَ اللهُ من الظالمِ فرعونَ -الذي كذَّبَ موسى- عليه السلام وسخر منهُ واستهزأ به.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾ [يونس].

• وهذا رسولُنا محمدٌ ﷺ خاتَمُ الأنبياء والمرسلينَ، أرسلَه اللهُ بالهدى ودين الحق؛ رحمةً للعالمين.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

وكان ﷺ يُعْرَفُ في مكةَ قبل البعثةِ بالصادقِ الأمين، فلما بعثه الله عزَّ وجلَّ وأخذ يدعو قومه إلى عبادَة الله وحدَه ويحذرهم من الشركِ، اتهموه بالكذبِ، والسحرِ والكهانةِ، والشعرِ والجنون.

وكان الرسُل قبل رسولنا ﷺ يُتّهمون بمثلِ هذه التهمِ الباطلةِ، فيُدافعون همْ عن أنفسهم، ولكنَّ رسولنا محمداً ﷺ أحَبَّ الخلقِ إلى اللهِ، تولَّى اللهُ سبحانه الدفاعَ عنه.

• فلمَّا اتهموه بالشعرِ والكهانةِ. قال اللهُ تعالى مدافعاً عنه: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢﴾ [الحاقة].

• ولما اتهموه بالجنون. قال تعالى مدافعاً عنه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢﴾ [التكوير].

• ولما اتهموه في خلقه ﷺ فقالوا: ساحر، كذابٌ قال تعالى مدافعاً عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم].

• ويقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنه لما نزلت: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء]. صعِدَ النبيُّ ﷺ على الصفا، فجعلَ ينادي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ**» لِبُطُونِ

قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ؟ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ ﷺ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟**». قَالُوا: نَعَمْ! مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا. قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ! أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فدافع الله -سبحانه- عن رسوله ﷺ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد][1].

• وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها، قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾؛ أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ وَلَهَا وَلْوَلَةٌ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ -أي:حجرٌ- وَهِيَ تَقُولُ : مُذَمَّمًا أَبَيْنَا، وَدِينَهُ قَلَيْنَا -أي تركنا- وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**» وَقَرَأَ قُرْآنًا، فَاعْتَصَمَ بِهِ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ [الإسراء].

فَوَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ ! إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي. فَقَالَ: لاَ وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ! مَا هَجَاكِ! فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ : قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٥٣)، والحاكم (٣٣٧٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٩٥)، [«صحيح السيرة النبوية» ص ١٣٧].

وقال ﷺ: «**أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟!**» قالوا: كيف يا رسولَ الله؟ قال: «**يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ**»[1].

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ - أي يسجد على الأرض وَيُلصِقُ وَجْهَه بالتراب- فَقِيلَ: نَعَمْ! فَقَالَ: وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى! لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ! أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي -زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ- قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ -أي بَغَتَهُمْ- إِلاَّ وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقِبَيْهِ -أي يرجعُ إلى الوراءِ- وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لاَخْتَطَفَتْهُ الْـمَلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**». قال: فأنزل اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ [العلق][2].

• يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٣٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٩٧).

وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلاَ -أي ما يكون في بطن البعير- جَزُورِ بَنِي فُلاَنٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِى كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ -وهو عُقبَةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ- فَأَخَذَهُ. فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا -فتكلفوا الضحكَ والسخريةَ- وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ. لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ -أي لو كانت لي قوةٌ أو عشيرةٌ بمكة تمنعُني- طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ الله ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ، مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ -أي صغيرةُ السنِ- فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلاَتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلاَثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاَثًا، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ!**». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحِكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِى جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ! وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**» وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ! لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ؛ قَلِيبِ بَدْرٍ[1].

وبعد أنْ نصرَ اللهُ رسولَهُ يوم بدْرٍ، وأذلَّ أئمةَ الكفرِ وقفَ رسولُ الله ﷺ على البئر الذي وُضِعوا فيهِ فجعلَ ينادي بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقدْ جُيِّفُوا: «**يا أبا**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٩٤).

جهلِ بن هشامٍ! ويا عُتبةَ بن ربيعةَ! أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟»[1].

أعرفتُمْ كيفَ ينتقمُ اللهُ لرسولِه ﷺ مِمَّنْ آذاه وسخرَ منه واستهزأ به؟

• وفي الهجرةِ المباركةِ، عندما أحاطَ المشركونَ بالغار يبحثون عن رسولِ الله ﷺ حياً أو ميتاً، ورسولُ الله ﷺ وصاحِبُه في الغار.

يقولُ أبو بكرٍ رضي الله عنه قلتُ للنبيِّ ﷺ وأنا في الغارِ: لو أنَّ أحدَهمَ نظرَ تحتَ قَدَمَيْهِ لأبصَرَنا. فقال ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ، اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»[2].

وفي رواية: قال ﷺ له: «**لاَ تَحْزَنْ! إِنَّ اللهَ مَعَنَا**»[3].

اللهُ أكبر! اللهُ أكبر! ومن كان اللهُ معه، فمَعَهُ القوةُ التي لا تُقْهَرُ.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٤) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) واللفظ للبخاري.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٥٢)، ومسلم (٢٠٠٩).

• هكذا ينصرُ اللهُ رُسُلَهُ عامةً وحبيبَهُ محمداً خاصةً، وينتقمُ من أعداءِ الرسلِ في الدنيا كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت].

فاعملوا يا أعداءَ الرسلِ ما شئتم، وقولوا يا أعداءَ الرسلِ ما شئتم، واسخروا يا أعداءَ الرسُلِ منْ رسولِنا ﷺ ما شئتم إنَّ الله بما تعملون بصير ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! يأمرُ اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ أن يبشرَ أعداءَ الرسلِ بالعذابِ الأليمِ فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الانشقاق].

وقلنا: إنَّ العذابَ الأليمَ لأعداءِ الرسلِ يكونُ في الدنيا وفي الآخرة، وقد تكلمنا عن العذابِ الأليمِ الذي يُنْزِلُهُ اللهُ بأعداءِ الرسلِ في الدنيا، أما عذاب الآخرة فهو:

ثانياً: عذابُ اللهِ الذي أعدَّهُ لأعداءِ الرسلِ في الآخرة

عذابُ الله في الآخرة شديدٌ. قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ١٢٧﴾ [طه].

عذابُ الآخرة أكبرُ. قال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٢٦﴾ [الزمر].

عذابُ الآخرة أخزى. قال تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ [فصلت].

ومن هذا العذاب: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ٢٩﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ٥٧﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ٦٨﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟

فَادْعُوا۟ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

والنذيرُ هو الرسولُ، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

والنذيرُ الذي لا نذيرَ بعدَه، والنبيُّ الذي لا نبيَّ بعده، والرسولُ الذي لا رسولَ بعدَه هو حبيبُنا، هو إمامُنا، هو رسولُ الله ﷺ الذي قال: «**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَلاَ رَسُولَ بَعْدِي وَلاَ نَبِيَّ**»(١).

وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ: يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٢).

فنقول للذين يسيئون لرسولنا ﷺ أبشروا بعذابِ الدنيا والآخرة إن لم تتوبوا إلى الله.

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٢٧٢)، وأحمد (٣/ ٢٦٧)، والحاكم (٨١٧٨)، [«الإرواء» (٢٤٧٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٣).

٥

تبشيرُهُ ﷺ للمشركينَ بالنارِ والعذابِ المقيم

عباد الله! يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨﴾ [المعارج].

- موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: «**اللؤلؤُ والمرجانُ من قصصِ القرآنِ دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**» والتي نتكلمُ فيها عن قصةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ أتدرونَ ما هيَ يا عبادَ الله؟! إنها: **بشاراتُ النبيِّ ﷺ لأهلِ النارِ التي سنتعرَّفُ عليها من دراستِنا للسيرةِ النبويَّة العطِرَة** ألا وهي: **تبشيرُهُ ﷺ للمشركينَ بالنارِ والعذابِ المقيم**.

- الشركُ نوعان: شركٌ أكبرُ: وهو الذي يُخْرِجُ صاحبَهُ من ملةِ الإسلامِ، ويوجبُ لهُ الخلودَ في النارِ، ويُحَرِّمُ عليه الجنة، وذلك إنْ ماتَ على شركِه ولم يتُبْ.

ومنْ هذا الشركِ: صرفُ عبادةٍ من العباداتِ لغيرِ اللهِ؛ مثلُ: الدعاءِ، والنذرِ، والخوفِ، والذبحِ، والتوكلِ.

وشركٌ أصغرُ: وهو الذي لا يُخرجُ صاحبَهُ من الملةِ ولكن يُنْقِصُ توحيدَه.

ومن هذا الشركِ: الحلفُ بغيرِ الله، وتعليقُ التمائمِ، والرياءُ.

• وكلامُنا سيكونُ فقط عن النوعِ الأولِ وهو الشركُ الأكبرُ، فالمشركون شركاً أكبرَ يُبَشِّرُهُم اللهُ في كتابه، ورسولُ اللهِ ﷺ في سنتِه بما يلي:

أولاً: لا يغفرُ اللهُ لهم أبداً

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء].

ثانياً: أعمالُهم حابطةٌ فلا أجرَ لهم عندَ اللهِ عليها يوم القيامة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام:٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان].

ثالثاً: بالخلودِ في النارِ وبئسَ القرارُ

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة].

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح].

وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بالله شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»(1).

رابعاً: بالحرمان منَ الشفاعةِ عامةً ومن شفاعةِ النبيِّ ﷺ خاصةً يومَ القيامة

قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر].

وقال ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بالله شَيْئًا**»(2).

وقال ﷺ: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيْئًا**»(3).

---

(1) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).

(2) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩) واللفظ لمسلم.

(3) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٤١) واللفظ له، وابن ماجه (٤٣١٧)، وأحمد (٦/ ٢٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٧٢/ ١٣٣) وابن حبان (٢١١)، [«صحيح الجامع» (٥٦)].

• أتدرون لماذا أعدَّ اللهُ النارَ للمشركين وبَشَّرهم بها في الدنيا؟

أولاً: لأنهم اقترفوا أعظم الذنوبِ وأَقْبَحَها وأكبَرَها

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الذَّنْبِ أعظمُ عندَ الله؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»[1]. وفي رواية: أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! أيُّ الذنبِ أكبرُ عندَ الله؟ قال: «**أَنْ تَدْعُوَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»[2].

والله عزَّ وجلَّ يقول منكراً على المشركين: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف].

ثانياً: لأنهم اقترفوا أعظمَ ظُلمٍ على وجهِ الأرضِ.

فالشركُ الأكبرُ ظلمٌ عظيمٌ، قال تعالى على لسان لقمانَ وهو يحذِّرُ ولدَه منَ الشركِ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٣٢)، ومسلم (٨٦).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس].

ثالثاً: لأنَّ المشركينَ ارتكبوا أكبرَ الكبائرِ وأعظمَ الموبقات

قال ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ...»[1] الحديث.

وقال ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ....» الحديث[2].

رابعاً: لأنَّ المشركينَ سَوَّوْا آلهتَهُمُ التي كانوا يعبدونها من دون الله بربِّ العالمين

قال تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

يَعۡبُدُونَ ٦٣ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ٦٤﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٧٤ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٧٥﴾ [القصص].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يُوبِّخُ المشركينَ الذين يدعونَ غيرَ الله فيقول: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر].

وها هو إبراهيمُ عليه السلام يوبِّخُ قومه فيقولُ لهم: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ [الشعراء].

ويقولُ لهم أيضاً: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [الأنبياء].

• والله عزَّ وجلَّ يُسَفِّهُ المشركينَ الذين يعبدونَ غيرَهُ، ويبينُ لهم أنَّ هذه الآلهةَ المزعومةَ تنقلبُ أعداءً على عُبَّادِها يومَ القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف].

خامساً: لأنَّ المشركينَ كانوا يُؤذونَ اللهَ ورسولَه والذين آمنوا في الحياة الدنيا

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران].

فالمشركون وأهلُ الكتابِ من اليهود والنصارى قديماً وحديثاً يؤذون رسولَ الله ﷺ بألسنتهم. واللهُ عزَّ وجلَّ يقول متوعداً لهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ إلى أنْ قال ربُّ العزة: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة].

• الشركُ ذنبٌ عظيمٌ وجريمةٌ نكراءُ لا يغفرُها اللهُ للعبدِ إن مات مشركاً ويُخَلِّدُ صاحبَهُ في النار، ويَحْرِمُهُ الجنةَ، ولذلك جاءَ التحذيرُ منَ الشركِ في كتابِ الله، وفي سنةِ رسولِه ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج].

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أن: (لاَ تُشْرِكْ باللهِ شَيْئًا ، وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ)[١].

وقال ﷺ: «**كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى الله أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا**»[٢].

وقال ﷺ: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**»[٣].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (٤٠٣٤) بلفظ: «**وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ**»، والبخاري «الأدب المفرد» (١٨) بلفظ: «**وإن قطعت أو حرقت**»، [«صحيح الترغيب» (٥٦٧) بلفظ: «**وإن قطعت وإن حرقت**»].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٧٠)، وابن حبان (٥٩٨٠)، والطبراني في «الأوسط» (٩٢٢٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٥١١)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).

* أمة الإسلام!

التوحيدُ هو أعدَلُ العَدْلِ، والشركُ هو أظلَمُ الظلمِ، فبالتوحيد تسعدُ الأمةُ في الدنيا والآخرة، وبالشركِ تشقى الأمةُ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ -أي بشرك- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

ولذلك على الأمةِ الإسلاميةِ أن تبتعدَ عن كلِّ الأسبابِ التي تؤدي إلى الشركِ الأكبرِ ومنها:

أولاً: الغلوُّ في محبةِ الصالحينَ

وهذا ما حدَثَ معَ قوم نوح، يقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (كان بينَ آدمَ ونوحٍ عشرةُ قرونٍ، كلُّهم على الإسلامِ)[1].

ويقولُ ابنُ كثيرٍ رحمهُ اللهُ: (أولُ ما حدثَ الشركُ في الأرضِ في قوم نوحٍ عليه السلام حينَ غَلَوْا في الصالحين: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح]).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٥٧).

وعن ابن عباس ﵄ أنه قالَ في أصلِ هذه الأوثانِ: (**أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فيها أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ، عُبِدَتْ**)[1].

• وندركُ منْ هذا مدى حرصِ الشيطانِ -لعنهُ اللهُ- على إغواءِ بني آدم ومكرِهِ بهم، وأنه قد يأتيهم من ناحيةِ استغلالِ العواطفِ، ودعوى الترغيب في الخيرِ، فإنه لَمَّا رأى في قومِ نوحٍ وُلُوعَهم بالصالحين ومَحَبَّتَهم لهم، دعاهم إلى الغلوِّ في هذه المحبة، بحيث أمرَهم بِنَصْب الصورِ التذكارية لهم، وهدفُه من ذلك التدرجُ بهم في إخراجهم من الحقِّ إلى الضلالِ، ولم يَقْصُرْ نظرَه على الحاضرين بل امتدَّ إلى أَجْيالِهِمُ اللاحقةِ الذين قَلَّ فيهمُ العلمُ، وفشا فيهم الجهلُ، فزيَّنَ لهم عبادةَ هذه الصورِ، وأوقعهم في الشركِ الأكبرِ، وكابَروا نبيَّهم بقولهم: ﴿...لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ...﴾ [نوح:٢٣].

ولذلك جاءَ الإسلامُ فحرَّمَ الغُلُوَّ عامةً، والغلوَّ في محبةِ الصالحينَ خاصةً لأنه يُؤدي إلى الشركِ الأكبرِ.

ثانياً: الجهل

وهذا ما وقع مع قومِ موسى: ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٢٠).

تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف].

وهذا ما وقعَ فيه بعضُ المسلمينَ الذين كانوا حديثي عهد بالجاهلية وهم في طريقهم إلى حنين.

يقول الحارثُ بنُ مالكٍ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَنَحْنُ حَدِيثُوا عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ ، وَقَدْ كَانَتْ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَرَبِ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلَّ عَامٍ، فَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، ويُرِيحُونَ تَحْتَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا، فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ سِدْرَةً خَضْرَاءَ عَظِيمَةً، فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنبَاتِ الطَّرِيقِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كما لهم ذاتُ أنواطٍ قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ! قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف] لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[1].

وهذا ما وقعَ في كفارِ مكة عندما قالوا لرسول الله ﷺ: (نعبدُ إلهك يوماً وتعبدُ آلهتَنا يوماً آخرَ). فقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/٢١٨)، وابن أبي عاصم «السنة» (٧٦)، والطبراني في «الكبير» واللفظ له (٣٢٩٣)، [«المشكاة» (٣٠)].

أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر].

ثالثاً: التقليدُ الأعمى للآباء

وهذا ما وقع فيه قومُ إبراهيمَ عليه السلام عندما قالَ لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنبياء]. ولما قال لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء].

وهذا التقليدُ الأعمى للآباءِ هو الذي منعَ كثيراً من الأممِ من اتباعِ الرسلِ وأوقعهم في الشركِ الأكبرِ

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف].

٦

تبشيرُهُ ﷺ للمرتدين بالنارِ والعذابِ المقيم

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

متى يكونُ هذا العذابُ؟ يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ].

• موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: «**اللؤلؤُ والمرجانُ من قصصِ القرآنِ دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**» والتي نتكلمُ فيها عن قصة نبيِّنا وحبيبنا محمدٍ ﷺ أتدرونَ ما هيَ يا عبادَ الله؟ إنها: **بشاراتُ النبيِّ ﷺ لأهلِ النار التي سنتعرَّفُ عليها من دراستِنا للسيرةِ النبويَّة العطِرَة** ألا وهي: **تبشيرُهُ ﷺ للمرتدين بالنارِ والعذابِ المقيمِ**

* الرِّدَّةُ لغةً: «هي الرجوعُ في الطريقِ الذي جاءَ منه، ومنه قوله تعالى في حَقِّ موسى وفتاهُ: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف].

والرِّدَّةُ في الاصطلاحِ: «هي رجوعُ المسلمِ عن الإسلامِ إلى الكفرِ» -والعياذُ بالله-[1].

والمرتَدُّ: «هو الذي يكفُرُ بعدَ إسلامِهِ نُطْقاً أو اعتقاداً أو شكاً أو فعلاً ولو كانَ هازلاً»[2].

وقالوا: هو مَنْ ترك دينَ الإسلامِ إلى دينٍ آخر، وهو بالغٌ عاقلٌ مختارٌ غيرُ مكرهٍ[3].

أمةَ الإسلام!

- الإسلامُ هو الدينُ عندَ الله إلى أنْ يرثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].
- والإسلامُ دينٌ كاملٌ، ونعمةٌ تامةٌ قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].
- والإسلامُ هوَ الدينُ المقبولُ عندَ الله يومَ القيامة قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].
- والإسلامُ لا يُكْرِهُ أحداً على الدخولِ فيه، ولكنْ يُرَغِّبُ ويُحَذِّرُ. قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة].

(١) [«نضرة النعيم» (١٠/ ٤٥٣٢)].

(٢) [«نضرة النعيم» (١٠/ ٤٥٣٣)].

(٣) «منهاج المسلم» (ص٤٨٧).

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف].

• وأمرَ اللهُ المؤمنينَ -الذين آمنوا باطناً وظاهراً بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً- بالثباتِ على الدين فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

وأمرَهُمْ بالدعاءِ بالثباتِ على الدين فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى على لسانِ يوسفَ عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

وسألَتْ أمُّ سلمةَ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ عن كثرةِ دعائِه: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، فقال ﷺ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ! إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**»(١).

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥١٧)، وأحمد (٦/ ٣١٥)، والطيالسي (١٧١٣)، وأبو يعلى (٦٩٨٦)، والطبراني «الأوسط» (٩٤٣٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٠٩١)].

• ولما أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ المؤمنينَ بالثباتِ على الدين، نهاهم عن الرِّدَّةِ وحَذَّرَهُمْ منها، وأخبَرَهُمْ أنَّ الكفارَ يعملونَ بالليل والنهارِ ليَرُدُّوهم عن دينهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة].

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت].

• ولذلكَ نهى اللهُ تعالى عبادهُ المؤمنين عن طاعةِ الكافرين وحذَّرهم منَ الركون إليهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ (١٤٩) بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ (١٥٠)﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣)﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤].

• وبينَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى أنهُ غنيٌّ عن العالمين، فمن ارتدَّ عن دينه وكفر فلن يضرَّ إلا نفسَه، ولن يضرَّ اللهَ شيئاً وتوعده بالعذاب الأليم فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا (١٣٧) بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) ٱلَّذِينَ

يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ [النساء].

• ونهى اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ ﷺ عن الحزنِ على المرتدِّين فقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [آل عمران].

• وبينَ سبحانَه أنهُ لا يرتدُّ عن دينِه إلا الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمنْ قلوبُهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة].

فانظروا عبادَ الله! كيف عاقبَ اللهُ المرتدين في الدنيا، فقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾.

ومن الأمثلة على هذا الخزي:

١- يقول أنسٌ رضي الله عنه: (كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ الله ﷺ فَانْطَلَقَ هَارِبًا حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَرَفَعُوهُ[1]، قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ فَأُعْجِبُوا بِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ الله

(١) (فرفعوه) أي: اهتموا واعتنوا به. (فوارَوْهُ) : أي: دفنوه.

عُنُقَهُ[1] فِيهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ[2]، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا[3]، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ، فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ، فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا فَتَرَكُوهُ مَنْبُوذًا)[4].

فهل بعدَ هذا الخزيِ من خزيٍ ... ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر].

٢- وعن أنسٍ أيضاً: (أنَّ ناساً مِن عُرَيْنَةَ قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ المدينة، فاجْتَوَوْها[5]. فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا**» فَفَعَلُوا فَصَحُّوا، ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرُّعَاةِ فَقَتَلُوهُمْ، وَارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلاَمِ، وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ الله ﷺ[6] فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ فِي أَثْرِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ[7]. وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ[8] حَتَّى مَاتُوا)[9].

فهل بعدَ هذا الخزيِ من خزيٍ ... فهل من معتبر؟؟

---

(١) (قصم الله عنقه) أي: أهلكه.

(٢) (فوارَوْهُ) : أي: دفنوه.

(٣) (نبذتهُ على وجهها) أي: طرحته على وجهها عبرة للناظرين.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٨١). (نبذتهُ على وجهها) أي: طرحته على وجهها عبرة للناظرين.

(٥) (فاجتووها) أي: استوخموها، أي لم توافقهم وكرهوها لهم أصابهم.

(٦) (وساقوا ذَوْدَ رسول الله ﷺ) أي: أخذوا إبله.

(٧) (سَملَ أعينهم) أي: فقأها.

(٨) (وتركهم في الحرة) هي أرض ذات حجارة سود بالمدينة.

(٩) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٧١).

• أمّا عذابُ المرتدينَ في الآخرة: فهُوَ أليمٌ، عظيمٌ، شديدٌ قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة].

وقدْ أخبرنا اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه أنَّ الذينَ ارتدوا على أدبارِهم همُ الذينَ آمنوا بأفواهِهم ولم يَدْخُلِ الإيمانُ قلوبَهم.

أما الذين آمنوا بأفواهِهم وخالَطَتْ بشاشةُ الإيمانِ قلوبَهم فلا يرتدون عن دينهم أبداً، وإن نُشِروا بالمناشيرِ وحُرِّقُوا بالنيران.

• فها همُ السحرةُ عندما دخلَ الإيمان في قلوبهم خروا سجداً لله عزَّ وجلَّ قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾ فقال لهم فرعونُ مهدداً: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝٧٣﴾ [طه].

• وفي حديث الغلامِ والراهبِ يقول ﷺ: «**فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْـمِنشَارِ فَوَضَعَ الـمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَوَضَعَ الْـمِنشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ**» إلى قوله ﷺ: «**فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ! آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ! آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ! فَأُتِيَ الْـمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ واللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهِ! اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْـحَقِّ**»[1].

• وها همْ أصحابُ النبيِّ ﷺ الذين ضربوا للأمةِ أروعَ الأمثلةِ في الثباتِ على الدين. فقد سألَ هرقلُ أبا سفيانَ -قبلَ إسلامه- عنْ أصحابِ رسولِ الله

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٠٥).

ﷺ فقال: (أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ)[1].

• فهذا بلالٌ رضي الله عنه؛ يقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلاَلٌ، وَالْمِقْدَادُ رضي الله عنهم.

فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْـمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلاَلاً، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ؛ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ!)[2].

• وهذا عمارٌ وأهلُه؛ يقولُ جابرٌ رضي الله عنه: إنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بعمارٍ وأَهْلِه وهمْ يُعَذَّبونَ، فقال: «**أبشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسرٍ! فإِنَّ مَوْعدَكُمُ الجَنَّةُ**»[3].

والأمثلةُ في ثباتِ الصحابةِ رضي الله عنهم على دينهم كثيرةٌ جداً، كيفَ لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ في وصفهم: ﴿**وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وابن حبان (٧٠٨٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ٢٠٩)، [«صحيح ابن ماجه» (١٥٠)].

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم (٥٦٦٦)، [«صحيح السيرة النبوية» الألباني (ص١٥٤)].

وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

• فالذين يرتدونَ عن دينِهم همُ الذين آمنوا بأفواهِهم ولم يَدْخُلِ الإيمانُ قلوبَهم، هم مَرْضى القلوبِ، همُ المنافقونَ الذين أظهروا الإسلامَ وأبطنوا الكفرَ، أما المؤمنونَ الصادقون الذين آمنوا بأفواهِهم، وخالَطَتْ بشاشةُ الإيمانِ قلوبَهم لا يرتدون أبداً عن دينهم.

فمتى يرتدُّ المسلمُ عن دينه؟ وما هو حكمُ المرتدِّ في الإسلامِ؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاءَ اللهُ تعالى- إنْ كانَ في العمر بقيةٌ.



متى يكونُ المسلمُ مرتداً عن دينه؟

عباد الله! يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون].

- في الجمعةِ الماضيةِ تكلمنا عن المرتدينَ عن دينهم وتبينَ لنا أنَّ الله عزَّ وجلَّ بَشَّرهم في كتابهِ بالنارِ والعذابِ المقيمِ فقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

وتبينَ لنا أيضاً أنَّ الذينَ ارتدوا عن دينهم هم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمنْ قلوبُهم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة:٤١].

وتبين لنا أيضاً في الجمعةِ الماضية أن الذين يرتدون عن دينهم لن يضروا إلا أنفسَهم، ولن يضروا الله شيئاً، وتوعدهم الله عزَّ وجلَّ بالخزي في الحياة الدنيا، وبالعذاب الأليم في الآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧﴾ [آل عمران].

وقال تعالى عن المرتدين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾ [المائدة].

* وأعلَمَ اللهُ المرتدينَ بأنهُ غنيٌّ عنهم، وقادرٌ على الإتيان بخيرٍ منهم فقال تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ [الزمر:٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ [محمد].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة].

فاللهُ عزَّ وجلَّ غنيٌّ عن المرتدين الذين كفروا بعدَ إسلامِهم، وقادرٌ سبحانه أن يأتيَ بقومٍ يحبهم ويحبونه، فكونوا يا عباد الله! من الردَّةِ على حذرٍ.

• **فمتى يكونُ المُسْلِمُ مُرتَدًّا كافراً؟**

الجواب: إنَّ المسلمَ لا يُعتبرُ خارجاً عن الإسلام، ولا يُحكَمُ عليه بالرِّدَّةِ إلا إذا انشرحَ صدْرُهُ بالكفرِ واطمأنَّ قلبُه به، ودخلَ فيه بالفعل. لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل:١٠٦].

ولقول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[1].

ولما كان ما في القلب غيباً مِنْ الغيوبِ التي لا يعلمُها إلا اللهُ، كان لا بُدَّ من صدور ما يدلُّ على كُفْرِهِ دلالةً قطعيةً لا تحتملُ التأويل.

ومنَ الأمثلةِ الدالةِ على الكفر:

١- **إنكارُ ما عُلِمَ من الدينِ بالضرورة؛** مثلُ إنكار وحدانيةِ الله، وخَلْقِه للعالَمِ، وإنكارِ وجودِ الملائكة، وإنكارِ نبوَّةِ محمد ﷺ، وأنَّ القرآنَ وحيٌ منَ اللهِ، وإنكارِ البعثِ والجزاءِ، وإنكارِ فرضيةِ الصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِّ.

٢- **استِبَاحةُ مُحَرَّمٍ أجمعَ المسلمون على تحريمِه؛** كاستباحةِ الخمرِ، والزنا والربا، وأكلِ الخنزير، واستحلالِ دماءِ المعصومينَ وأموالِهم، فمن قال: الخمرُ حلالٌ فقد كفرَ، وإن لمْ يَشْرَبْها، ومَنْ قال: الربا حلالٌ فقد كفرَ، وإنْ لم يأكلهُ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) واللفظ للبخاري.

٣- تحريمُ ما أجمعَ المسلمونَ على حِلِّهِ؛ كتحريمِ الطيباتِ، فمن قال: هذا حرامٌ لِمَا أجمعَ المسلمونَ على حِلِّهِ فقد كفرَ. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].

٤- سَبُّ النبيِّ ﷺ والاستهزاءُ به، وكذا سبُّ أيِّ نبيٍّ من الأنبياءِ.

٥- سَبُّ الدِّينِ؛ هذه الكلمةُ التي سَهُلَتْ على لسانِ الصغيرِ والكبيرِ لأتفهِ الأسبابِ.

٦- الطَّعنُ في الكتابِ والسنةِ وتركُ الحكمِ بهما، وتفضيلُ القوانينِ الوضعيةِ عليهما.

٧- ادِّعاءُ فردٍ من الأفرادِ بأنَّ الوحْيَ ينزلُ عليه.

٨- إلقاءُ المصحفِ في القاذوراتِ.

٩- الاستخفافُ باسمٍ من أسماءِ اللهِ، أو أمرٍ من أوامرِه، أو نهيٍ من نواهيه.

١٠- عبادةُ الأصنامِ والأوثانِ والطوافُ بالقبور والاستغاثة بأهلها ودعاؤُهم، وطلبُ المددِ والعونِ منهم، النذرُ لأصحابِ القبورِ، والذبحُ لهم أو لغيرهم من المخلوقاتِ.

١١- الاستهزاءُ بشيءٍ من الشريعة، كالاستهزاءِ بالمصلِّين الرَّاكعين الساجدين، والاستهزاءِ باللحيةِ والخمارِ، والاستهزاءِ بالأذانِ لقوله تعالى في حقِّ الكافرين: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة].

وقولِه في حقِّ المنافقين: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ

لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾ [التوبة].

١٢- **وصفُ الله تعالى بما لا يليقُ بجلالِه،** كوصْفِهِ بأنَّ له شريكاً أو ولداً أو صاحبةً، وكوصفِهِ بالبخلِ، كما وصفَتْهُ اليهودُ -لعنهُم الله- كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المائدة:٦٤].

وكقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]. وكقول النصارى: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨)﴾ [مريم].

- فمن فعلَ مِنْ هذه المكفرات شيئاً عالماً، عامداً، مختاراً، وشَهِدَ عليه شاهدا عدلٍ، فإنَّ الحاكمَ يستتيبُهُ -بواسطةِ العلماءِ- فإنْ تابَ وإلا قُتِلَ ردَّةً لقولِه ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[1].

ولقوله ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنِّي رَسُولُ الله إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِ**[2]**، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْـمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»[3].

- ومن الأدلة على قتلِ المرتدِّ بعدَ إقامةِ الحجةِ عليه:

١- عن عكرمَة قال: أُتِيَ عليٌّ رضي الله عنه بزنادِقةٍ -ارتدوا وألحدوا بعدَ إسلامهم- فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ لِنَهْيِ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠١٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠١٧).

(٣) وفي لفظ ا لبخاري: «**الزاني**» بإثبات الياء.

رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ**»[1] وَلَقَتَلْتُهُم لِقولِ رسولِ الله ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[2].

٢- وفي قصة تَوْلِيَةِ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه وفيها: (**ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَلْقَى لَهُ وِسَادَةً قَالَ: انْزِلْ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مُوثَقٌ، قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ، ثُمَّ تَهَوَّدَ، قَالَ: اجْلِسْ، قَالَ: لاَ أَجْلِسُ حَتَّى يُقْتَلَ؛ قَضَاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ**)[3].

٣- وفي أثر ابن مسعودٍ أنه: أَخَذَ قوماً ارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلاَمِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَكَتَبَ فِيهِمْ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، فكتبَ إليه أن: (اعْرِضْ عَلَيْهِمْ دِينَ الْحَقِّ، وَشَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فإن قَبِلوها فخلِّ عنهم، وإن لم يَقْبَلوها فاقتُلْهم) فقبلها بعضُهم فتركه، ولم يَقْبَلها بعضُهم فَقَتَله[4].

٤- عن قابوسِ بن مخارقٍ أنَّ محمدَ بنَ أبي بكرٍ كتبَ إلى عليٍّ يسألُه عن مسلمَينَ تزندقا....؟ فكتبَ إليه عليٌّ: (أما اللَّذَيْنِ تزندقا، فإن تابا، وإلا فاضربْ عنقَهما..)[5].

والذي يُقيمُ الحدَّ على المرتدِّ بعدَ استتابتِه هوَ وليُّ الأمرِ أو نائبُهُ.

• ومَنْ قُتِلَ رِدَّةً عُومِلَ مُعاملةَ الكافرِ الأصليِّ، فلا يُغَسَّلُ ولا يُكَفَّنُ، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفنُ في مقابرِ المسلمين، ولا يرثُه أقاربُهُ المسلمون.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠١٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٢٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩٢٣)، ومسلم (١٧٣٣) واللفظ للبخاري.

(٤) رواه البيهقي في «الكبرى» (٨/ ٢٠١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٥١٠٦).

(٥) رواه عبد الرزاق (٧/ ٣٤٢).

• ومَن ارتدَّ وهربَ من الحاكمِ وكان متزوجاً بمسلمةٍ فُسِخَ عقدُ النكاحِ بينهما، فإنْ تابَ وأنابَ ورجعَ مسلماً قُبِلتْ توبتُهُ، ورُدَّت إليه امرأتُه.

قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران].

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: (كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَسْلَمَ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِالشِّرْكِ ثُمَّ تنَدَّمَ، فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ. سَلُوا لِي رَسُولَ الله ﷺ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَجَاءَ قَوْمُهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ فُلاَنًا قد نَدِمَ، وَإِنَّهُ أَمَرَنَا أَنْ نَسْأَلَكَ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَسْلَمَ)[1].

• وهنا أمران مهمان يجبُ أنْ يُتَفَطَّنَ لهما.

الأمرُ الأول: مِنْ عقيدةِ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ أنه ليسَ كلُّ مَنْ وقعَ في الكفرِ يقعُ الكفرُ عليه، بل يُحْكَمُ على القولِ أو الفعلِ أو الاعتقادِ بأنه كفرٌ، ويقالُ: مَنْ فعلَ (كذا) فقد كفرَ، أو فهو كافر، ولكنْ مَنْ وقعَ في (كذا) من المكفِّراتِ لا يجوزُ الحكمُ عليه بالكفر بعينِهِ، حتى نعلمَ أنه قد توفرت فيه الشروطُ، وانتَفَتْ عنه الموانعُ.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٤٠٦٨)، والحاكم (٨٠٩٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠٦٦)].

وذلك لأننا إذا تسرَّعنا في إطلاقِ الكفرِ على كُلِّ مَنْ وقعَ منه كفرٌ كما تفعلُ الخوارجُ وقعنا في مصيبتين عظيمتين:

المصيبة الأولى: أننا إذا كَفّرْنا مسلماً استَحْلَلْنا دمَهُ ومالَهُ وعِرضَهُ وهذا حرامٌ.

قال ﷺ: «**كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»[(١)].

المصيبةُ الثانية: أننا إذا كَفَّرْنا مسلماً حَكَمْنا عليه بأنَّ اللهَ لا يغفرُ له أبداً، ولا يرحمُهُ، ويُخَلِّدُهُ في النارِ، وهذا مِنْ أعظمِ البغي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كَانَ رَجُلاَنِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لاَ يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: والله لاَ يَغْفِرُ الله لَكَ، أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللهُ الْـجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ**» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ[(٢)].

الأمر الثاني: أن الشَّخصَ الْمُعينَ الذي وقعَ منهُ الكفرُ ربما كان مجتهداً مغفوراً له، وربما كان جاهلاً، وربما كان له من الإيمان والحسناتِ عندَ اللهِ ما أوجبَ له رحمة اللهِ ومن الأدلة على ذلك:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٠١)، والبزار (٩٤١٨)، وابن حبان (٥٧١٢)، [«صحيح سنن أبو داود»].

الدليل الأول: عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا -أي: حدثاءُ العهدِ في الإسلام-: يَا رَسُولَ الله! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ الله!! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(١).

فيتضحُ مِنْ هذهِ الحادثةِ أنَّ الذي طلبَه هؤلاءِ شركٌ، ولذلك شبَّهَهُ رسولُ الله ﷺ بطلبِ بني إسرائيلَ من موسى حينَ طلبوا منه أن يجعلَ لهم إلهاً، بل وأقسَمَ على أنه مثلُه، ومعَ ذلك لم يحكمْ عليهم بالكفرِ؛ لأنهم لم يكونوا يريدون بذلك الخروجَ عن الإسلامِ ولا مخالفةَ النبيِّ ﷺ.

الدليلُ الثاني: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فقَالَ ﷺ: «**مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟**» قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَلاَ تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ الله لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لاَ تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا...**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وابن أبي شيبة (٣٧٣٧٥)، وأبو يعلى (١٤٤١)، [«المشكاة» (٥٤٠٨)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٨٥٣) واللفظ له، وأحمد (٤/ ٣٨١)، وابن حبان (٤١٧١)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٩٢)، [« صحيح الترغيب» (١٩٣٨)].

فها هو معاذُ رضي الله عنه يسجدُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، والسجودُ لغيرِ الله كفرٌ، ومعَ ذلكَ عَذَرَهُ صلى الله عليه وسلم ولم يحكمْ عليهِ بالكفرِ، لأنه -أي: معاذ- لم يُرِدْ بذلكَ الخروجَ عن ملةِ الإسلامِ.

الدليلُ الثالثُ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْـمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ حَمَلَتني؛ فَغَفَرَ لَهُ**»[1]. وزاد أحمد: «..**لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ إِلاَّ التَّوْحِيدَ**»[2].

وهذا يدلُّ على أنَّ التوحيدَ عملٌ فهذا رجلٌ مؤمنٌ بالله، خائفٌ من عذابِهِ، يظنُّ أنه إذا ذُرِّيَ في الريحِ فلن يجمعَهُ اللهُ وهذا شكٌّ منه في قدرةِ الله -على قولِ بعضِ العلماءِ- ومعَ ذلك غفرَ اللهُ له لأنه لم يقلْ ذلكَ كفراً بالله، وقال بعضُ العلماءِ: (إنَّ الرجلَ قالَ ذلك لِفَرْطِ خوفِهِ من عذابِ ربِّه، فغَطَّى الخوفُ على فهمِهِ) ولذلك لم يَكْفُرِ الرجُلُ بهذا القولِ، واللهُ تعالى أعلم.

- قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية -رحمهُ اللهُ-: (...فَلَمَّا كَانَ مُؤْمِنًا بِالله فِي الْجُمْلَةِ وَمُؤْمِنًا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي الْجُمْلَةِ وَهُوَ أَنَّ اللهَ يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ بَعْدَ الْـمَوْتِ وَقَدْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا -وَهُوَ خَوْفُهُ مِنْ الله أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَى ذُنُوبِهِ- غَفَرَ اللهُ لَهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ الْإِيمَانِ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ)[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠٤٨)].

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٩١)

• وقال ابنُ حزمٍ -رحمهُ الله-: (.. وقد غفرَ له لإقرارِهِ وخوفِهِ وجهلِهِ) وهذا يدلُّ على أنَّ الرجلَ كان مؤمناً موحِّداً وقعَ منه بعضُ الذنوبِ بجهلِهِ فعذَرَهُ اللهُ بهذا الجهلِ.

فليتقِ اللهَ الذي يتسرعونَ في تكفيرِ المسلمينَ!

عبادَ الله! التكفيرُ قضيةٌ خطيرةٌ جداً تُتْرَكُ للعلماءِ الكبارِ ولا دخلَ للشبابِ المتحمسِ والجهّالِ بها.

قال الإمامُ الشوكانيُّ -رحمه الله تعالى-: (اعلمْ أنَّ الحُكْمَ على الرجلِ المسلمِ بخروجِهِ من دينِ الإسلامِ ودخُولهِ في الكفرِ لا ينبغي لمسلمٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يُقْدِم عليه إلا ببُرهانٍ أوضحَ مِنْ شمسِ النّهارِ، فقد صحَّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»[1].

وقال ﷺ: «**مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ**»[2]. -أي: رجع عليه.

وقال ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»[3].

وقال ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَلَعْنُ الْـمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**»[4].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٠).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٩٣/ ٤٦٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٨٥)].

(ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظمُ زاجرٍ وأكبرُ واعظٍ من التسرُّعِ في التكفير، وقد قال الله عزوجل: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا﴾ [النحل:١٠٦]، فلا بُدَّ من شرح الصَّدْرِ بالكفر، وطمأنينةِ القلب به، وسكونِ النَّفسِ إليه، فلا اعتبارَ بما يقعُ من طوارقِ عقائدِ الشرِّ لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبارَ بصدورِ فعل كُفريٍّ لم يُرِدْ به فاعلُهِ الخروجَ عن الإسلام إلى مِلَّةِ الكفر، ولا اعتبارَ بلفظٍ تلَفَّظَ به المسلمُ يدلُّ على الكفرِ وهو لا يعتقدُ معناه)[1].

• والناسُ مع التكفيرِ طرفان ووسط: طرفٌ يُكفِّر بكلِّ ذنب وهم الخوارجُ، وطرفٌ لا يُكفّرُ بأيِّ ذنبٍ وهمُ المرجئة، وكلا الطرفينِ على ضلالٍ مبين، والوسطُ هم أهلُ السنة والجماعة، وهؤلاء لا يُكَفِّرونَ بكل ذنب، ولكن يُكفّرون مَنْ وقعَ في الكفرِ وقامت عليه الحجةُ، وتوفرت الشروطُ وانتفتِ الموانعُ.

قال الإمامُ الطحاوي في عقيدة أهل السنةِ والجماعة: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ)[2].

وفي هذا ردٌّ على الخوارج الذين يُكفّرون بكل ذنب ثم قال: (ولا نقول: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَه)[3] وهذا ردٌّ على المرجئة.

• وقال الإمامُ الألبانيُّ -رحمه الله تعالى- تعليقاً على قول الإمام الطحاوي -رحمه الله-: (ما لم يستحِلَّه): (يعني استحلالاً قلبياً اعتقادياً، وإلا فكلُّ مذنبٍ مستحِلٌّ

(١) الشوكاني في «السيل الجرار» (١/ ٩٧٨).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» ص١٥١.

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» ص٣٢٠.

لذنبه عملياً، أي مُرتكبٌ له، ولذلك فلا بُدَّ من التفريقِ بين المستحِلِّ اعتقاداً، فهو كافرٌ إجماعاً، وبين المستحِلِّ عملاً لا اعتقاداً فهو مُذنبٌ يستحقُّ العذابَ اللائقَ به إلا أنْ يغفرَ اللهُ له، ثم يُنجيه إيمانُه خلافاً للخوارجِ والمعتزلة الذين يحكمون عليه بالخلودِ في النارِ وإن اختلفوا في تسميتِه كافراً أو مُنافقًا)[1].

• وقال الإمامُ الطحاويُّ أيضاً: (وأهلُ الكبائر من أُمةِ محمدٍ ﷺ في النارِ لا يُخَلَّدون، إذا ماتوا وهم موحِّدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لَقُوا الله عارفينَ مؤمنينَ، وهم في مشيئته وحُكمِه، إن شاء غفرَ لهم وعفا عنهم بفضلِه كما ذكر عزوجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:١١٦] وإن شاء عذَّبهم في النار بعدله، ثم يُخرجُهم منها برحمته وشفاعةِ الشافعين من أهلِ طاعتِه، ثم يبعثُهم إلى جنته)[2].

---

(١) الطحاوي في «تخريج العقيدة الطحاوية» ص ٦٠.

(٢) الطحاوي في «تخريج العقيدة الطحاوية» ص٦٦.



تبشيرُهُ ﷺ للمنافقين بالنارِ والعذابِ المقيم

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء].

موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: بشاراتُ النبيِّ ﷺ لأهلِ النارِ التي سنتعرفُ عليها من دراستنا للسيرةِ النبويةِ العطرةِ ألا وهي: **تبشيرُهُ ﷺ للمنافقين بالنارِ والعذابِ المقيم**

- **النِفاقُ لغةً**: الدخولُ في الإسلامِ من وَجْهٍ، والخروجُ منه من وجهٍ آخر. قال ابنُ رجبٍ رحمهُ اللهُ: والذي فسَّرَهُ به أهلُ العلمِ المُعتَبَرُونَ أنَّ النِّفاقَ في اللّغةِ هو من جنسِ الخداعِ والمكرِ، وإظهارِ الخيرِ وإبطانِ خلافه [1].
- **والنِفاقُ اصطلاحاً**: هو إظهارُ الإيمانِ باللسانِ وكتمانُ الكفرِ بالقلبِ [2].

والنفاقُ ينقسمُ شَرْعاً إلى قسمين:

أحدهما: النفاقُ الأكبرُ، وهو النفاقُ القلبيُّ العَقائديُّ، وهو أن يُظهرَ الإنسانُ الإيمانَ، ويُبْطِنَ الكفرَ وهذا النفاقُ يُوجبُ لصاحبِهِ الخلودَ في النار، بل هو في الدَّرْكِ الأسفلِ من النار.

والثاني: النفاقُ الأصغرُ، وهو نفاقُ العملِ، وهو أنْ يُظهرَ الإنسانُ علانيةً صالحةً ويبطنُ ما يخالِفُ ذلك. وهذا النفاقُ كبيرةٌ من الكبائر، ولكنْ لا يُوجبُ الخلودَ لصاحبه في النار [3].

---

(١) ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣٧٥).

(٢) «نضرة النعيم» (١١/ ٥٦٠٥).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص٣٧٥) بتصرف.

- وكلامُنا سيكونُ فقط عن القسمِ الأولِ وهو النفاقُ الأكبرُ، النفاقُ القلبيُّ العقائديُّ، الذي يوجبُ لصاحبه الخلودَ في النار، وذلكَ لخطورةِ هذا النفاقِ على الإسلامِ والمسلمينَ.
- فهذا المنافقُ أخطرُ على الأمةِ الإسلاميةِ منَ الكفارِ والمشركين واليهودِ والنصارى، ولذلكَ فاللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه فضَحَ هؤلاءِ المنافقينَ، وكشفَ أسرارَهم، ووصفَهم ظاهراً وباطناً لعبادِهِ المؤمنينَ ليكونوا منهم على حذرٍ.

ففي أولِ سورةِ البقرةِ قسَّمَ اللهُ الناسَ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: المؤمنونَ الخُلَّص

وهمُ الذين آمنوا باطناً وظاهراً، ذكرهم اللهُ ووصفهم في أربعِ آياتٍ، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة].

القسم الثاني: الكافرون الخُلَّص

وهمُ الذين كفروا باطناً وظاهراً، ذكرهم الله عزَّ وجلَّ ووصفهم في آيتين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة].

القسم الثالث: المنافقون ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٤٣].

وإنما هم مؤمنونَ ظاهراً، وكافرونَ باطناً، فليسوا من الفريقين كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة:١٤].

ولخطرِهم على الإسلامِ والمسلمينَ فقد ذكرَهُمُ اللهُ ووَصَفَهم في ثلاثَ عَشْرة آية فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة].

ولخطرهم ذكرَهُمُ اللهُ وحَذَّرَ منهم في سورةِ آلِ عمرانَ وفي سورة النساءِ وفضحهم وكشفَ أسرارَهم في سورةِ التوبةِ ولذلك سُمِّيَتْ بالفاضحةِ، وأنزلَ سورةً كاملةً في وصفهم، وهي (سورةُ المنافقون)، حتى كادَ القرآنُ كُلُّهُ أنْ ينزلَ في وصفِهم والتحذيرِ منهم.

• فَمَنِ الذين حَزَّبوا الأحزابَ وأرادوا أن يضربوا المسلمينَ من الداخل ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر]؟..

إنهم المنافقون!!

• ومَنِ الذينَ قالوا في غزوةِ الأحزاب: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب]؟..

إنهم المنافقون!!

• وَمَنِ الذين قالوا في غزوةِ بني المصْطَلِق: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون]؟...

إنهم المنافقون!!

• وَمَنِ الذين جاءوا بالإفكِ وتكلَّموا في أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها حِبِّ رسولِ الله ﷺ الطاهرةِ المطَهَّرة التي برأها اللهُ من فوقِ سبعِ سمواتٍ؟.. إنهمُ المنافقونَ!! وعلى رأسِهم زعيمُهم عبدُالله بنُ أُبيٍّ بنِ سلولٍ.

• وَمَنِ الذين قيلَ لهم في غزوةِ أحدٍ: ﴿تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ

قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران]... إنهم المنافقون!!

• وَمَنِ الذينَ استهزءوا بالله وآياته ورسولِه وقالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة]؟.. إنهم المنافقون!!

• ومَنِ الذينَ اتخذوا مسجداً ضراراً ليحاربوا الإسلامَ والمسلمينَ من خلاله، ويحلفونَ بالله كذباً وبهتاناً إنْ أردنا إلا الحسنى كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة]؟.. إنهم المنافقون!!

وَمَنِ الذينَ كانوا يَلْمزونَ المطَّوّعينَ منَ المؤمنينَ في الصدقاتِ؟ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة]؟... إنهم المنافقون!!

• ومَنِ الذينَ لم يخرجوا مع رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوكَ وقالوا: لا تنفروا في الحرِّ كما قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ

لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة]؟... إنهم المنافقون!!

ها هُم المنافقونَ الذين أبطنوا الكفرَ، وأظهروا الإسلامَ، خطرٌ على الإسلامِ والمسلمينَ، شرٌّ على الإسلامِ والمسلمينَ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، ولذلكَ أعدَّ اللهُ لهمْ عذاباً أليماً في الدنيا والآخرةِ.

أما عذابُهم في الدنيا:

أولاً: أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أن يجاهدَهُم كأمرهِ بمجاهدةِ الكافرين في موضعين في كتابه

- في سورةِ التوبةِ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٣-٧٤].
- وفي سورة التحريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم].

وجهادُ الكفارِ يكونُ بالسيفِ والسنانِ، وجهادُ المنافقين يكون بالحجة والبرهان. والجهادُ بالحجةِ والبرهانِ أفضلُ منَ الجهادِ بالسيفِ والسنان، وذلك لأنَّ الجهادَ بالسيفِ والسنانِ يَقدِرُ عليه كُلُّ أحدٍ، أما الجهادُ بالحجةِ والبرهانِ فلا يقدرُ عليه إلا العلماء.

ثانياً: نهى اللهُ عزَّ وجلّ رسولَهُ ﷺ أن يُصليَ على مَيِّتِهم أو أنْ يقفَ على قبره.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة].

ثالثاً: نهى اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ ﷺ أن يستغفرَ لهم

قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة].

رابعاً: لا يقبَلُ اللهُ عزَّ وجلَّ منهم صرفاً ولا عدلاً

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة].

خامساً: أمر اللهُ رسولَهُ ﷺ أن يبشرَهم بالعذابِ الأليم في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة].

أما عذابُهم في الآخرة فهو أليمٌ وشديدٌ:

أولاً: في أرض المحشرِ يفضحُهمُ اللهُ ويُذِلُّهم

وذلك حينَ تظهرُ العلامةُ التي بينَ المؤمنين وبين ربِّهم، فيَخِرُّونَ لربِّهم سُجَّداً، فإذا سجدَ المؤمنون، وأراد المنافقون أن يسجدوا معَ المؤمنين كما كانوا

يسجدونَ في الدنيا، مُنِعُوا من السجودِ، وتصلّبتْ ظهورُهم، فلا يستطيعونَ السجودَ يومئذٍ، وترهقُهم ذِلّة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم].

ثانياً: على الصراطِ يفضحُهم اللهُ ويُذِلُّهم ويخزيهم

وذلكَ حينَ ينقطعُ عنهمُ النورُ الذي يمشونَ فيه مع المؤمنينَ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد].

ثالثاً: في جهنم:

١ - جمعَ اللهُ بينهم وبينَ الكافرينَ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

كيف لا؟ فالمرءُ يومَ القيامةِ مَعَ مَنْ أحبَّ، والمنافقونَ كانوا معَ المؤمنين ظاهراً ويُحِبُّونَ الكافرين باطناً، قال تعالى في وصفهم: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران:١٦٧].

٢- أسكنهم اللهُ في أشدِّ دَرَكاتِ النارِ عذاباً

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء].

٣- لعنهُمُ الله وغضب عليهم وأعدَّ لهم عذاباً مُقيماً في جهنمَ لا يخرجونَ منه أبداً

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح].

هذا عذابُ المنافقينَ في جهنمَ ومعَ ذلك: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء].

فها هم المنافقونَ الذين يُبْطنونَ الكفرَ ويُظهرونَ الإسلامَ، هذا خطرُهم على الإسلامِ والمسلمينَ، وهذا ما أعدَّهُ اللهُ لهم منَ العذابِ في الدنيا والآخرةِ.

فما هي صفاتُهُمُ التي وصفهُمُ اللهُ بها في كتابِهِ ورسولُهُ ﷺ في سنته؟ هذا الذي سنعرفه إن شاءَ اللهُ تعالى في الجمعة القادمة إنْ كان في العمر بقية.



صفاتُ المنافقين

يقولُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- في كتابِه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون].

في الجمعة الماضيةِ تكلمنا عن النفاق والمنافقينَ وتبينَ لنا:

- أنَّ المنافقينَ همُ الذينَ يُبطنونَ الكفرَ ويُظهرونَ الإسلامَ فقلوبُهم مريضةٌ، كما قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فعاقبهُمُ الله عزَّ وجلَّ فقال تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون].

• وتبينَ لنا أيضاً في الجمعةِ الماضيةِ أنَّ المنافقينَ همْ أخطرُ الناسِ على الإسلامِ والمسلمينَ؛ ولذلك قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التحريم].

وقال له أيضاً: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤﴾ [المنافقون].

* إذا كانَ المنافقونَ همُ الأعداءُ، وأمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ أن يَحْذَرَهُمْ لخطرِهم، فما هي صفاتُهمْ في الكتابِ والسنةِ لنكونَ منهم على حذرٍ؟

أولاً: الكذب

فالمنافقونَ هم أكذبُ الناسِ على الإطلاقِ بشهادةِ ربِّ العالمين قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١﴾ [الحشر].

ويقول ﷺ: **«آيَةُ الْـمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»**[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

وقال ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[1].

• فالمنافقُ فسدَ قلبُهُ بالنفاقِ، وفسدَ لسانهُ بالكذبِ، فهو من أفسدِ الناسِ وأعوجِ الناسِ وأضلِّ الناس.

قال ﷺ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»[2].

وقال ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ**[3] **فتقولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»[4].

ثانياً: أحسنُ الناس أجساماً وأعسلُهم لساناً وألطفُهم بياناً وأخبثهم قلوباً «شياطين في جثمان إنس»

قال تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)﴾ [المنافقون].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري(٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) تكفّر اللسان أي: تذل وتخضع له.

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، وأبو يعلى (١١٨٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٩٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧١)].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٢٠٦ ﴾ [البقرة].

وهذا النوع من البشر هو أخطرُ ما يكونُ على الأمةِ الإسلاميةِ ولذلك قال ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**»[1].

كيف لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ لرسولِهِ ﷺ: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ [المنافقون:٤].

ثالثاً: لهمُ وجهانِ ولسانان:

وجهٌ يَلْقَوْنَ بهِ المؤمنينَ، ووجهٌ يُلْقَوْنَ به الكافرين، لسانٌ يتكلمونَ به مع المؤمنين، ولسانٌ يتكلمونَ به مع الكافرين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ﴾ [البقرة].

وهذا الصنفُ منَ البشرِ منْ شرِّ الناسِ قال ﷺ: «**تَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ؛ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٢)، والبزار (٣٠٥) عن عمر بن الخطاب، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٣٧/ ٥٩٣)، والبزار (٣٥١٤) عن عمران بن حصين، [«صحيح الترغيب» (١٣٢، ١٣٣)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٥٨)، ومسلم (٢٥٢٦).

وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ جَعَلَ اللهُ لَهُ لِسَانَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارٍ»[1].

رابعاً: التذبذبُ بينَ الكفرِ والإيمانِ

فلا هُمْ معَ الكفارِ ظاهراً وباطناً، ولا هُمْ معَ المؤمنين ظاهراً وباطناً، وإنما يتلونونَ حسبَ أهوائِهم ومصالحِهم، قال تعالى في وصفهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «مَثَلُ الْـمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ[2] بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ[3] إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»[4].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلّ يقولُ في وصفهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤١].

خامساً: يشبهُ بعضُهم بعضاً في الخُبْثِ والصفاتِ الذميمة

قال تعالى في وصفهم: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ﴾ -أي:

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو يعلى (٢٧٧٢)، والطبراني في «الأوسط» (٨٨٨٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٩٥٠)].

(٢) العائرة: المترددة الحائرة لا تدري أيهما تتبع.

(٣) تعيرُ: أي تتردد وتذهب.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٨٤).

بعضُهم يشبه بعضاً- ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة].

سادساً: كسلٌ ورياءٌ في العبادة

قال تعالى في وصفهم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «**لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْـمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»[1].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْـمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ، يُهَادَى[2] بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[3].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

(٢) يهادى: يمشي معتمداً عليهما.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

سابعاً: إذا دُعوا إلى التمسكِ بالكتابِ والسنةِ ومنهجِ الصحابةِ رضي الله عنهم أعرضوا ورفضوا ونفروا

قال تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ -أي: الكتاب- ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ -أي: السنة- ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ -أي: كما آمن الصحابة- ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة].

وسبيلُ الصحابةِ رضي الله عنهم هو سبيلُ النجاةِ، مَنْ سلكهُ سعدَ في الدنيا والآخرة، ومن سلَكَ غيرَهُ شقي في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

فالذي يبغض الصحابة، ويبغض منهجهم منافقٌ وإن ادعى الصلاحَ وَالاصلاح، يقول ﷺ: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ**»[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

ثامناً: لا يطلبونَ العزة بالإسلامِ، ولكنْ يطلبونَها بموالاةِ الكفار

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

تاسعاً: إخلافُهم للوعدِ

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة].

وقال ﷺ: «**آيَةُ الْـمُنَافِقِ ثَلاَثٌ**» وذكر منها: «**وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**»[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٣٣)، ومسلم (٥٩).

عاشراً: يوقدون نارَ الفتنةِ دائماً، ولا يتمنَّوْنَ الخيرَ للمؤمنين، ويفرحونَ إذا نزلتْ بالمؤمنينَ مصيبة

قال تعالى في وصفهم: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة].

الحادي عشر: جبنٌ في أرضِ المعركةِ، وفرارٌ إذا حميَ الوطيس

وهذا حالهم في غزوةِ الأحزاب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب].

في هذه اللحظةِ الحرجةِ التي زُلزِلَ المؤمنونَ فيها زلزالاً شديداً؛ اسمعْ ماذا يقولُ

المنافقونَ وماذا يطلبون: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

- ها همُ المنافقونَ، وها هي صفاتُهم، وها هو خطرُهم؛ مفسدون في الأرض، فضحَهُم اللهُ في كتابه، ورسولُهُ في سنتهِ ومع ذلك إذا: ﴿قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة].

- فالمنافقون هم المفسدون حقاً وإن ادعوا الإصلاح، ومواقفهم الخبيثةُ تدلُّ على فسادهم وإفسادهم، ولذلك أخبر اللهُ عبادَهُ بمواقفهم في كتابه ليكونوا منهم على حذر.

نسألُ الله العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أنْ يحفظَ المسلمينَ وبلادَ المسلمين من خطرِ النفاقِ والمنافقينَ.

ما هي مواقف المنافقين في الكتاب والسنة؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى.

١٠

مواقفُ المنافقينَ وأثرُها السيءُ في الأمةِ الإسلاميةِ

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في وصفِ المنافقينَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة].

- المنافقون هم أخطرُ الناسِ على الإسلامِ والمسلمينَ، وهمُ العدوُّ الحقيقيُّ للأمةِ الإسلاميةِ قديماً وحديثاً. يقول اللهُ عزَّ وجلَّ لرسولِهِ ﷺ: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون].

- ويظهرُ خطرُ المنافقينَ مما يلي:

أولاً: من تقسيمِ الله عزّ وجلّ الناسَ في أولِ سورةِ البقرةِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: المؤمنونَ الخُلَّصُ وهم الذين آمنوا باطناً وظاهراً، ذكرَهُمُ اللهُ

ووصفَهم في أربعِ آياتٍ.

القسمُ الثاني: الكافرونَ الخُلَّص وهمُ الذينَ كفروا باطناً وظاهراً، ذكرهم الله عزَّ وجلَّ ووصفهم في آيتين.

القسمُ الثالثُ: المنافقون ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٤٣] وإنما همْ مؤمنونَ ظاهراً، وكافرونَ باطناً، فليسوا من الفريقين.

ولخطرِهم على الإسلامِ والمسلمينَ فقد ذكرَهُم اللهُ ووصفَهم في ثلاثَ عشرةَ آيةً.

ثانياً: ويظهرُ خطرُ المنافقينَ أيضاً من صفاتهم والتي منها:

١- **ادعاءُ الإيمان كذباً**. قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة].

٢- **الخداعُ والمراوغةُ**. قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة].

٣- **مرضُ القلبِ**. قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠].

٤- **ادعاءُ الصلاحِ والإصلاح، مع إفسادِهم في الأرضِ**. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

٥- **الكذبُ**. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون].

٦- **التذبذبُ**. قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء].

٧- **التلون**. قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

٨- **التحاكمُ إلى غيرِ شرعِ الله**. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور].

إلى غيرِ ذلكَ من صفاتِهم الخبيثةِ التي تدلُّ على خطرِهم

ثالثاً: ويظهرُ خطرُ المنافقينَ أيضاً من مواقفِهم الخبيثةِ قديماً وحديثاً التي تدلُّ على عدائهم لأهلِ الإيمان ومنها:

الموقفُ الأولُ: يتمنى المنافقون دائماً الضررَ والمشقةَ والإحراجَ للمؤمنين

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران:١١٨].

فاللهُ عزَّ وجلَّ ينهى عبادَهُ المؤمنينَ عنِ اتخاذِ المنافقينَ بطانةً يطلعونهم على سرائر الأمور وبواطنها، لأنهم لا يألونَ المؤمنين خبالاً. ومعنى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران:١١٨] أي: لا يقصرونَ في خبالكم.

والخَبالُ: هو اختلالُ الأمرِ وفسادهُ، ومنه سُمِيَ فسادُ العقلِ: خبالاً.

قال القرطبيُّ: (لا يتركونَ الجهدَ في فسادكم، يعني أنهم وإنْ لم يقاتلوكم في الظاهرِ فإنهم لا يتركونَ الجهدَ في المكرِ والخديعةِ)[١].

- وقوله: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: رغبوا فيما يشقُّ عليكم ويتعبُكم.
- والمنافقون: لا شك أنهم من بطانةِ الشرِّ التي ينبغي أن تُطْردَ وتُقصى لخطرِهم على المؤمنين وعلى ولاةِ الأمر.

قال ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى**»[٢].

فاتخاذُ المنافقينَ بطانةً يؤدي إلى فسادِ الأمرِ، واختلالِ الأنظمة، واضطرابِ الحياةِ كُلِّها، لأنهم لا ينصحونَ لولاةِ الأمرِ، ولا يأمرونَ إلا بالشرِّ والفسادِ، مما يؤدي إلى اشتعالِ نيرانِ الفتنِ بين أبناء الدينِ الواحدِ والأمةِ الواحدةِ.

---

(١) القرطبي في «تفسيره» (٤/ ١٧٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧١٩٨).

كيف لا؟ والله عزّ وجلّ يقول في وصفهم: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة].

ويقول سبحانه في وصفِهم أيضاً: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة].

ومن الأمثلةِ في السُّنةِ على موقفِ المنافقينَ الخبيثِ في إشعالِ نارِ الفتنةِ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ: موقفهُم في غزوةِ بني المصْطَلِق.

• لما خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى غزوةِ بني المصطلق، خرجَ معه نفرٌ من المنافقينَ وعلى رأسهم عبدُالله بنُ أُبيِّ بنِ سلولٍ فكان خروجُهم كما وصفهُمُ اللهُ في كتابه: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة:٤٧].

وعندما انتصرَ المسلمون على بني المصطلق، وعند ماءِ المُرَيْسِيع كشفَ المنافقونَ عن الحقدِ الذي يضمرونه للإسلامِ والمسلمينَ، فكلما كَسِبَ الإسلامُ نصراً جديداً ازدادوا غيظاً على غيظهم كما وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة] فعند ماء المريسيع عكّر المنافقون هذا النصرَ بأنْ أثاروا العصبيةَ الجاهليةَ بين المهاجرينَ والأنصارِ، وأثاروا الفتنةَ وغرسوا بذورَ الفُرقةِ في النفوسِ.

• عن جابرِ بنِ عبدِالله رضي الله عنهما قال: (كُنَّا فِي غَزَاةٍ -وهي غزوةُ بني المصطلق- فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ -أي ضربَهُ برجله- فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ! وَقَالَ الْـمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَسَمِعَ ذَاكَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**» فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ الله ابْنُ أُبَيٍّ -زعيم المنافقين- فَقَالَ: فَعَلُوهَا؟! -يقصد بذلك المهاجرين- أَمَا وَالله لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْـمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ -يعني لعنهُ اللهُ بالأعزِّ نفسَه وبالأذلِّ رسولَ الله ﷺ- فَبَلَغَ ذلكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْـمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْهُ يا عمرُ! لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**» وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْـمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْـمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ)[1].

الموقفُ الثاني: في بغضِهم وكراهيتهم للمؤمنينَ

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في وصفهم: ﴿**قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران:١١٨].

ويقول سبحانه في وصفهم أيضاً: ﴿**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ**﴾ [آل عمران:١١٩].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٠٥).

فالعداوةُ ظاهرةٌ وإنْ كانوا يجتهدونَ في إخفائِها، ولكنْ لشدتِها واستحكامِها من قلوبهم لا يستطيعون إخفاءَها بالكليةِ، فتظهرُ عليهم بينَ حينٍ وآخرَ في فلتاتِ ألسنتهِم، ونظراتِ أعينِهم، وتعليقاتِهم التي لا تصدُرُ إلا من قلبٍ به دخَنُ النفاقِ وسخريتِهم واستهزائِهم ومع ذلك كُلِّهِ فما تُخفي صدورُهم أكبرُ مما يبدونَه من العداوةِ والبُغْضِ للمؤمنين.

قال ابنُ كثيرٍ في معنى قولِه تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (أي:قد لاحَ على صَفَحاتِ وجوهِهم، وفلتاتِ ألسِنتهم منَ العداوةِ، مع ما هم مشتملون عليه في صدورِهم من البغضاءِ للإسلام وأهلِه، ما لا يخفى مثلُه على لبيبٍ عاقلٍ)[1].

• وقد أشارَ اللهُ تعالى إلى تلك الفلتاتِ في قوله ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ ويمكن معرفتُهم أيضاً من نَظَراتهم وحرَكاتهم كما قال تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد:٢٠].

فمنطقُهم يدلُّ على البغضِ، ونظراتُهم تدلُّ على البغضِ، وحركاتُهم تدلُّ على البغضِ، ولكن لا يَعْرفُ ذلكَ إلا اللبيبُ العاقلُ؛ ولذلك قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

(١) ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٠٨).

• وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ أي: نفاقاً وتَقِيَّةً.

وأما حقيقتُهم: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ تأسفاً وتحسراً، حيث عجزوا عن الانتقام منكم[1].

• وقوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ يدلُّ أيضاً على شدةِ عداوتِهم وغيظِهم وحَنقِهم على المؤمنين؛ فهو غيظٌ يمكنُ أن يموتوا منه، وهي عداوةٌ مستمرةٌ تؤدي إلى إهلاكِهم أنفسَهم.

• ومن الأدلةِ أيضاً في كتابِ الله على كراهيةِ وبغضِ المنافقينَ للمؤمنين حزنُهم إذا نزلَ بالمسلمينَ خيرٌ، وفرحهم إذا نزلَ بالمسلمين مصيبةٌ.

قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ [آل عمران:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة].

ففي هاتين الآيتين بينَ سبحانه وتعالى أن المنافقين مع مالَهُمْ من الصفاتِ الذميمةِ والأفعالِ القبيحةِ مترقبونَ نزولَ نوعٍ من المحنةِ والبلاءِ والمصائبِ بالمؤمنين.

(١) الشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ١٧).

وقد جهلَ المنافقونَ أنَّ كُلَّ ما يُقَدِّرُهُ اللهُ تعالى على المؤمنين خيرٌ لهم فقال تعالى رداً عليهم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٥١ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝٥٢﴾ [التوبة].

وقال ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْـمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ؛ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه**»[1].

الموقفُ الثالثُ: موقفُهم من الغَزَواتِ

الـمنافقون في الغزواتِ يثبطون المؤمنينَ ويكيدون لهم، ويتربصون بهم، ويتجسسون عليهم، وينشرون الإشاعاتِ والأراجيفَ عندَ القتالِ والتحامِ الصفوفِ لإحداثِ الخلخلةِ والاضطرابِ في أوساطِ الجيش.

فمواقفُهم خبيثةٌ قبلَ الغزوةِ، وفي أرضِ المعركةِ، وبعدَ الغزوةِ.

• **فقبلَ الغزوةِ؛** يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾ [الأنفال:٤٩] أي: ما جاءَ في دينهم منَ الوعدِ بالنصرِ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٩).

والتمكين، قالوا ذلكَ لتهتزَّ صفوفُ المؤمنينَ في هذه اللحظاتِ الحرجة، وقد أرادَ المنافقونَ تثبيطَ المؤمنينَ عن الخروجِ للغزوةِ.

قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزاب:١٣].

وقالوا للمؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]. وقالوا أيضاً: ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ [التوبة:٨١].

• **وفي أثناءِ الغزوةِ**؛ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب:١٢-١٣].

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب].

• **وبعد الانتهاءِ من الغزوةِ يحلفون ويعتذرون للنبيِّ ﷺ وللمؤمنين**؛ قال تعالى في وصفهم: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا

ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة].

فيقول الله عزَّ وجلّ لرسوله ﷺ مكذباً لهؤلاءِ المنافقينَ: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة].

الموقفُ الرابعُ: التفريقُ بينَ المؤمنينَ، والتجسسُ عليهم، والتربصُ بهم

ومن الأمثلةِ على ذلك:

المثال الأول: اتخاذُهم مسجدَ الضرارِ

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ

لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة].

يؤخذُ من هذه الآيات:

١- أن المنافقينَ ظنوا بغَبائهم أنَّ اللهَ لا يراهم ولا يعلمُ ما في قلوبهم كما وصفهم اللهُ عزّ وجلّ في قوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴿٦﴾﴾ [الفتح].

٢- المنافقون تحايلوا للحصولِ على غِطاءٍ شرعيٍّ (وهو بناءُ المسجدِ) لعملٍ غيرِ شرعيٍّ (وهو التفريقُ بين المؤمنين).

٣- المنافقون يتحدثونَ باسمِ الدينِ، وأنهم يريدونَ الخيرَ للأمةِ.

٤- المنافقون جعلوا مسجدَهم مجاوراً لمسجدِ قُباء، حتى يشتبهَ على المسلمينَ الحقُّ بباطلِهم.

٥- المنافقونَ جعلوا مسجِدَهم مركزاً للتجسسِ والتآمرِ على المسلمينَ بالتعاونِ معَ العدوِّ الخارجي.

وهذا حالُ المنافقين في كلِّ زمانٍ ومكان، وعلى مدى التاريخ، منَ الأمسِ القريبِ على عهدِ النبوةِ وحتى اليومِ الذي نعيشه، وسيظلُّ للغدِ البعيدِ، المنافقُ هو المنافقُ لا يتغيرُ.

المثال الثاني: رميُهم أُمَّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها بالفاحشةِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [النور].

والذين جاءوا بالإفك هم جماعةُ المنافقينَ، وعلى رأسِهم عبدُالله بنُ أُبي زعيمُهم وسيدُهم وقد رمى المنافقون عائشةَ رضي الله عنها بالفاحشةِ معَ صفوانَ بن المُعطِّل أحدِ الصحابةِ الأطهارِ، وكانَ عبدُالله بنُ أُبي هو الذي تولى كِبْرَ نشرِ هذه الفِرْيةِ، وكان هدفُ المنافقينَ منْ ذلك أموراً منها:

أولاً: إيذاءُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في عِرْضِه وهوَ أعزُّ ما يملكُه المسلمُ.

ثانياً: ضربُ الدعوةِ التي قامَتْ على الأخلاقِ والفضائِل، من خلالِ ردِّ الفعلِ العكسيِّ على الذين صَدَّقوا هذا الإفكَ.

ثالثاً: نشرُ الإشاعاتِ والأراجيفِ التي تعملُ على خلخلةِ النظام، وتُجرِّئ السفهاءَ على تعدي حدودِهم.

رابعاً: إيذاءُ المؤمنينَ ومنهم عائشةُ وأبو بكرٍ، وأمُّها، وصفوانُ بنُ المعطِّل وغيرُهم.

خامساً: إحداثُ الفُرْقةِ بينَ المؤمنينَ، وهذا ما كانَ سيحدثُ فعلاً بين الأوسِ والخزرجِ، فقد كادَ الفريقان يقتتلانِ في حضرةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المنبرِ فاستعذرَ من عبداللهِ بنِ أُبيِّ ابن سلولٍ.

قالت: فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «**يَا مَعْشَرَ الْـمُسْلِمِينَ! مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ مَعِي**» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ الله! إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلاً صَالِحًا وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ. لَعَمْرُ الله! لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ. لَعَمْرُ الله! لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْـمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ)[1].

• فالمنافقونَ شرٌّ على الإسلامِ والمسلمينَ، وهم دائماً يتربَّصونَ بالمؤمنينَ الدوائرَ، ويصطادون في الماءِ العَكرِ، فعلى المسلمين حكاماً ومحكومين أن يُفوِّتوا الفرصةَ على المنافقين وذلك بما يلي:

أولاً: على ولاةِ الأمرِ أن يتقوا اللهَ في رعيتهم وذلك:

١- أنْ يَحْكُموهم بالحقِّ والعدلِ ولا يَظلموهم، ولا حقَّ ولا عدلَ إلا في ظلِّ شريعةِ الله.

٢- أن ينصحوا لرعيتهم دائماً لقوله ﷺ: «**مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْـمُسْلِمِينَ ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَـهُمْ وَيَنْصَحُ إِلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْـجَنَّةَ**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٢).

٣- أن لا يَغُشُّوهم قال ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْـجَنَّةَ**»[١].

٤- أن يَرْفقوا بهم ولا يَشُقُّوا عليهم قال ﷺ: «**اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِه**»[٢].

ثانياً: على الرعيةِ أن تتقيَ اللهَ في وليِّ أمرِها وذلك:

١- أن يسمعوا ويطيعوا له ما لم يأمرْهم بمعصيةِ الله لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء:٥٩].

ولقوله ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عزَّ وجلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حبشيٌّ**»[٣].

٢- أن ينصحوا له فيما بينهم وبينه، ولا يكونُ ذلك على الملأ أمامَ الناس لقوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْـمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[٤].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٨).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٧)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

ثالثاً: على الراعي والرعيةِ أن يتقوا اللهَ عزَّ وجلَّ، فإنَّ تقوى الله سببٌ لزيادةِ الرزقِ ونزولِ البركات

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾ [الطلاق].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ٩٧ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف].

فكونوا منَ المنافقينَ على حذرٍ ولا تنخدعوا بمكرهم.

المنافقونَ همُ العدُوُّ كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ [المنافقون:٤].

فما هي الوسائلُ الشرعيةُ الواجبُ اتباعُها في مواجهةِ النفاقِ وأساليبه؟ هذا الذي سنعرفُه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ الله تعالى.

١١

الوسائلُ الشرعيةُ الواجبُ اتباعُها
في مواجهةِ النفاقِ والمنافقين

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[التوبة].

ويقول سبحانه في وصف المنافقين أيضاً: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم

مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة].

المنافقونَ موجودونَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، حتى في عصرِ النبوةِ، وحتى في مدينةِ رسولِ الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى عن زعيمِ المنافقينَ ابنِ سلولٍ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون].

• المنافقونَ لهم تأثيرٌ سلبيٌّ في المجتمع المسلم لما يحملونَهُ من شُبُهاتٍ في قلوبهم، وكَذِبٍ على ألسنتهم، وأخلاقٍ سيئةٍ في تصرُّفاتهم.

وذلك لأنَّ المنافقَ لا يلتزمُ بضوابطِ الدينِ والأخلاقِ والسلوكِ الشرعي؛ لأنَّ الدافعَ الداخليَّ للالتزامِ بهذه الضوابط غيرُ موجودٍ لديه، وحينئذٍ فإنه سيندفعُ لتحقيقِ رَغَباتِهِ وشَهَوَاتِهِ في المجتمعِ دونَ مراعاةٍ لما حرَّم اللهُ وما أحلَّ، ولما يتفقُ معَ الخُلُقِ القويمِ والسلوكِ السليمِ.

فالمنافقُ فسدَ قلبُهُ بالنفاقِ والشُّبُهاتِ، وفَسدَ لسانُهُ بالكذبِ، وضِعافُ الإيمانِ في المجتمعِ يتأثرونَ بهِ لما أُعطيَ من جمالٍ في الجسدِ، وحلاوةٍ في اللسانِ، كما وصفَهُمُ اللهُ في كتابه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)﴾ [المنافقون].

ولذلك فهم أخطرُ الناسِ على الأمةِ الإسلاميةِ، قال ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**»(١).

• ونظراً لكونِ المنافقينَ يختلطون بشكلٍ دائم بالمؤمنينَ في مجتمعهم بحيثُ لا يمكنُ التحرزُ منهم، فإنهم يستطيعونَ أن يؤَثِّروا في أفرادِ المجتمعِ بدرجةٍ كبيرةٍ بالتركيزِ على الشُّبُهاتِ، وإلقائِها على ضَعيفِ الإيمانِ وحديثِ العهدِ بالعلمِ ونحوهم مِمَّنْ يكونُ تأثيرُ الشبهاتِ عليهم قوياً مُرَكَّزاً، كما أنَّ المنافقينَ يَعْمَدونَ إلى الهدمِ في المجتمع -لا البناء-، ومعلومٌ أنَّ الهدمَ أهونُ وأسهلُ منَ البناءِ، وبالتالي فإنهم يَحُولونَ بينَ المصلحين وبينَ تهيئةِ الجوِّ الإيمانيِّ الصالحِ لتربيةِ أبناءِ المجتمعِ بالقدوَةِ الحسنةِ والسلوكِ القويمِ. وإذا قالَ لهمُ المصلحونَ لا تُفْسدوا في الأرضِ، قالوا إنما نحنُ مصلحونَ، وهذا دأْبُهم دائماً كما وصفَهُمُ اللهُ في كتابه فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢)﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٢)، والبزار (٣٠٥) عن عمر بن الخطاب، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٣٧/ ٥٩٣)، والبزار (٣٥١٤) عن عمران بن حصين، [«صحيح الترغيب» (١٣٢، ١٣٣)].

• ويكفي للتدليلِ على قوةِ تأثير النفاقِ في المجتمعِ المسلمِ التذكيرُ بما فعلَهُ المنافقونَ على عهدِ النبيِّ ﷺ أثناءَ حادثةِ الإفكِ المشهورةِ، حيثُ تولى زعيمُهم عبدُالله بنُ أُبي بنِ سلولٍ كِبْرَ القولِ بالإفكِ والبهتانِ في حَقِّ أمِّ المؤمنينَ وزوجِ رسولِ الله ﷺ عائشةَ بنتِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنها وروَّجَ ذلكَ في المجتمعِ المسلمِ المكوَّنِ منَ الثُلَّةِ المؤمنةِ الطاهرةِ منْ أصحابِ النبيِّ ﷺ.

والشاهدُ أنَّ المنافقينَ استطاعوا أن يُؤَثروا في بعضِ أفرادِ أطهرِ مجتمعٍ عرَفَتْهُ البشريةُ، فوجدوا منَ المؤمنينَ والمؤمناتِ بل منَ الصحابةِ والصحابياتِ مَنْ يستمعُ إلى أقوالِهم فلا ينكرُها، ولا يَرُدُّها كما هو المفْتَرَضُ بالمؤمنينَ وخصوصاً وهمْ يسمعونَ هذا الكلامَ في عِرْضِ أطهرِ الخلقِ ورسولِ ربِّ العالمينَ، إلى الحدِّ الذي استدعى أن يتَنزلَ القرآنُ مُعاتباً للمؤمنينَ الذينَ يتشكلُ منهمُ المجتمعُ المسلمُ - يومَذاك- على تأثُّرِهم بهذا الإفكِ والبهتانِ الذي روَّجه أهلُ النفاق بينَ الناسِ.

قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور].

فإذا كانَ تأثيرُ أهلِ النفاقِ لا يُنكَرُ حتى في المجتمع الذي كانَ يعيشُ فيه النبيُّ

ﷺ، فإنَّ تأثيرَهُ في مجتمعاتِ المسلمينَ التي جاءتْ بعدَ ذلك أعظمُ، وخطرَه أكبرُ، وواقعُ المسلمينَ اليومَ خيرُ شاهدٍ على ذلكَ.

وبعدَ أن تَعَرَّضْنا لآثارِ النفاقِ الخطيرةِ على الأمةِ الإسلاميةِ، واستبانَتْ لنا أهدافُ المنافقينَ وغاياتُهم، وعرفنا أبرزَ وسائِلهم التي يسلكونها، وأساليبهم التي ينتهجونَها، فإننا لابدَّ أنْ نَخْرُجَ بنتيجةٍ مُؤَكَّدَةٍ لا تَقْبَلُ الشكَّ أو الجَدَلَ، ألا وهي:

وجوبُ المواجهةِ الفوريةِ للنفاقِ وأهله وأساليبِهم، وعدمُ تأخيرها لأيِّ سببٍ منَ الأسبابِ، وتحتَ أيِّ ظرفٍ من الظروف، وحينَ تتخلفُ المواجهةُ، أو تَضْعُفُ عزيمةُ المواجهينَ، فإنَّ البديلَ سيكونُ مظلماً قاتماً، لأنَّ المجتمعَ سيتمُّ تدميرُه على أيدي المنافقين باستخدامِ وسائِلهم التي أشَرْنا آنفاً إلى طَرَفٍ منها، وسيتسلقُ المنافقونَ ويظهرونَ، ويجتهدونَ في تحقيقِ أهدافِهم وعلى رأسِها تدميرُ الإسلامِ، والقضاءِ على المسلمينَ.

بيدَ أنَّ هذه المواجهةَ التي نَنْشُدُها يجب أن تكونَ بالوسائلِ الشرعيةِ فقط، كما هو الحالُ في كلِّ فعلٍ وتحركٍ يقومُ بهِ أهلُ الإسلامِ، فإنَّ الضوابطَ الشرعيةَ هي الإطارُ الذي لا يمكنُ تجاوزُه حتى أثناءِ أكثرِ الحالاتِ خطورةً وصعوبةً، فالغايةُ لا تبرِّرُ الوسيلةَ في الإسلامِ، فكما أنَّ الغايةَ لابدَّ أنْ تكونَ مشروعةً، فإنَّ الوسيلةَ التي يُتَوَصَّلُ بها إلى تلكَ الغايةِ يجبُ أن تكونَ مشروعةً أيضاً.

ومن رحمةِ الله تعالى بهذه الأمةِ أنْ شرعَ لها وسائلَ فعَّالةً وحاسمةً وشاملةً لمعالجةِ قضيةِ النفاق، والتعاملِ معَ المنافقين.

فما هي الوسائلُ الشرعيةُ الواجبُ اتباعُها في مواجهةِ النفاقِ والمنافقين؟

يمكنُ تقسيمُ الوسائلِ الشرعيةِ لمواجهةِ النفاقِ والمنافقينَ إلى قسمين: وسائلُ وقائيةٌ ووسائلُ علاجيةٌ

القسم الأولُ: الوسائل الوقائية

ويغلبُ عليها جانبُ حمايةِ المجتمعِ ووقايتهِ منْ أنْ ينزلقَ عددٌ أكبرُ منْ أفرادِهِ إلى هاويةِ النفاقِ.

الوسيلةُ الأولى: التنفيرُ من النفاقِ والمنافقينَ، والتحذيرُ منَ الاغترارِ بهم

يجبُ أن يُحمى المجتمعُ منَ النفاقِ عنْ طريقِ التنفيرِ منه ومنْ أهلِهِ، لِيَكْرَهَهُمُ الناسُ، ويَنفروا عن أفكارِهم ومناهِجهم. ولا يتأتى ذلكَ إلا بوصفهم بما يستحقونَه من أوصافٍ وردَتْ في الكتابِ العزيزِ.

• فاللهُ عزَّ وجلَّ يصفُ المنافقينَ في كتابه بالكذبِ لِيَنْفِرَ الناسُ عنهم فيقولُ سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون].

ويقولُ سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المجادلة]. ويقول سبحانه: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة]. ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة].

• ويصفُ الله عزَّ وجلَّ المنافقينَ في كتابه بالفسْقِ وأنهم هم الفاسقون لينفرَ الناسُ عنهم.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٦٧﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٩٦﴾ [التوبة]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٣﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ [المنافقون]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨٤﴾ [التوبة].

• ووصف اللهُ عزَّ وجلَّ المنافقين في كتابهِ بالجبنِ والخوفِ

فقال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣﴾ [الأحزاب].

• ووصف اللهُ عزَّ وجلَّ المنافقينَ في كتابه بالبخلِ تنفيراً منهم

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة].

ووصفهُم الله عزَّ وجلَّ في كتابهِ بالكفرِ به وبرسولِه ﷺ، وأخبر عبادَهُ أنَّ المنافقينَ ليسوا بمؤمنين. فقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٥٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى في وصفهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور].

فعلى المسلمينَ حكاماً ومحكومينَ، وعلى العلماءِ والدعاةِ والخطباءِ أن يفضَحوا المنافقينَ في كُلِّ وسائلِ الإعلامِ بذكرِ صفاتِهمُ الخبيثةِ لِيُنَفِّروا الناسَ عنهم حِفاظاً على المجتمعاتِ الإسلاميةِ من شرِّ النفاقِ والمنافقين.

الوسيلةُ الثانية: فضحُ المنافقين بأُخُوَّتِهم لليهودِ، ومحبَّتِهم لهم، والالتقاءِ بهم سراً للقضاءِ على الإسلامِ والمسلمين

• اليهودُ لعنهمُ اللهُ همُ أشدُّ الناسِ عداوةً للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ

﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة].

وعن أمِّ المؤمنينَ صفيةَ بنتِ حيي بنِ أخطبَ رضي الله عنها أنها قالت: كنتُ أحَبَّ ولدِ أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر؛ لم ألقَهما قطُّ مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه.

قالت: فلما قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، ونزلَ قباءَ في بني عمرو بن عوفٍ، غدا عليه أبي حييُّ بنُ أخطبَ وعمي أبو ياسرِ بنِ أخطبَ مُغَلِّسينَ -أي: وقتَ صلاة الفجر-. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالَّيْن كسلانَيْنِ ساقِطَيْنِ يمشيان الهُوينى، قالت: فهَشَشْتُ إليهما كما كنتُ أصنعُ. فوالله! ما التفتَ إليَّ واحدٌ منهما، مع ما بهما من الغمِّ.

قالت: وسمعتُ عمي أبا ياسر، وهو يقولُ لأبي حييِّ بنِ أخطبَ: أهُوَ هُوَ؟ -أي: أهوَ الرسولُ الذي نَعْرِفُه في التوراةِ؟ قال: نعمْ والله! قال: أتعرفُه وتُثْبِتُه؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوتُهُ والله ما بقيتُ[1].

فاليهودُ أعداؤُنا، لا يختلفُ في ذلكَ اثنان، وما يفعلونَهُ من القتلِ والتدميرِ في أرضِ فلسطينَ خاصةً، وفي بلادِ المسلمينَ عامةً لا يخفى على مسلمٍ، ومع ذلكَ أخبرنا اللهُ في كتابه أنَّ المنافقينَ يلتقونَ معَ اليهودِ سراً وفي الخفاءِ ويعترفونَ بألسنتهم أنهم مع اليهودِ.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ -أي: اليهود- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٥١٨-٥١٩).

بل أخبرَنا ربُّنا في كتابِهِ أنَّ المنافقينَ في لقائهم معَ اليهودِ سراً يُخبرونهم أنهم على أتَمِّ الاستعدادِ لخدمَتِهم ونُصْرتهم ضدَّ المسلمين قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر].

• ولما نهى ربُّنا جل وعلا عبادَهُ المؤمنين أن يتخذوا اليهودَ والنصارى أولياء؛ اتخذ المنافقونَ اليهودَ أولياءَ لهم، وتَستَّروا بالأيمانِ الكاذبةِ حتى استحوذَ عليهمُ الشيطانُ فأصبَحوا من حزبِه الهالكِ الخاسرِ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ -وهم المنافقون- ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ

ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة].

فعلى المسلمينَ أن يفضحوا المنافقينَ في كُلِّ وسائلِ الإعلامِ، ويُبَيِّنُوا للناسِ أنهم يلتقونَ باليهودِ سراً، ويقدِّمونَ لهمُ الخَدماتِ للإضرارِ بالإسلامِ والمسلمينَ، تنفيراً للناسِ عنهم، وحمايةً للمجتمعاتِ الإسلاميةِ من خطرِ النفاقِ والمنافقين.

الوسيلة الثالثة: التذكيرُ بشدةِ عقوبتِهم وعظيمِ عذابِهم، وحلولِ اللعنةِ عليهم منَ الله تعالى

• المداومةُ على التركيز بالعقوباتِ الأُخرويةِ التي تقعُ على المنافقينَ تنفعُ المؤمنَ، وتجعلُ بينَه وبينَ النفاقِ حاجزاً قوياً، لا يتجاوزُه حتى في أشدِّ حالاتِ ضعفِه وغفلتِه، وارتكابِهِ للمعاصي والآثامِ، ولذا فقد جاءَ القرآنُ الكريمُ ببيانِ ما أعدَّهُ اللهُ للمنافقين من العذابِ الأليمِ، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم]. وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي

ﭐلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب].

الوسيلة الرابعة: تنقيةُ وسائلِ التأثيرِ في المجتمعِ -كالجيشِ والإعلامِ والتعليمِ- منْ أشخاصِ المنافقينَ وأفكارِهم

أولاً: لأنهم عدوٌّ كما قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤].

ثانياً: لأنهم رجسٌ قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة:٩٥].

ثالثاً: لأنهم خونةٌ قال ﷺ: «**آيَةُ الْـمُنَافِقِ ثَلاَثٌ**» وذكر منها: «**وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[1].

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال].

رابعاً: لأنَّ اللهَ أمرَ نبيَّه ﷺ بمنعِ مشاركةِ المنافقينَ في الجيشِ المسلمِ فقال تعالى:

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [التوبة:٨٣].

وبَيَّنَ ربُّنا جلَّ وعلا لرسوله ﷺ العلةَ منْ ذلك فقال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة].

خامساً: لأنهم بطانةُ شَرٍّ يأمرونَ بالمنكرِ ويَنْهَوْنَ عن المعروفِ ولا يحبونَ الخيرَ للمؤمنين.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٣٣)، ومسلم (٥٩) .

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

فعلى المسلمين حكاماً ومحكومينَ أن يأخذوا بهذه الوسائلِ الشرعيةِ الوقائيةِ لوقايةِ المجتمعاتِ الإسلاميةِ من شَرِّ النفاقِ والمنافقينَ فالوقايةُ خيرٌ من العلاج.

القسمُ الثاني: الوسائلُ العلاجية

ويغلبُ عليها جانبُ التعاملِ مع المنافقينَ بالوعظِ وغيره لعلهم يتركون النفاقَ ويتوبونَ إلى اللهِ قبلَ فواتِ الأوانِ، وقبل أن يندموا في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ.

الوسيلةُ الأولى: وَعْظُهم وتذكيرُهم، وتخويفُهم باللهِ، وبما أعدَّ للمنافقين من العذاب الأليم

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء].

نقولُ لهم يا معشرَ المنافقين! توبوا إلى اللهِ توبةً نصوحاً استجابةً لقوله تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

فالله عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات]. وفتحَ اللهُ أبوابَ التوبةِ على مصراعَيْها حتى أمامَ الكافر فقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

ونقولُ لهم يا معشرَ المنافقين! إنْ لم تتوبوا ومُتُّم على نفاقِكم فأبشِروا بالعذابِ الأليمِ في نارِ جهنمَ. قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

الوسيلةُ الثانيةُ: البراءةُ منهم وهجرُهم، ومقاطعةُ مجالِسِهم

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].

الوسيلةُ الثالثةُ: عدمُ قَبولِ اعتذارِهم وعَدَمُ الرضا عنهم

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وقال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ

﴿لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة].

الوسيلةُ الرابعةُ: عدمُ الاستغفارِ لهم أو الترحُّمِ عليهم أو الصلاةِ على ميِّتهم

قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة].

وكان عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه لا يصلي على مَنْ لم يصل عليه حذيفة؛ لأنه كانَ في غزوةِ تبوك قد عرفَ المنافقينَ الذين عزموا على الفتكِ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم[1].

(١) ذكره البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١٣/ ٤١٣) عن الإمام الشافعي، وانظر «منهاج السنة» (٥/ ١٦٠).

١٢

تبشيرهُ ﷺ لإبليسَ إمامِ أهلِ النارِ بالنارِ والعذابِ المقيمِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

موعدُنا في هذا اليوم إنْ شاءَ اللهُ تعالى معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والمرجان من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: بشاراتُ النبيِّ ﷺ لأهلِ النارِ التي سنتعَرفُ عليها من دراستنا للسيرةِ النبويةِ العطرةِ ألا وهي: **تبشيرُهُ ﷺ لإبليسَ إمامِ أهلِ النار بالنارِ والعذابِ المقيمِ**

أرسلَ اللهُ رسولَهُ محمدًا ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ بشيراً ونذيراً، وأمَرَهُ أن يبشرَ المؤمنينَ الصادقينَ بالجنةِ والنعيمِ المقيمِ، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب].

وأمرهُ أيضاً أن يبشرَ الكافرينَ المجرمينَ بالنارِ والعذابِ الأليمِ فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة].

وإبليسُ منَ الكافرين قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

بل إبليسُ هو إمامُ أئمةِ أهلِ النارِ، فاللهُ سبحانه وتعالى جعلَ للنارِ أئمةً يدعونَ إليها، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص].

فإبليسُ هو إمامُ وزعيمُ أهلِ النارِ، دعاهم إلى حزبهِ الخاسرِ فاستجابوا له، فقادهم إلى النارِ وبئسَ المصير. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

وبشَّر اللهُ إبليسَ وحزبَهُ بالنارِ والعذابِ المقيم فقال تعالى: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشعراء].

وها هو إبليسُ عليه لعنةُ اللهِ بعدَ أن غرَّرَ أتباعَهُ وزَيَّن لهم المعاصيَ وأضلهم حتى دخلوا معهُ النارَ، يتبرأُ منهم ليزدادوا عذاباً وحسرةً في النار قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

والله عزَّ وجلَّ يُوبخ حزب الشيطان فيقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس].

فإبليسُ هو إمامُ حزبِ الشيطانِ الخاسرِ الهالكِ، دعاهم إلى حزبهِ فاستجابوا له، فاحذَرْ يا عبدَ اللهِ! أن تكونَ من حزبِ الشيطانِ، واعلمْ أنَّ الناسَ في هذهِ الدنيا حزبانِ لا ثالثَ لهما: حزبُ اللهِ، وحزبُ الشيطان وحزبُ اللهِ هو الغالبُ دائماً.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

• وحزب الله هو المفلحُ في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

• وحزبُ الشيطانِ هو الخاسرُ الهالكُ ولو سمى نفسَه بحزبِ الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة].

ففي هذه الآياتِ يتبينُ لنا أنَّ المنافقينَ من حزبِ الشيطانِ الخاسرِ، وقد أخبرَنا

اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابهِ أنَّ المنافقينَ هم العَدوُّ فقال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤].

وأخبرَنا في كتابه أيضاً أنَّ الشيطانَ هو العدوُّ المبينُ للإنسانِ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يوسف].

وقد تكلمنا في الجُمَع الماضيةِ عنِ العدوِّ الإنسيِّ منَ الكفارِ والمشركينَ والمرتَدِّينَ والمنافقينَ، وسنبدأُ منَ اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى في الحديثِ عن العدوِّ الجنيِّ الشيطانيِّ وهو إبليسُ عليه لعنةُ الله. والعدوُّ الجنيُّ الشيطانيُّ أخطرُ وأضَرُّ منَ العدوِّ الإنسيِّ، والدليل على ذلك من كتاب الله:

قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون].

فهذه ثلاثُ آياتٍ ليسَ لهنَّ رابعةٌ في معناهنَّ؛ وهو أنَّ اللهَ تعالى يأمرُ بمصانَعةِ

العدوِّ الإنسيِّ والإحسانِ إليه؛ ليردَّه عنه طبعُه الطيبُ الأصلِ إلى الموالاةِ والمصافاةِ، ويأمرُ بالاستعاذةِ به سبحانه من العدوِّ الجنيِّ الشيطانيِّ؛ إذ لا يقبلُ مصانعَةً ولا إحساناً، ولا يبتغي غيرَ هلاكِ ابنِ آدمَ؛ لشدةِ العداوةِ بينَه وبينَ أبيه آدمَ من قبلُ؛ كما قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف:٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾ [الكهف].

وأضفْ إلى خطورةِ العدوِّ الجنيِّ الشيطانيِّ أنهُ يرانا ولا نراه. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ -أي: الشيطانُ- ﴿يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف:٢٧].

وأضفْ أيضاً إلى خطورةِ العدوِّ الجنيِّ الشيطانيِّ أنه يجري منَ ابنِ آدمَ مجرى الدم قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**»[1].

وأضفْ أيضاً إلى خطورةِ هذا العدوِّ أنه يحضرُ الإنسانَ عندَ كُلِّ شيءٍ مِنْ شأنِهِ قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٣٣).

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقولُ للشيطانِ: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء].

وتظهرُ خطورةُ وعداوةُ هذا العدوِّ الجنيِّ الشيطانيِّ منْ أسمائِه التي ذكرَها اللهُ لنا في كتابِه ومنها:

أولاً: إبليسُ

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الحجر].

واسمُ «إبليس» هو الذي يتفقُ وواقعُ حالِ عدوِّ الله، حيثُ الحزنُ والندمُ واليأسُ منْ رحمةِ الله تعالى، وكلُّها من معاني الإبلاسِ، فوافقَ الاسمُ حالَ المسمَّى.

يقولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (إِبْلِيسُ أَبْلَسَهُ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ وَجَعَلَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا عُقُوبَةً لِمَعْصِيَتِهِ)[1].

وقال ابنُ كثيرٍ رحمه اللهُ: (وسَمَّى اللهُ الشيطانَ إبليسَ؛ إعلاماً له بأنه قد أُبْلِسَ منَ الرحمةِ)[2].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤٣).

(٢) ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٨٢).

ثانياً: الشيطانُ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ٢٧﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [البقرة:١٦٨].

وقد ذكرَ اللهُ الشيطانَ في ثمانيةٍ وثمانينَ موضعاً في كتابه يُحَذِّرُ عبادَهُ منه وينهاهم أن يتبعوا خطواتِه؛ لأنه يدعوهم إلى عذابِ السعير.

• والشيطانُ هو كُلُّ مَنِ اقتربَ منَ الشرِّ ودعا إليه، وبَعُدَ عن الخير وحذرَ منه.

ولا ريبَ أنَّ الاقترابَ من الشرِّ والبعدِ عن الخيرِ، هو المعنى الذي يوافقُ حالَ الشيطانِ عدوِّ اللهِ، فقد أخبرَ اللهُ جل وعلا أنه أبعدَ الشيطانَ عنْ كلِّ أسبابِ الخيرِ وسُبُلِهِ.

ومن قرأ كتابَ اللهِ يجدْ أن إبليسَ يدعو الناسَ إلى كلِّ شرٍّ، ويصدُّهم عنْ كلِّ خير، بل قعدَ لهم على كلِّ طرقِ الخيرِ ليمنعَهم منها؛ يقول الله عزَّ وجل عن الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف].

وقد أخبر النبي ﷺ أنَّ الشيطانَ قعدَ لابنِ آدمَ على كُلِّ طرقِ الخيرِ فقال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدمَ بِأَطْرُقِهِ**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٣١٣٤)، وأحمد (٣/ ٤٨٣)، وابن حبان (٤٥٩٣)، [«صحيح الترغيب» (١٢٩٩)].

ثالثاً: الطاغوت

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة].

قال البغويُّ في معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ يعني الشيطان[١].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)﴾ [البقرة].

قال ابنُ عباسٍ وعكرمةُ رضي الله عنهما: الطاغوتُ في الآية الشياطين[٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾ [النساء].

قال ابنُ جرير في معنى قوله ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾: (يعني في طاعةِ الشيطانِ وطريقِهِ ومنهاجِه الذي شرعَهُ لأوليائِه منْ أهلِ الكفرِ بالله)[٣].

ولقد جاءَ لفظُ «الطاغوتِ» في القرآنِ الكريمِ في ثمانيةِ مواضع، وهي في أعمِّ معانيها تدور حول الشيطان وحزبه.

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٣١٤).
(٢) «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٠٦).
(٣) «تفسير الطبري» (٥/ ١٦٩).

• والطاغوتُ هو الشيطانُ، وكلُّ معبودٍ من دونِ الله، والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء].

• وقال الشيخُ محمدُ الأمينُ الشنقيطيُّ رحمه الله: (والتحقيقُ: أنَّ كُلَّ ما عُبدَ من دونِ الله فهو الطاغوتُ، والحظُّ الأكبرُ منَ ذلكَ للشيطانِ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس:٦٠]).

وقال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء].

ولما كانَ الشيطانُ بحبائلِهِ ووسائلِه ومُغْوياتِهِ هو أطولُ باعاً، وأوسعُ حيلةً من غيرِه في إغواءِ الناسِ وإضلالِهم كان أولى مِنْ غيرِه بإطلاقِ اسمِ (الطاغوت) عليه، وكان كلُّ مَنْ دعا إلى ضلالةٍ من ضلالاتِ الشيطانِ طاغوتاً مثله.

رابعاً: الغَرُورُ

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤ ﴾ [الحديد].

أجمعَ المفسرونَ على أن الغَرورَ في الآياتِ هو الشيطانُ.

قال ابنُ عطيةَ: (الغَرورُ: الشيطانُ بإجماعٍ من المتأَوِّلين)[1].

والغَرورُ هو: كلُّ ما يَغُرُّ الإنسانَ من مالٍ وجاهٍ وشهوةٍ وشيطانٍ، وقد فُسِّرَ بالشيطانِ، إذ هوَ أخبثُ الغارِّين.

ولذلك قالَ الشيخُ السِّعديُّ رحمه الله: (الغَرورُ هو الشيطانُ الذي زينَ لكمُ الكفرَ والرَّيْبَ فاطمأننتم به، وَوَثِقْتُمْ بوعدِه وصَدَّقتم خبرَه)[2].

خامساً: الوَسْوَاس

قال تعالى: ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف:٢٠].

قال تعالى: ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ ﴾ [طه].

(١) «تفسير ابن عطية» (١٤/ ٣٠٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ١٧٩).

وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [الناس].

والوَسْوَاس هو الشيطانُ. قال ابنُ جرير في قوله: (﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ يعني: من شرِّ الشيطان)[1].

ولقد جاءَ في الأحاديثِ وصفُ الشيطانِ بالوسوسة

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ. حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ** -أي صوتَ المؤذن- **فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فَإِذَا سَمِعَ الإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ. فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ**»[2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ، لأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ**»[3].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»[4].

---

(١) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٣٥٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم(٣٨٩).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٥١١٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٠٣)، وأحمد (١/ ٢٣٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٥٨)، [تحقيق«الإيمان»لابن تيمية (١٠٢)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤) واللفظ له.

فهذا هو العدو الجنيُّ الشيطانيُّ يدعو وَيَغُرُّ ويوسوسُ بالليلِ والنهار ليخرج بني آدم من النور إلى الظلمات ليكونوا معه في النار، ولا نجاةَ لك يا ابن آدم من هذا العدو إلا أن تستعيذَ بالله منه ومن شره استجابة لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٢٠٠] واستجابة لقوله ﷺ: «**فإذا بلغَ ذلك فليَستعِذ بالله وليَنتَهِ**».

• إبليسُ، الشيطانُ، الطاغوتُ، الغَرورُ، الوَسواسُ هذا العدو المبين، هل هو منَ الملائكةِ أم من الجن؟ للعلماءِ في هذه المسألة قولان:

القولُ الأولُ: قالوا: إنَّ إبليسَ منَ الملائكة واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ [البقرة:٣٤].

قالوا: إن إبليسَ استُثْنِيَ من جملةِ الملائكةِ، والأصلُ في الاستثناءِ الاتصالُ لا الانقطاعُ.

القول الثاني: قالوا: إنَّ إبليسَ منَ الجنِّ وليسَ منَ الملائكةِ واستدلوا بالأدلةِ الآتيةِ:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠].

فالجنُّ غيرُ الملائكةِ، فإبليسُ أصلُ الجنِّ، كما أنَّ آدمَ أصلُ الإنسِ؛ روى الطبريُّ عن الحَسَنِ أنه قال: (ما كانَ إبليسُ منَ الملائكةِ طَرْفَةَ عينٍ قَطُّ، وإنه لأَصْلُ الجنِّ، كما أنَّ آدمَ أصلُ الإنسِ)(١).

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٢٢٦).

٢- أنَّ الملائكةَ خُلِقَتْ من نورٍ، وخُلِقَ إبليسُ من نارٍ، فقد أخبرَ اللهُ عن أصلِ الشيطانِ الذي خُلِقَ منه في قوله تعالى حكايةً عن إبليسَ: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف].

وإبليسُ من الجنِّ، واللهُ تعالى يقولُ عنْ أصلِ خَلْقِ الجنِّ: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن].

وفَرَّقَ النبيُّ ﷺ بينَ مادةِ أصلِ الملائكةِ والجنِّ والإنسِ فيما روته عائشةُ رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**خُلِقَتِ الْـمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْـجَانُّ مِنْ مَارِجٍ**[1] **مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»[2].

٣- عصمةُ الملائكةِ منَ ارتكابِ الكفرِ الذي ارتكبَه إبليسُ، قال تعالى مخبراً عنِ الملائكة: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

ويقول سبحانه: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء]. ويقول سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل].

٤- أنَّ لإبليسَ ذريةً، ولا ذريةَ للملائكةِ لقوله تعالى عن إبليس: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف:٥٠].

(١) المارج: لهب النار المختلط بسواها.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٦).

فهذا صريحٌ في إثباتِ الذريةِ لإبليسَ، قالوا: وإنما قلنا: الملائكةُ لا ذرية لهم، لأنَّ الذريةَ إنما تحصلُ من الذكرِ والأنثى، والملائكةُ لا أنثى فيهم لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف].

فأنكرَ تعالى على مَنْ حَكَمَ عليهم بالأنوثَةِ، فإذا انتفَتِ الأنوثةُ، انتفى التوالدُ لا محالةَ، فانتفَتِ الذريةُ بذلك.

٥- أنَّ الملائكةَ رسُلٌ لقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر:١]. والله قد عصمَ رسلَه من الوقوع في المعاصي قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وإبليسُ غيرُ معصومٍ لِما وقعَ فيه، فوجَبَ أن لا يكونَ من الملائكةِ

والقولُ الراجحُ: هو القولُ الثاني؛ أنَّ إبليسَ منَ الجنِّ وليسَ منَ الملائكةِ.

يقولُ ابنُ كثيرٍ: (إنَّ اللهَ تعالى لما أمرَ الملائكةَ بالسجودِ لآدمَ، دخلَ إبليسُ في خطابِهم لأنه وإنْ لم يكن من عُنصرِهم، إلا أنه كانَ قد تشبّه بهم وتوسَّمَ بأفعالِهم، فلهذا دخلَ في الخطابِ لهم، وذُمَّ في مخالفةِ الأمر)(١).

ويقولُ ابن تيمية رحمه الله: (والتحقيقُ: أنه -أيْ إبليسُ- كانَ منهم باعتبارِ

(١) [«تفسير ابن كثير» (١/ ٧٨)].

صورتِهِ وليسَ منهم باعتبارِ أصلِه)[1].

تنبيه!

لقد تمَّ فصل الخطب المتعلقة بإبليس عن هذه السلسلة وقد خرجت كتاباً بعنوان: «مداخل الشيطان على الإنسان».

أعاذنا الله من شرِّ إبليسَ وحزبِهِ

(١) [«مجموع فتاوى ابن تيمية» (٤/ ٣٤٦)].

١٣

فرعون

قائدُ الطغاةِ، وزعيمُ العصاةِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

لما بعثَ اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ بشيراً ونذيراً أمرهُ أن يُبشرَ المؤمنينَ الصادقينَ بالجنةِ والنعيمِ المقيمِ.

فقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ

ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

وأمرهُ أيضاً أن يبشرَ الكافرينَ المعاندين المجرمين بالنارِ والعذابِ الأليمِ فقال له: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة].

والمبَشَّرونَ بالنارِ قسمان:

القسمُ الأولُ: المبَشَّرون بالنارِ ولا توبةَ لهم، ويُخَلَّدونَ فيها، ولا يخرجون منها أبداً، وهم وقودُ النار، وهمُ المجرمونَ الذين قالَ اللهُ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزُّخرُف].

القسمُ الثاني: المبَشَّرونَ بالنَّارِ ولهم توبةٌ، وهم أصحابُ الكبائر، وهؤلاءِ في مشيئةِ الله؛ إنْ شاءَ عَذَّبهم بعدلِهِ في النار ولا يُخَلَّدون فيها، وإنْ شاءَ غفر لهم وعفا عنهم.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع مجرمٍ من القسمِ الأولِ الذين بُشِّروا بالنارِ ولا توبةَ لهم، أتدرونَ من هو يا عباد الله؟

إنه: فرعونُ؛ قائدُ الطغاةِ، وزعيمُ العُصاةِ.

والأدلةُ مِن كتابِ رَبِّنا على أَنَّ فرعونَ منَ المخَلَّدين في النار، ولا توبة لهم:

قولُه تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

ففي هذه الآياتِ جمعَ اللهُ على فرعونَ ما يلي:

١ - لَعَنَهُ.

٢ - أغرقَهُ.

٣- نقلهُ من عذابِ الدنيا (الغرقُ) إلى عذابِ القبرِ.

٤ - نقلهُ من عذابِ القبرِ إلى عذابِ جهنمَ وبئسَ المصيرُ.

٥ - حَرَمَهُ من التوبةِ.

كلُّ ذلك بسببِ الجرائمِ التي ارتكبَها فرعونُ في حياته.

فما هي الجرائمُ التي ارتكبها فرعونُ في حياتِه حتى عُذِّبَ في الدنيا وفي القبر وخُلِّدَ في النارِ؟

الجريمةُ الأولى: ادعاؤُه الربوبيةَ:

قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات].

الجريمة الثانية: ادعاؤه الألوهية:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص].

وقال -لعنه الله- لموسى عليه السلام: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء].

الجريمة الثالثةُ: استهزاؤهُ بنبيِّ اللهِ موسى، واتخاذُهُ قراراً بقتلِه، واستخفافُهُ بقومِهِ

قال -لعنهُ الله- لقومِه: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ

أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزُّخرُف].

وقال لهم أيضاً: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر].

وقال لهم أيضاً: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال -لعنهُ الله- لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء].

الجريمةُ الرابعةُ: عُلُوُّهُ وإفسادُهُ واستكبارُهُ في الأرض.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص].

الجريمةُ الخامسة: تكذيبُهُ وجَحْدُهُ لآيات الله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْأَيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النازعات].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال].

الجريمة السادسة: إضلالُهُ لقومِهِ:

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود].

الجريمة السابعةُ: ظلمهُ واعتداؤهُ وتعذيبهُ لكلِّ مَنْ آمنَ بالله عز وجل.

أولاً: ظلمُهُ وتعذيبُهُ لبني إسرائيلَ رجالاً ونساءً وأطفالاً؟

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة].

ثانياً: ظلمُه وتعذيبُه لِامرأَتِهِ المؤمنةِ التي هي من خيرِ نساءِ العالمين.

يقول ﷺ: «**سَيِّداتُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْدَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ: فَاطِمَةُ، وَخَدِيجَةُ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**»[1].

وقال ﷺ: «**حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**» وذكر منهن: «**وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**»[2].

لما آمنَتْ آسيةُ امرأَةُ فرعونَ، اشتدَّ غضبُهُ وجُنَّ جنونُهُ، وأخذ يَصُبُّ عليها العذابَ صَبّاً، وهي ثابتةٌ على دينِها، فأرسلَ اللهُ ملائكتَهُ تُظَلِّلُها بأجنحتها، وبَشَّرَها ببيتٍ في الجنة، وضَرَبَ بإيمانها المثَلَ الأعلى لكلِّ مَنْ جاءَ بعدها.

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢١٧٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٢٤)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٧٨)، وأحمد (٣/ ١٣٥)، وأبو يعلى (٣٠٣٩)، وابن حبان (٧٠٠٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٠٨)].

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم].

ورسولُنا ﷺ في سُنَّتِهِ يُخْبِرُنا عن آسية امرأتِ فرعونَ وهي تضربُ للرجالِ وللنساءِ أروعَ الأمثلةِ في الثباتِ على الدينِ والطمعِ في جناتِ النعيم.

ويقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه -وقولُهُ حكمُ المرفوعِ-: (**أَنَّ فِرْعَوْنَ أَوْتَدَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، فَكَانَ إِذَا تَفَرَّقُوا عَنْهَا ظَلَّلَتْهَا الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ:** ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم])[(١)].

ثالثاً: ظلمُهُ وتهديدُهُ وتعذيبُهُ للسَّحَرةِ عندما آمنوا:

لما قالَ السحرةُ: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

الجريمة الثامنة: مكرُهُ بالرَّجُلِ المؤمنِ الذي يكتُمُ إيمانَه:

لما قال فرعون: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ [غافر:٢٦].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٦٤٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٥٠٨)].

قامَ هذا الرجلُ المؤمنُ من آل فرعونَ ولكنه يكتمُ إيمانَه يدافعُ عن موسى عليه السلامُ ويقولُ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨].

وقال لهم أيضاً: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر:٢٩].

وقال لهم أيضاً: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر].

ومع ذلك فإن فرعون مُصِرٌّ على قراره.

فقال الرجُلُ المؤمنُ أيضاً: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [غافر].

وقال لهم أيضاً: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ [غافر].

فكشَفَ الرجلُ المؤمِنُ الذي يكتمُ إيمانَه عن إيمانه أمامَ فرعون، وبينَ لهم سبيلَه الذي يسلكه، وهو سبيل الرشادِ -أي: أنه آمنَ بما جاءَ به موسى- وليس هو على سبيلِ فرعونَ، لأن سبيلَ فرعونَ هو سبيلُ الهلاكِ والضلال.

وقال لهم هذا الرجلُ المؤمنُ بأعلى صوته: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر].

فهمَّ فرعونُ -عليه لعنةُ الله- أن يقتلَ هذا الرجلَ المؤمنَ، فنجاهُ اللهُ منه.

قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

هذا هو فرعونُ قائدُ الطغاةِ، وزعيمُ العصاةِ، وإمامُ الجبابرةِ، الذي قالَ الله فيه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر].

١٤

قارونُ

الأحمقُ المغرورُ، عابدُ المالِ، المتكبرُ الجهولُ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف].

موعدُنا في هذا اليوم إن شاءَ اللهُ تعالى مع مجرمٍ جديدٍ من المُبَشَّرين بالنّار، الذين لا تَوبةَ لهم، ويُخَلَّدونَ في النارِ ولا يخرجون منها أبداً:

١- لأنهم كفروا باللهِ ورسلِه.

٢- لأنهم معانِدون للحق.

٣- لأنهم مانعونَ للخيرِ، ساعون للشرِّ والفسادِ في الأرض.

٤- لأنهم معتدون مكذبون.

٥- لأنهم عبدوا الدنيا ونسوا الآخرة.

أتدرون من هو هذا المجرمُ يا عبادَ الله؟!

إنه: قارونُ؛ الأحمقُ المغرورُ، عابدُ المالِ، المتكبرُ الجهولُ.

قارونُ: الذي بسببِ حُبِّهِ للمالِ ماتَ قلبُه، وعميت بصيرتُه، فضَلَّ السبيلَ، فلم يرَ إلا نفسَه، ولم يؤمنْ إلا بمالِهِ، فمالُهُ إلهُه الذي يعبدُه، استهزأ بالفقراءِ، واتهمهم بالغباءِ، وكذَّبَ نبيَّ الله موسى عليه السلام، ووحي السماء، فجعله اللهُ معَ الأشقياءِ، فجمع بينه وبينَ فرعونَ وهامان، لأنهمُ اشتركوا جميعاً في الطغيانِ فتجاوزوا الحدَّ في الكفرِ والتكذيبِ والبغي والفساد.

ففرعونُ طغا بسببِ مُلكِهِ وسُلطانِه، ولذلك دعا قومَه لعبادته، فقال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨].

وقال لموسى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩﴾ [الشعراء].

وهامانُ طغى بسببِ وزارته، فهو وزيرُ السوءِ لفرعونَ، ولذلك فهو ينفذُ أوامرَ فرعونَ بلا تردد.

وقارونُ طغى بسبب الغنى والثراءِ.

وهذه هي أسبابُ الطغيانِ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ: الملكُ، المنصبُ، المالُ.

ولذلك جمعَ اللهُ بينهم في:

قولِه تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ

وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر].

وقد تكلمنا عن فرعون في الجمعة الماضية، وتبين لنا كيف انتقم اللهُ منه فعَذَّبه في الدنيا بالغرق، ثم نقلَه إلى عذابِ القبرِ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]، ثم نقله إلى عذاب جهنم وبئس المصير ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

وها هو قارونُ -المجرمُ الثاني- لما طغى وبغى وكفرَ خسفَ اللهُ به وبداره الأرض.

قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص].

وقال ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، مُرَجِّلًا جُمَّتَهُ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1].

وقال ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: العِزُّ إِزارِي، والكِبرِياءُ رِدائي، فَمن نَازعني بِشيءٍ مِنهُما عَذبتُه»[2].

هكذا ينتقمُ اللهُ منَ الظَّلَمَةِ والطغاةِ، والجبابرة، والمتكبرين.

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود]»[3].

ما هي الجرائمُ التي اقترفَها قارونُ حتى استحقَّ عذابَ الدنيا والآخرة؟

الجريمة الأولى: البغي.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ [القصص:٧٦].

والبغيُ هو مجاوزةُ الحدِّ في كُلِّ شيءٍ.

والبغيُ حرامٌ حَرَّمَه اللهُ ورسولُه ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٢)، والبزار (٨٢٧١)، والطبراني في «الأوسط»(٤٦٩٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧٨٠٨)، [«صحيح الجامع» (١٩٠٨)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ**»[1].

وقال ﷺ: «**سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ: «**الْأَشَرُ وَالْبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ**»[2].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَجَعَلَ اللهُ الْبَاغِيَ مِنْهُمَا دَكًّا)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٠١٦)، والحاكم (٧٣١١) واللفظ له، [«السلسلة الصحيحة» (٦٨٠)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١١)، وأبو داود (٤٩٠٢)، وابن ماجه (٤٢١١)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٧)].

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم البغي» (ص٩١).

وعن سعيد بن جبير -رحمه الله- أنه قال في تفسير قوله تعالى: (﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص:٨٣] أي: بغيا)[١].

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ -رحمه الله- قَالَ: (ثَلَاثُ خِصَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ: الْبَغْيُ، وَالنُّكْثُ، وَالْـمَكْرُ. وَقَرَأَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣]، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح:١٠])[٢].

الجريمةُ الثانيةُ: البَطَرُ:

قارونُ دفعَه الغنى والثراءُ إلى البطرِ، ودفعهُ البطرُ إلى الفرحِ والمَرَحِ بغير الحق، ودفعه أيضاً إلى ردِّ الحق.

ولذلك لما نصحه العقلاءُ من قومه، فقالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ [القصص].

ردَّ قارونُ النصِيحةَ بَطَراً، وقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص:٧٨].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم البغي» (ص٨٨).

والبطرُ أنواعٌ عديدةٌ أهمُّها:

١- بطرُ الغِنى؛ كبطرِ قارون.

٢- بطرُ المُلك؛ كبطر فرعون.

٣- بطرُ المنصبِ والوظيفةِ؛ كبطرِ هامان.

٤- بطرُ الجاهِ والمكانةِ الاجتماعيةِ، كبطرِ أبي جهلٍ وأمثالِه، الذين خرجوا يومَ بدرٍ من ديارهم ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:٤٧].

والبطرُ حرامٌ:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ٤٧﴾ [الأنفال].

لأن البطرَ سببٌ لهلاكِ الأفرادِ والأممِ.

قال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَـٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨﴾ [القصص].

ولأن البطرَ سببٌ لدخول النار.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق].

وقد حذر رسولُ الله ﷺ أمته من البطر؛ فقال ﷺ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا**»[1].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**».

إلى أن قال ﷺ: «**الْـخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: فَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَلِرَجُلٍ وِزْرٌ**».

إلى أن قال ﷺ: «**أَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ وِزْرٌ فَالَّذِي يَتَّخِذُهَا أَشَرًا وَبَطَرًا، وَبَذَخًا وَرِيَاءَ النَّاسِ، فَذَاكَ الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ وِزْرٌ...**»[2] **الحديث**.

الجريمة الثالثة: أرادَ الدنيا ونسيَ الآخرة.

قال له العقلاءُ من قومِه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص].

فلم يقبلِ النصيحةَ واغترَّ بالدنيا الفانيةِ فهلك وذلَّ وبُشِّرَ بالنار، وهكذا تَفعلُ الدنيا بأهلها.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٩٨٧)

أولاً: تُهلكُهُم: وهذا يُؤْخَذُ من قصةِ قارونَ فقد أحبَّ الدنيا وركنَ إليها فَهَلَكَ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص:٧٦].

وسببُ بغيِهِ هذا: المالُ، الدنيا، الغنى.

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦].

والله عز وجل يصفُ لنا قارونَ وهو مُغْتَرٌّ بدنياه.

فيقول سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص].

في الوقت الذي اغترَّ فيه قارونُ بدنياه أهلكه الله قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص:٨١].

فالدنيا يا عبادَ الله! تُهلكُ من ركنَ إليها وأحبَّها ونسيَ الآخرة.

يقول ﷺ: «**فَوَالله مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»[1].

وقال ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٥٦)، والدارمي (٢٧٧٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٥٠)].

ثانيا: تُذِلُّـهُم: مَنْ أحبَّ الدنيا وركنَ إليها ونسيَ الآخرة ذَلَّ.

قال ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ** -كناية عن حبِّ الدنيا- **وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ** -أي: عنكم- **حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(١).

وقال ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»(٢).

ثالثاً: تُفقرُهم وتُشَتِّتُ شملَهم.

قال ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ**»(٣).

رابعاً: تُدخلُهُمَ النارَ.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٣١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٨)، [«صحيح الترغيب» (١٣٨٩)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٨٦).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٦٥) عن أنس، والطبراني في «الكبير» (١١٦٩٠) عن ابن عباس، [«صحيح الترغيب» (٣١٦٩)].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ -أي: الدنيا- ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

ولذلك حَذَّرَ اللهُ عز وجل عبادَه من الدنيا، ومِنَ الاغترارِ بها، ووصَفها لهم في كتابه:

فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

وحَذَّرَ النبيُّ ﷺ أمتهُ من الدنيا حتى لا ينخدعوا بها فيهلكوا.

قال ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**»[1].

ورَبَّى النَّبيُّ ﷺ أصحابَه على الزهدِ في الدنيا.

يقول ابنُ عمرُ رضي الله عنهما: (أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»).

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْـمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)[2].

أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**»[3].

وضربَ النبيُّ ﷺ لأصحابه ولأمتِهِ أروعَ الأمثلة في الزهدِ في الدنيا:

عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ ﷺ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٦).

(٣) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (٤١٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٥٩٧٢)، والحاكم (٧٨٧٣)، [«صحيح الترغيب» (٣٢١٣)].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، والبزار (١٥٣٣)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٨٢)].

وعن عمرِو بنِ الحارثِ رضي الله عنه قال: (مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَلَا عَبْدًا وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ، وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً)[1].

الجريمة الرابعة: الإفسادُ في الأرض.

قال له العقلاءُ من قومه: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص].

فلم يستجبْ لنصيحتهم وأفسدَ بمالِهِ في الأرض فانتقمَ الله منه لأن الإفسادَ في الأرض حرامٌ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة].

وهدَّدَ اللهُ المفسدين في الأرض.

فقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس:٨١].

وقال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل:١٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٣٩).

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص].

فيا معشرَ الأغنياء!

أولاً: اعتبروا بما حدث لقارونَ، فالعاقلُ من اتعظ بغيره.

ثانياً: هكذا تزولُ النعم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

أيها الغني!

إذا كنتَ في نعمةٍ فارْعَها ... فإنَّ المعاصي تُزيلُ النعم

وحافظْ عليها بشكر الإله ... فإنَّ الإلهَ سريعُ النِّقَم

ثالثاً: ابتغوا بنعمِ اللهِ عليكم الدارَ الآخرة.

استجابةً لقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ ﴾ [القصص:٧٧].

رابعاً: تمتعوا بنعم اللهِ بما أحلهُ الله لكم.

استجابةً لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [القصص:٧٧].

خامساً: أَحسنوا إلى عبادِ الله بهذه النعم كما أحسنَ اللهُ إليكم.

استجابةً لقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [القصص:٧٧].

سادساً: احذروا أن تفسدوا في الأرض بنعمِ الله التي أنعم بها عليكم.

استجابةً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦].

لأن الله لا يُحبُّ الفساد، ولا يحبُّ المفسدين.

١٥

ابنُ نوح

كافرٌ بالله ... عاقٌّ لوالِده ... عملٌ غيرُ صالح

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤﴾ [طه:٧٤].

ويقول سبحانه: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٤ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ [الصافات].

موعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع مجرمٍ جديد من المبَشَّرينَ بالخلودِ في النار، ولا يخرجونَ منها أبداً، لأنهم كفروا بالله، وماتوا وهم كافرون. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **ابنُ نوحٍ؛ كافرٌ بالله، عاقٌّ لوالِده، عملٌ غيرُ صالح.**

نوحٌ عليه السلام رسولٌ من أولي العزم من الرسُل.

ابنُ نوحٍ كفرَ باللهِ وبرسولِهِ فهلك بالغَرَقِ مع الكافرين. قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝٣٧﴾ إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا

بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود].

فأهلَكَ اللهُ ابنَ نوحٍ ومن معهُ من قومِ نوحٍ بالغرقِ، ونقلهم سبحانه من عذابِ الدنيا إلى عذابِ القبر. فيقول سبحانه: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾ -وهي الكفرُ بالله ورسولِه- ﴿أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ -وهي نارُ القبر التي دخلوها بعد الغرق مباشرةً- ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح].

ونقلهم سبحانهُ من عذابِ القبرِ إلى عذابِ جهنمَ وبئسَ المصير، فجمعَ عليهم بكفرهم عذابَ الدنيا، وعذابَ القبرِ، وعذابَ جهنمَ، جزاءً وفاقاً، ولا يظلمُ ربُّك أحداً.

قال تعالى عن ابن نوحٍ ومن كفر معه من الكافرين: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ -ومنهم ابن نوح- ﴿وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم].

إلى أن قال ربُّ العزةِ: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم].

ما هي الجرائمُ التي ارتكبها ابنُ نوحٍ حتى جمعَ اللهُ عليه وعلى من كفر معه عذابَ الدنيا، وعذابَ القبرِ، وعذابَ الآخرةِ؟

الجريمة الأولى: الكفرُ بالله وبرسولِه

ابنُ نوحٍ كافرٌ؛ كفرَ باللهِ وبرسولِه، والدليلُ على ذلك:

الدليل الأولُ: قولُه تعالى على لسان نوحٍ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فلم يستجبْ لدعوةِ أبيهِ فهلكَ مع الهالكين. قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود].

الدليلُ الثاني: قولُه تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود].

الدليلُ الثالثُ: قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود].

وابنُ نوحٍ منَ الذين ظلموا لقوله تعالى بعد أن أغرقَ ابنَ نوحٍ ومن معهُ من الكافرين: ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود]. والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة].

الدليلُ الرابعُ: قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ﴾ [المؤمنون:٢٧].

وابنُ نوحٍ منَ الذين سبق عليهم القولُ، لأنه لم يؤمن وماتَ كافراً، لأنَّ هؤلاء الذين سبقَ عليهم القولُ لن يؤمنوا أبداً ولو جاءتهم كلُّ آية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس].

فابنُ نوحٍ كفرَ باللهِ وبرسوله فبُشِّر بالنارِ وهل أُعدَّتِ النارُ إلا للكافرين قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

ولعنَ اللهُ الكافرينَ وأعدَّ لهم سعيرا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة].

وأعدَّ للكافرين في النارِ عذاباً أليماً. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ

﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

وقفاتٌ معَ هلاكِ ابنِ نوحٍ وقومِ نوحٍ

الوقفةُ الأولى: العاقلُ من اتعظ بغيره، والشقيُّ من شَقِيَ في بطنِ أمِّه

جعل اللهُ هلاكَ قومِ نوحٍ وابنِهِ، ونجاةَ نوحٍ عليه السلام والذين آمنوا معه في السفينة عبرةً لمن أراد أن يعتبر، وآيةً لمن أراد أن يتذكر.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ

﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر].

• فالعاقلُ منِ اتعظَ بغيره، ولذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

• فعلى الأممِ الكافرةِ اليومَ -وكذا المسلمين- أن تعتبرَ بالأممِ الكافرةِ قبلَها وكيف انتقمَ الله منهم.

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ [المرسلات].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد].

فيا معشرَ الكفارِ في كُلِّ مكانٍ وزمانٍ، اعتبروا بهلاكِ ابنِ نوحٍ وقومِ نوحٍ وآمِنوا قبل أن يَحِلَّ بكم ما حلَّ بهم فتندموا في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندم. قال تعالى:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال].

الوقفةُ الثانية: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُه، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1]

أي: مَنْ أخَّرَهُ عملهُ السيءُ وتفريطهُ في العملِ الصالحِ لم ينفعْهُ في الآخرةِ شرفُ النسبِ، وفضيلةُ الآباءِ، ولا يُسرعُ به إلى الجنة، بل يُقَدَّمُ العاملُ بالطاعةِ -ولو كانَ عبداً حبشياً- على غيرِ العامل -ولو كان شريفاً قرشياً- قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

• والأنسابُ التي تربطُ بينَ الناس قسمان:

القسمُ الأولُ: أنسابٌ مؤقتةٌ تنفعُ صاحبَها في الدنيا فقط ولا عبرةَ لها يومَ القيامةِ: وهي نسبُ الدمِ واللحمِ والعشيرةِ وغيرِها، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس].

القسمُ الثاني: أنسابٌ مؤبدةٌ دائمةٌ تنفعُ صاحبَها في الدنيا والآخرة، وهي: نسبةُ الإيمانِ والطاعةِ والأخوةِ في الله.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾ -أي: بالإيمان- ﴿إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣]. وقال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

وقال ﷺ: «الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ...»[1]. ولذلك فأهليةُ الأنبياءِ ليست أهليةَ الدمِ واللحم، وإنما أهليةُ الإيمانِ والمنهجِ والاتباعِ، فأهلُ الرسولِ همُ الذين آمنوا به واتبعوه.

قال تعالى عن إبرهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم:٣٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران:٦٨].

ولذلك عندما دعا نوحٌ عليه السلام ربَّهُ أن ينجزَ له وعدَه بنجاةِ أهلِه ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ [هود:٤٠]. وابنُ نوح من أهلِه؛ فاللهُ عزَّ وجلّ أخبرهُ أنَّ ابنَه كافرٌ، والكفرُ عملٌ غيرُ صالحٍ؛ لذلك لا يُعَدُّ من أهله؛ لأنَّ أهلَه همُ المؤمنونَ به، فاللهُ عزَّ وجلَّ لم ينكر أُبوَّة نوحٍ لابنه، وإنما تحدَّثَ عنه كعملٍ غيرِ صالحٍ؛ ولذلك انفصلتِ العلاقةُ والصلةُ التي تربطُ بينهما.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ -أي: ليس من أهل إيمانك-

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود].

عبادَ الله! احرصوا على النسبِ الذي ينفعُكم في الدنيا والآخرة، وهو نسبُ الإيمانِ والأُخوة، واحذروا أن تتمسكوا وتفخروا بنسبِ اللحمِ والدمِ والعشيرةِ دونَ إيمانٍ، فإنه لا ينفعُ صاحبَه يومَ القيامة.

قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [الممتحنة]. وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم].

ولذلك عندما أنزلَ اللهُ على رسولِه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] قامَ رسولُ الله ﷺ على الصفا فقال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ! سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦) واللفظ له.

الجريمة الثانيةُ: العقوقُ

ابنُ نوحٍ كفرَ باللهِ وعقَّ والدَهُ عندما دعاهُ للإيمانِ والركوبِ معهُ في السفينةِ فأبى وعصى فهلك مع الهالكين.

يظهرُ ذلك من قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود].

وهذا مصيرُ مَنْ لم يستجبْ لوالِده، فكم من ولدٍ لم يستجبْ لوالِده، وتعلَّقَ بسببٍ كما تعلَّقَ ابنُ نوحٍ بالجبل، وظنَّ أنَّ فيه النجاةَ فهلكَ مع الهالكين! وكم من ولدٍ لم يستجبْ لنصيحةِ أبيه فأصبح ضحيةً من ضحايا المخدِّرات، والسجونِ والزنا ورفقاء السوءِ، وخرجَ من الدنيا على أسوءِ حالٍ، وندمَ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندم.

نعمْ! واللهِ! لأنهُ مَنْ عقَّ والديه كان جباراً شقياً، ومن برَّ والديه لم يكنْ جباراً شقياً، بل كان صالحاً تقياً. قال تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم].

والعقوقُ جريمةٌ نكراءُ يرتكبُها الإنسانُ في حقِّ نفسه، وفي حقِّ والديه، لأنهُ عرَّضَ نفسَه للعنةِ الله وسَخَطِه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد].

• ولنا وقفةٌ مع عقوق ابن نوحٍ لوالدِه ألا وهي: **الأمُّ وأثرُها في تربيةِ الأولادِ** في قصة نوحٍ مع ابنهِ إشارةٌ إلى أثرِ الأمِّ في تربيةِ الولد، إذا ضَمَمْنا إليها قصةَ إبراهيمَ معَ ولدِه إسماعيلَ.

١- نوحٌ عليه السلام أرادَ لولده النجاةَ ولكنه كان عاصياً معرضاً قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود].

٢- وإبراهيمُ عليه السلام أرادَ لولِده الذبحَ فوجده صابراً راضياً قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات].

ولعلَّ الإشارَة هنا إنما تكمُنُ في أثرِ تربيةِ الأمِّ في سلوكِ الولدِ، فمَنْ هيَ أمُّ ابنِ نوحٍ، ومن هي أمُّ ابن إبراهيمَ؟

• زوجةُ نوحٍ عليه السلام كانت كافرةً، ضربَ اللهُ بها في كتابِه مثلاً في الكفر. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ [التحريم:١٠].

• أما زوجةُ إبراهيمَ عليه السلام فهي هاجرُ أمُّ إسماعيلَ المؤمنةُ، التي ضربت أروعَ الأمثلةِ في الإيمانِ والتوكلِ على اللهِ عزَّ وجلَّ، وذلك عندما أخذها وابنها إسماعيلَ

ووضعهما عندَ البيتِ الحرامِ، في مكانٍ لا إنسَ فيه ولا ماءَ، ثم تركهما فتبعته أمُّ إسماعيلَ وهي تقولُ له: يا إبراهيمُ! أينَ تذهبُ وتتركُنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟! فقالت له ذلك مِراراً وتكراراً وجعل لا يلتفتُ إليها، فقالت له: آللهُ أمركَ بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يُضَيِّعُنا، ثم رجعت.

وهنا ظهرَ أثرُ الأمِّ في التربية؛ حيثُ ظهرت هذه النتائجُ عندَ الامتحانِ والاختبارِ، وهذا يجعلُنا نحرصُ عند الزواج على صاحبةِ الدين، التي ستكونُ أمّاً للأولادِ بعدَ الزواج[1].

كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ يقول: «**فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[2].

(١) انظر: كتاب «وقفات في حياة الأنبياء».

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

١٦

آزرُ والدُ إبراهيمَ عليه السلام

كافرٌ بالله ... عابدٌ للأصنامِ والتماثيل ... عَدُوٌّ للهِ ولرسوله

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف].

موعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع مجرمٍ جديد ممن بُشِّرَ بالخلودِ في النار، ولا يخرجُ منها أبداً، لأنه كفر بالله، ومات كافراً. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **آزرُ والدُ إبراهيمَ عليه السلام؛ كافرٌ باللهِ، عابدٌ للأصنامِ والتماثيل، عدوٌّ للهِ ولرسولِه.**

• عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ[1]؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى**

(١) (**الأبعد**): أي من رحمة الله.

الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ! مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ، فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ[1] مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ»[2].

كيف لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل].

ما هي الجرائمُ التي ارتكبها آزرُ حتى بُشِّرَ بالنارِ وخُلِّدَ فيها؟

ارتكبَ آزرُ جرائمَ عديدةً منها: الكفرُ باللهِ، الصدُّ عن سبيلِ اللهِ، عبادةُ الأصنامِ والتماثيلِ والدفاعُ عنها وصُنعُها وبيعُها، عبادةُ الشيطانِ وغيرُها منَ الجرائم يظهرُ ذلك من:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ

(١) (بذيخٍ): بضبع كثير الشعر.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٣٥٠).

﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة:٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)﴾ [التوبة].

وقفاتٌ مع هذه الآيات فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ

الوقفةُ الأولى: من لم يستجبْ لرسلِ الله وكفرَ وسلكَ سبيلَ المجرمين، عذَّبَهُ اللهُ في الدنيا والآخرة مهما كان قُربُهُ ونسبُهُ؛ سواءٌ كان أباً لنبيٍّ، أو ابناً لنبيٍّ، أو عماً لنبيٍّ، أو زوجةً لنبيٍّ.

• فهذا إبراهيمُ عليه السلام حَذَّرَ أباه عصيانَ الله وعِصْيانَهُ فقال له: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)﴾ [مريم]. فلم يستجب آزرُ لإبراهيمَ عليه السلام فعذبهُ الله وأخزاهُ في جهنم، يقول ﷺ: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ**[1]**؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ**

(١) (الأبعد): أي من رحمة الله.

عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ! مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ، فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ[1] مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ»[2].

• وهذا ابنُ نوحٍ لم يستجبْ لأبيه وقال: سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء، فعذّبه الله على كفره، وهلك مع الهالكين، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود].

• وهذا أبو طالبٍ عمُّ النبيِّ ﷺ لم يستجبْ لرسولِ الله ﷺ وماتَ على كفره، على ملة عبدِالمطلبِ، فعذَّبهُ اللهُ في النارِ:

عن العباسِ بنِ عبدِالمطلبِ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ، فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ**»[3]. -أي: من النار-.

وعنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»[4].

---

(١) (بذيخٍ): بضبع كثير الشعر.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٣٥٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩) واللفظ له.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٢).

• وزوجتا نبيِّ اللهِ نوحٍ ولوطٍ عليهما السلام لم يستجيبا لرسولِ اللهِ ﷺ فعذّبهما الله في النار. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم].

فالنسبُ يا عبادَ اللهِ! لا ينفعُ صاحبَهُ بدونِ إيمانٍ باللهِ، واستجابةٍ لرسلِ اللهِ. قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون].

وقال ﷺ: «**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١).

ولذلك لا يجوزُ لأحدٍ أن يُعَيِّرَ أحداً بأبيه أو بابنه أو بعمِّه أو بزوجته إذا أصرَّ على الكفرِ والمعاصي، بعد أن بذلَ جهدَه في نصحِه وهدايته أو لم يبذلْ شيئاً، أو لم يتيسرْ لهُ سبيلٌ لدعوتِهم إلى حقٍّ لِصِغَرٍ في السنِّ، أو بعدٍ أو تأخرِ هدايةٍ إلى الإسلام، أو لغيرِ ذلك؛ فاللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم].

ولذلك فمن أراد النجاةَ فعليه بالإيمانِ الصادقِ، والإستجابةِ للهِ ورسلهِ، واتباعِ سبيلِ المؤمنين استجابةً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩).

إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال].

واستجابةً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

الوقفةُ الثانية: التأسي بإبراهيمَ عليه السلام في عقيدةِ الولاءِ والبراء

أمرنا اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه أن نتأسَّى بإبراهيمَ عليه السلام في عقيدةِ الولاءِ والبراءِ التي هي من لوازمِ «لا إله إلا الله» قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

فالولاءُ والبراءُ أوثقُ عُرى الإيمان قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ: «**أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟**» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**الْـمُوَالَاةُ فِي الله، وَالْـمُعَادَاةُ فِي الله، وَالْـحُبُّ فِي الله، وَالْبُغْضُ فِي الله**»[1].

والولاءُ والبراءُ دليلٌ على كمالِ الإيمان. قال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لله، وَأَبْغَضَ لله، وَأَعْطَى لله، وَمَنَعَ لله، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»[2].

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١١٥٣٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٩٨)].

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (٧٦١٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٨٠)].

والولاء والبراء يجعلُكَ منْ أولياءِ الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس].

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (أَحِبَّ لله، وَأَبْغِضْ لله، وَعَادِ فِي الله، وَوَالِ فِي الله، فَإِنَّهُ لَا تُنَالُ وِلَايَةُ الله إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ)[1]. -أي: يوالي في الله ويعادي في الله-.

• **والولاءُ معناهُ**: الحبُّ، والنصرةُ، والاتباعُ، والقربُ. وهذا الولاءُ يكونُ من المؤمن لله ولرسوله وللمؤمنين قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾ [المائدة].

• **والبراء معناهُ**: البغضُ والكراهيةُ والابتعادُ والنفور. وهذا البراءُ يكونُ من كلِّ كافرٍ كفرَ بـ (لا إله إلا الله) استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣﴾ [التوبة].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٣٥).

وها هو إبراهيمُ عليه السلام يضربُ لنا أروعَ الأمثلةِ في الولاءِ والبراءِ مع أبيه وقومه. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة].

لماذا يجبُ على المؤمنين أن يتبرأوا من الكفارِ ولا يوالوهم؟

أولاً: لأنَّ موالاةَ الكفارِ حرامٌ

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة:٢٢].

ثانياً: لأنهم كفروا بـ(لا إله إلا الله)

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الصافات].

ثالثاً: لأنهم لا يُحبونَ المسلمين

قال تعالى: ﴿ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران:١١٩]. وقال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران:١١٨].

رابعاً: لأنهم ينفقون أموالَهم بالليلِ والنهارِ ليصدونا عن سبيل الله

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال].

خامساً: لأنهم يعملونَ بالليلِ والنهار ليردونا عن ديننا

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧]. وقال تعالى: ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة].

وانطلاقاً من عقيدةِ الولاءِ والبراءِ، وتأسياً بإبراهيمَ عليه السلام فلا يجوزُ للمسلمِ الذي يؤمنُ باللهِ ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً

أولاً: أن يواليَ الكفارَ

استجابةً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١].

ثانياً: لا يجوز أن يتشبهَ بالكفارِ في أي أمرٍ منَ الأمورِ التي هي من (خواصِّ) صفاتهم كاللباس وغير ذلك؛

استجابة لقوله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٠٣١) عن ابن عمر، والطبراني في «الأوسط» (٨٣٢٧)، والبزار (٢٩٦٦) عن حذيفة، [«صحيح الجامع» (٦١٤٩)].

ثالثاً: لا يجوز للمسلمِ أن يقيمَ بين أظهر الكفار

فالذين يهاجرونَ من بلادِ الإسلامِ إلى بلادِ الكفر، ويتجنسون بجنسيةِ الكفارِ، ويعيشون بين أظهرِ الكفارِ، فليعلموا أن من فعلَ ذلكَ فقد عصى الله ورسولَهُ. يقول ﷺ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»[1].

رابعاً لا يجوزُ للمسلمِ أن يتخذَ بطانةً له من الكفار

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (118)﴾ [آل عمران].

خامساً: لا يجوزُ للمسلمِ أن يستغفرَ للكافر ولو كان من أقربِ الناسِ إليه

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113)﴾ [التوبة].

سادساً: لا يجوزُ للمسلمِ أن يُطيعَ الكفار

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149)﴾ [آل عمران].

سابعاً: لا يجوزُ للمسلمِ أن يَرْكنَ إلى الكفار

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (113)﴾ [هود].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (١٦٠٤)، وأبو داود (٢٦٤٥)، [«صحيح الجامع» (١٤٦١)].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة].

• والولاءُ والبراءُ من ديننا، من عقيدتنا، من لوازِم (لا إلهَ إلا اللهُ) ومذهبُ أهل السنةِ والجماعةِ في الولاءِ والبراءِ وسطٌ بين الإفراطِ والتفريط. فالناسُ في نظرِ أهلِ السنةِ والجماعةِ بحسب الحبِّ والبغضِ والولاءِ والبراءِ ثلاثةُ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: من يُحَبُّ محبةً خالصةً لا معاداةَ معها، وهم المؤمنون الخُلَّصُ. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

القسمُ الثاني: من يُبغَضُ ويُعادى بغضاً ومعاداةً خالِصَيْن لا محبةَ ولا موالاةَ معها، وهمُ الكفارُ الخُلَّصُ قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢].

القسمُ الثالث: من يُحَبُّ من وجهٍ ويُبغَضُ من وجهٍ، فيجتمعُ فيه المحبةُ والعداوةُ وهم عصاةُ المؤمنين؛ يُحَبَّوْنَ لما فيهم مِنْ الإيمانِ، ويُبْغَضُون لما فيهم من المعصيةِ التي هي دونَ الكفرِ والشركِ.

١٧

أبو لهبٍ

المكابرُ العنيدُ .. العمُّ المحرومُ .. الإعلاميُّ الخبيث

• **عباد الله!** يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف].

ويقول سبحانه: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن].

ويقول سبحانه: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور].

• موعدنا في هذا اليوم -إن شاءَ الله تعالى- مع مجرمٍ جديدٍ من المبَشَّرين بالخلودِ في النارِ ... أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **أبو لهب؛ المكابرُ العنيدُ .. العمُّ المحرومُ .. الإعلاميُّ الخبيث.**

أبو لهب اسمهُ: عبدُ العُزَّى بنُ عبدِ المطلبِ.

وكنيتُه: أبو لهبٍ، ولهُ من اسمهِ نصيبٌ، فقد بشَّرهُ اللهُ عزَّ وجلَّ قبلَ موتِهِ بعشرِ سنواتٍ بنارٍ ذاتِ لهبٍ، ومعَ ذلكَ لم يُسْلِم ولو كذباً ونفاقاً.

كيف يُسلمُ؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس].

• لما بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَه محمداً ﷺ، كان لهُ أربعةُ أعمام: حمزةُ والعباسُ، وأبو طالبٍ وأبو لهب. وانقسموا في معاملتِه ﷺ ومعاملةِ الدينِ الذي جاء به إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: قسمٌ: آمنَ بهِ ﷺ وجاهدَ معه، وأسلمَ لله ربِّ العالمين، وهما: العباسُ وحمزةُ أسدُ الله رضي الله عنهما.

القسم الثاني: قسمٌ: ساندَ وساعدَ ودافعَ، ولكنه بقي على كفره، ومات كافراً، وهو: أبو طالبٍ الذي قالَ له النبيُّ ﷺ عند موته: «**يَا عَمِّ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ! كَلِمَةٌ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا أَبَا طَالِبٍ! أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص][1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤).

القسمُ الثالثُ: قسمٌ: عاندَ وعارضَ وصدَّ، وهو الشقيُّ أبو لهبٍ الذي أنزلَ اللهُ فيه وفي زوجته سورةً كاملةً يبشرُهما فيها بنارٍ ذاتِ لهب، جزاءً وفاقاً، ولا يظلمُ ربُّكَ أحداً.

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]. صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ! يَا بَنِي عَدِيٍّ! لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ ﷺ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ! أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ [المسد][1]. والتَّبُّ: هو الهلاكُ والخسرانُ.

ما هي الجرائمُ التي ارتكبها أبو لهبٍ حتى هلك وخَسِرَ وبُشِّرَ بالخلودِ في النار؟

الجريمةُ الأولى: كُفرُهُ وصدُّهُ عن سبيلِ الله

عن رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَكَانَ جَاهِلِيًّا قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْـمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: «**يا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

تُفْلِحُوا» والناسُ مجتمعون عليه، ووراءَهُ رجلٌ وضيءُ الوجهِ أحولُ ذو غديرتين يقول: إنهُ صابئٌ كاذبٌ، يَتْبَعُهُ حيثُ ذهبَ، فسألتُ عنه فذكروا لي نَسَبَ رسولِ الله ﷺ، وقالوا لي: هذا عمُّهُ أبو لهب[1].

وفي روايةٍ أخرى قال: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ بِذِي الْـمَجَازِ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! لاَ يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ وَدِينِ آبَائِكُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ[2].

فانظروا عبادَ الله إلى أبي لهبٍ ماذا ارتكبَ من جَرائمَ؛ كَفَرَ بالله، وصدَّ عن سبيلِ الله، وَكَذَّبَ رسولَ الله ﷺ، يريدُ هو ومَنْ معه من الأشقياء ﴿أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة].

• وقد أخبرَ اللهُ تعالى في كتابه أنَّ جهودَهُمُ التي يبذلونها، وأعمالَهُمُ التي يعمَلونَها، وأموالَهم التي يُنفِقونَها من أجل الصَّدِّ عن سبيلِهِ، لن تُؤتيَ أُكُلَهَا، ولن تُحقِّقَ نتائِجَها، بل سيُحبِطُها اللهُ تعالى، ويَجعَلُ كيدَهُم في نحورِهِم، وَيُتِمُّ نُورَهُ، ويُظهرُ دينهُ.

فقال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾**﴾ [محمد].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٣٤١) واللفظ له، والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢)، والحاكم (٣٩)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٤٣)].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٤٥٨٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٧)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٤٣)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل].

فأبولهب ومَن مَعَهُ من الأشقياءِ كفروا بالله، وصدوا عن سبيله، فضُوعِفَ لهمُ العذابُ، وَحَلَّتْ بهم لعنةُ الله ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف].

فَهلَكَ أبو لهبٍ وحلَّتْ به لعنةُ الله، ولم ينتفِعْ بمالِهِ الكثيرِ ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ [المسد]، ولم يَنْفَعْهُ نسبُهُ وما أجملَ قولَ القائل:

عليكَ بتقوى الله في كلِّ حالةٍ ... ولا تتركِ التقوى اتكالاً على النَّسبْ

فقد رفعَ الإسلامُ سلمانَ فارسٍ ... وقد وضعَ الكُفرُ الشريفَ أبا لهبْ

الجريمةُ الثانية: استهزاؤهُ وسُخريتهُ برسولِ الله ﷺ

فأبو لهبٍ لعنَهُ الله هو الذي كان يتبعُ رسولَ الله ﷺ حيثُ ذهبَ، ويقولُ للناس: إنهُ صابئٌ كاذبٌ، لا يغرَّنكم هذا عن دينكم ودينِ آبائِكم، وشاركهُ في ذلك الأشقياءُ من كفارِ مكةَ، فأخذوا يستهزؤن برسولِ الله ﷺ ويسخرون منه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان:٤١-٤٢].

واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ لرسولِهِ ﷺ مواسياً له ومُثبِّتاً له على ما هو عليه، ومُبيِّناً له أنَّ العاقبةَ له، وأن هؤلاء كالأنعامِ بل هم أضلُّ، فيقول سبحانه: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

ويقول له أيضاً: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام].

ويقول له أيضاً: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر].

ويقولُ له أيضاً: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يس].

ويقولُ له أيضاً: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس].

ويقول سبحانه له أيضاً: ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات].

فصبرَ ﷺ على دعوته استجابةً لأمرِ ربِّه الذي قال له: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المزمل].

وقال له أيضاً: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور:٤٨]، وقال له أيضاً: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ وقال له أيضاً: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر].

• كيف انتقمَ اللهُ منَ المستهزئين برسولِ الله ﷺ الصادِّين عن سبيلهِ كأبي لهبٍ وأبي جهلٍ عليهم لعائن اللهِ إلى يومِ القيامة؟

• فأبو لهبٍ كانَ من أشدِّ الناسِ عداوةً للنبيِّ ﷺ، ماتَ على كفره بعد وقعةِ بدرٍ، ولم يَحْضُرْها، بل أرسلَ عنه بديلاً، فلما بلغَهُ ما جرى لصناديدِ قريشٍ من القتلِ مات غماً في مكة.

كيف ماتَ هذا المجرم؟ رماهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بمرضِ العَدَسةِ[1] فقضى عليه، وكانت قريشٌ تتقي هذا المرضَ وتخشاه، فتركه ابناه بعد موتِهِ ثلاثةَ أيامٍ حتى أنتن وانتفخَ .. وكادت أوصالُه تتناثرُ، وأصبحَت رائحةُ جيفتِهِ لا تُطاق، عندئذٍ قالَ لابْنَيْهِ رجلٌ من قريشٍ: ألا تستحيان، ألا تخشيانِ الناسَ؟ إن أباكما قد أنتنَ في بيتِهِ، ألا تدفنانِهِ؟ فقالا: إنا نخشى عدوى هذه القُرحَةِ الملعونةِ. فقال: انطلِقا وأنا أعينُكما عليه.

فَغَسَّلوهُ قذفاً بالماءِ من بعيدٍ، ما يَدْنُونَ منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكةَ، فأسندوهُ إلى جدارٍ ثم رموا عليه الحجارةَ، وفي رواية: حفروا له، ثم دفعوه بعُودٍ في حُفَيْرَتِهِ، وقذفوه بالحجارةِ من بعيدٍ حتى وارَوْهُ، وكان عمرُه إذ ذاكَ سبعينَ سنةً.

وهكذا شاءَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى أن يموتَ هذا الطاغيةُ هذه المِيتَةَ الشنيعةَ لعداوتِهِ رسولَ اللهِ ﷺ، ومناهضتِهِ الإسلامَ، وعدمِ رعايتِهِ الرَّحِمَ أو القرابةَ[2].

فهذه مِيْتَتُهُ في الدنيا، ويومَ القيامةِ: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد] يُقالُ له ولأمثاله: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [الطور].

وهذه أُمُّ جميل، العَوْراءُ بنتُ حرب، كانت تختزنُ في صدرِها من الحقدِ والضغينةِ على رسولِ الله ﷺ أضعافاً مضاعفة عما كان يختزنُه أبو لهب، وكان مِن

(١) (العدسة) هي بَثْرةٌ تُشبه العدسة من جنس الطاعون.

(٢) [«المبشرون بالنار» (ص٢١٩)].

دَأْبِها أن تثيرَ الفتنَ، وأن تسعى لدى القومِ بالنميمةِ لتفسدَ على الرسولِ ﷺ قلوبَهم حتى وصفها اللهُ عزَّ وجلَّ أشنعَ وصفٍ، فسمّاها «**حَمَّالَةَ الحطبِ**» وهي صفةُ النمامةِ الواشيةِ التي تُشْعِلُ نارَ الفتنةِ بين الناسِ، فتحرقُ ما بينَهم من صِلاتِ التراحمِ والوُدِّ والقرابةِ.

• عن أسماءَ بنت أبي بكرٍ رضي الله عنها قالت: لَـمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد]؛ جَاءَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ، وَلَهَا وَلْوَلَةٌ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ[1]، وَهِيَ تَقُولُ: مُذَمَّماً أَبَيْنَا أَوْ أَتَيْنَا، وَدِينَهُ قَلَيْنَا، وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ، وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى جَنْبِهِ، أَوْ قَالَ مَعَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَقَدْ أَقْبَلَتْ هَذِهِ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ. فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**» وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء].

فَجَاءَتْ حَتَّى قَامَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ! بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا، وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ، فَانْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا[2].

• فَبُشِّرَ أبو لهبٍ وزوجتُهُ في حياتِهم بالخزيِ في الدنيا، وبعذاب جهنمَ في الآخرة، وذلك لأنهم قاموا بدورٍ إعلاميٍّ خبيث، ليصدوا عن سبيل اللهِ، وعن

---

(١) (الفِهْرُ): الحجر.

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٥٣)، وابن حبان (٦٥١١)، والحميدي (٣٢٣)، والحاكم (٣٣٧٦)، [«صحيح السيرة النبوية»(ص١٣٨)].

دعوةِ رسولِ الله ﷺ وذلك بالكذبِ وقلبِ الحقائقِ وتشويهها.

وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١) فها أنا أوجهُ للناسِ كافةً رسالتين:

الرسالة الأولى: إلى الإعلاميين رجالاً ونساءً -الذين يُزَيِّفونَ الوقائع، ويُدَلِّسونَ على الناسِ، ويُبْغِضونَ الإسلامَ، ودعاةَ الإسلام، ويُبعدونَ الناسَ عن سبيل المؤمنين.

أقول لهم: إن أبا لهبٍ وزوجتَهُ لم يجنوا من عملِهِمُ الإعلاميِّ الخبيثِ إلاّ أن سقطوا من أعينِ الناسِ، وسقطوا من عينِ الله، وحَلَّتْ بهم لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، وهذه نهاية كُلِّ منْ سارَ في هذا الطريق، ﴿**وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ**﴾ فأَفيقُوا أيها الإعلاميون المدلِّسون، فما زالت أمامَكم فرصةٌ للنجاة، فاغتنموها قبل أن يأتيَ يومٌ لا عودة فيه إلى هذهِ الدنيا، وعندها لا ينفعُ الندمُ.

وَاعلموا أن الجماهير -الذين يبايعونكم الآن- لن تبكي عليكم أبداً، بل سيتبرؤون منكم، ويتوارثون لعْنكم، وسيُدْركون يوماً أنكم ما حَرصتم على مصلحتهم، أو مصلحة أوطانهم أبداً، إنما كان كلُّ اهتمامكم هو تحصيلَ المالِ والثروةِ وتحقيقَ الصيتِ والشهرةِ .. فماذا كسبتم؟؟ واعتبروا بأبي لهبٍ وزوجته فقد قالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ** ﴿٢﴾ ﴾ [المسد] وقال تعالى عنهم: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحاقة].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

الرسالة الثانية: إلى المؤمنين في كلِّ مكانٍ: إياكم أن تنخدعوا بالإعلامِ الخبيثِ المستأجَرِ من قِبَلِ أعداءِ الإسلامِ، والذين يبيعون دينهم بِعَرَضٍ من الدنيا، فأين أبو لهبٍ وزوجتُهُ؟؟ وأين رسولُ الله ﷺ وأصحابُه؟

فالذين قاموا بالإعلام الخبيث أهانَهم اللهُ، وبشرهم بالنار، أما رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، فقد نصرهُمُ اللهُ، ورفعَ ذكرَهم في الدنيا، وأعدَّ لهمُ النعيم المقيمَ في جناتِ النعيم.

وهل أثَّرَ الإعلامُ الكاذبُ في رسولِ الله ﷺ وفي دعوته؟

الجواب: لا والله! إنه صبرَ على دعوتِهِ، وأخذَ ما يسمعُ من هذا الإعلام الكاذب المشوَّهِ ببساطةٍ عجيبةٍ، وعلق على ذلك تعليقاً لا يتخيلُهُ أحدٌ!!

لقد سَمِعَهُمْ يسخرون منه، ويُلَقِّبونه: بالمُذَمَّمِ، ويَشْتِمونَه، فما كان منه ﷺ إلا أن قال: «**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟! يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ**»[1].

فكونوا يا أمةَ الإسلام منَ الإعلام الخبيث على حذر! فكم دمّرَ بلادًا، وأهلكَ أممًا، وسفكَ دماءً، وأشعل فتناً، نسأل الله أن يحفظَ بلادَ المسلمينَ من شرِّ كلِّ إعلاميٍّ خبيث.

فعلى المسلمين أن يتأدبوا بآداب القرآن عند سماع الإشاعاتِ الكاذبةِ من

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٣٣).

الإعلاميين الذين لا يتقون الله، استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات].

ولقوله تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾ [النور].

١٨

أبو جهل

إمامُ الضلالةِ .. فرعونُ هذه الأمةِ

عَدُوُّ اللهِ ورسولِهِ .. المتكبرُ المحرومُ

عباد الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر].

• موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ الله تعالى- مع مجرمٍ جديدٍ من المبَشَّرين بالخلودِ في النارِ ... أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **أبو جهلٍ؛ إمامُ الضلالةِ .. فرعونُ هذه الأمة .. عدوُّ اللهِ ورسولِه .. المتكبِّرُ المحرومُ.**

• **أبو جهلٍ** .. أتعرفونه يا أمةَ الإسلامَ!

هو: عمرُو بنُ هشامٍ بنِ المغيرةِ المخزوميُّ، كانَ من ساداتِ قريشٍ وزعمائها في الجاهلية، وقد كان يُسمَّى قبلَ الإسلامِ بـ: (أبي الحكم) لرجاحَةِ عقلِهِ، فبعدَ أن عَرَضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ وَرَفَضَهُ، سُمِّيَ بـ: (أبي جهلٍ).

• أبو جهلٍ .. له مِن اسمِه نصيبٌ، فقد كفرَ بالله، واستكبرَ عن (لا إله إلا الله)، وكانَ إماماً من أئمةِ الكفرِ في مكةَ، وماتَ كافراً.

لما قالَ رسولُ الله ﷺ للناس: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا الله تُفْلِحُوا**»[1].

قال أبوجهل: ﴿**ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾**﴾ [الأنفال] وهذا من شدة جهله وكفرِهِ وعنادِهِ.

ولم يكتف أبو جهلٍ وأئمةُ الكفرِ في مكة بذلك بل قالوا: ﴿**أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾**﴾ [ص].

وقال تعالى في شأنِ أبي جهلٍ وأئمةِ الكفر: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾**﴾ [الصافات].

فأبو جهلٍ إمامُ الضلالةِ، تكبَّر عنْ: (لا إله إلا الله) فكان من المحرومين. كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ دعا فقالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الدِّينَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، أَوْ عُمَرَ بْنِ الْـخَطَّابِ**» يقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه)[2].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٩٢)، وابن خزيمة (١٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٨١٧٥)، وابن حبان (٦٥٦٢)، [«صحيح السيرة النبوية» (١٤٣)].

(٢) **صحيح** : رواه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد (٢/ ٩٥)، والبزار (٥٨٦٢)، وابن حبان (٦٨٨١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٥٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٥)].

ويُفهَمُ من هذا الحديثِ أن أبا جهلٍ يُبْغِضُه اللهُ، ومن أبغَضَه اللهُ أهانَه وحرَمَه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨].

والله عزَّ وجلَّ يُخبرُ عن أبي جهلٍ ومن معه من أئمةِ الكفرِ الذين كفروا وماتوا على الكفرِ في كتابه؛ فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران].

• أبو جهلٍ! إمامُ الضلالةِ في مكةَ، كفرَ باللهِ، وأخذَ يصدُّ الناسَ عن دينِ اللهِ، ومن الأمثلةِ على ذلك:

١- مَنْعُهُ لأبي طالبٍ من أن يقول: (لا إله إلا الله) عند الموتِ.

عن سعيدِ بنِ المُسيِّب عن أبيه أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: «**أَيْ عَمِّ! قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله! كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ! تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ**» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ

ﭐلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة].

وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص][1].

٢- تعذيبُهُ للمستضعَفينَ من المسلمين في مكة.

أئمةُ الكفرِ وعلى رأسِهم أبو جهلٍ يُعذِّبونَ المسلمين في مكةَ ليكفروا بدينِ محمدٍ ﷺ.

عن عبدِالله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: (كان أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ الله ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ؛ فَأَمَّا رَسُولُ الله ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْـمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالاً، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي الله، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ! أَحَدٌ!)[2].

٣- مَنْعُه للوليدِ بنِ المغيرةِ من أن يتبعَ النبيَّ ﷺ.

عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْـمُغِيرَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَقَالَ: أَيْ عَمِّ! إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا،

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وابن حبان (٧٠٨٣)، [«صحيح السيرة النبوية» (١٤٥)].

قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: يُعْطُونَكَهُ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا تَتَعَرَّضُ لِمَا قِبَلَهُ؛ قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي أَكْثَرُهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَعْلَمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لِمَا قَالَ، وَأَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ؛ قَالَ: فَمَا أَقُولُ فِيهِ؟ فَوَاللهِ مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزِهِ مِنِّي، وَلَا بِقَصِيدِهِ، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَواللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى. قَالَ: وَاللهِ لَا يَرْضَى قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ فِيهِ؛ فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: هَذَا سِحْرٌ يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر] حتى بلغ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر][1].

• أبو جهل! فرعونُ هذهِ الأمةِ لم يكتفِ بالكفرِ، والصدِّ عن سبيلِ الله بل أخذ يعتدي على رسولِ الله ﷺ ويستهزئُ به. ومن الأمثلةِ على ذلك:

١- عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُوجَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٢٩).

إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ!**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضَّحِكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**».

قال ابنُ مسعودٍ: فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ - قَلِيبِ بَدْرٍ -[1].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ! فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى! لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**». فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ [العلق][1].

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لَـمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ**» فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ عَدُوُّ الله أَبُو جَهْلٍ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْـمُسْتَهْزِئِ هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ**». قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «**إِلَى بَيْتِ الْـمَقْدِسِ**». قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» . قَالَ: فَلَمْ يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ**» فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ! قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْـمَجَالِسُ وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ (أي أبو جهل): حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ**» قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: «**إِلَى بَيْتِ الْـمَقْدِسِ**» قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْنَا! قَالَ: «**نَعَمْ!**» قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ، قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْـمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَى الْـمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «**فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٩٧) .

بَعْضُ النَّعْتِ» قال: «**فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**». فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ[1].

ومع ذلك فما زادهم إلا نفورا.

• أبو جهلٍ! إمامُ الضلالةِ لم يكتفِ بكفرِهِ وصدِّه عن سبيل الله، واعتدائِه على النبي ﷺ، بل خطَّط لاغتيالِ النبيِّ ﷺ.

لما هاجرَ المسلمون من مكةَ إلى المدينةِ بدينهم تَوَجَّسَتْ قريشٌ خيفةً من عواقبِ هذه المرحلةِ الخطيرةِ في دعوةِ محمد ﷺ، وعَلِمَتْ أنَّ محمداً لابدَّ أن يدركَ أصحابَهُ اليومَ أو غداً، فاجتمعوا في دارِ الندوةِ لتيخذوا قراراً حاسماً في هذا الأمر.

فرأى بعضُهم أن توضعَ القيودُ في يد محمدٍ ﷺ، وَيُشَدَّ وثاقُه ويُرمى به في السجن لا يصلُه منهم إلا الطعامُ، ويُتْرَكَ على ذلكَ حتى يموت، ورأى آخرُ أن يُنْفى من مكة فلا يَدْخُلُها، وتنفضُ قريشٌ يَدَيها من أمره وقد اسْتُبْعِدَ هذان الاقتراحان لعدمِ جدواهما، واستقرَّ الرأيُ على الاقتراح الذي أبداه أبو جهل.

قال أبو جهلٍ: أرى أن تأْخُذوا مِنْ كُلِّ بطنٍ من قريشٍ شابّاً نسيباً وسَطاً فتياً، ثم نُعطي كلَّ فتىً سيفاً صارماً ثم يضربونه جميعاً ضربةَ رجلٍ واحد، فإذا قتلوه تَفَرّقَ دَمُه في القبائل كُلِّها، ولا أظنُّ أن بني هاشمٍ يَقْوَوْنَ على حربِ قريشٍ كافةً، فإذا لم يبق أمامَهم إلا الدِّيَةُ أدَّيناها.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٢١)، وأحمد (١/ ٣٠٩)، والبزار (٥٣٠٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠٢١)].

ورضي كفارُ مكةَ بهذا الحلِّ للمشكلةِ التي حَيَّرَتْهم، وانصرفوا ليقوموا على تنفيذ هذا القرارِ الجائر الغادر.

وقد أخبرنا اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه عن هذا الاجتماع، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال].

ولما أجمعَ كفارُ مكةَ على قتله ﷺ أوحى الله تبارك وتعالى إليه بالإذنِ في الهجرةِ، فخرج رسولُ الله ﷺ من بيته إلى بيتِ أبي بكرٍ رضي الله عنه ليُخْبِرَهُ بذلك. وتمت الهجرة بحمد الله.

• أبو جهلٍ! لم يكتفِ بكُلِّ هذه الجرائم، بل خرجَ من مكةَ إلى بدرٍ بطراً ورئاءَ الناس، ليصدَّ عن سبيلِ الله.

لما بلغَ أبا سفيانَ خروجُ المسلمينَ لأخذ القافلةِ، سلك بها في طريق الساحل، وأرسلَ رجلاً إلى مكةَ يستصرخُ أهلَها حتى يسارعوا إلى استنقاذ أموالهم .. ولما رأى أبو سفيانَ أنه قد نجا وأحرزَ العيرَ، كتبَ إلى قريشٍ أن ارجعوا فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيرَكم، وقد سَلَّمها الله، فوصلهم الخبرُ، وهم بالجُحفة، فهمُّوا بالرجوع؛ إلا أن أبا جهلٍ -لعنه الله- أصرَّ على الخروج والوصولِ إلى بدر قائلاً: والله! لا نرجعُ حتى نأتِيَ بدراً، فنقيم عليها ثلاثاً، ننحرُ الجزورَ، ونطعَمُ الطعامَ، ونُسقَى الخمرَ، وتَعْزِفُ علينا القيانُ، حتى تسمعَ بنا العربُ، وبمسيرنا وجمعنا؛

فلا يزالون يهابوننا بعد ذلك اليوم أبداً، ومضت قريشٌ في مسيرها مُستجيبةً لرأي أبي جهلٍ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال].

ونزلَ جيشُ الكفرِ بقيادةِ أبي جهلٍ بالعُدْوةِ القصوى من وادي بدرٍ، وكانَ المسلمونَ قد انتهَوْا إلى العُدْوةِ الدنيا، وهكذا اقتربَ كلا الفريقين من الآخرِ، وهو لا يدري ما وراء هذا اللقاء الرهيب. فتعالَوا بنا لننظرَ إلى نهايةِ أبي جهلٍ -قائدِ معسكر الكفر-.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قال: (بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ! هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ! مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، وكان الغلامان: مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ)[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

والظاهرُ أنهما تركاه مُثْخناً في جراحِه قبل أن يَلْفِظَ أنفاسَهُ الأخيرةِ، ولذلك روى أبو داودَ في «سننه»: أن عبدَالله بنَ مسعودٍ قال ﷺ (مَرَرْتُ فَإِذَا أَبُو جَهْلٍ صَرِيعٌ، قَدْ ضُرِبَتْ رِجْلُهُ فَقُلْتُ: يَا عَدُوَّ الله! يَا أَبَا جَهْلٍ! قَدْ أَخْزَى اللهُ الآخِرَ، قَالَ: وَلاَ أَهَابُهُ عِنْدَ ذَلِكَ. فَقَالَ: أَبْعَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ، فَضَربْتُهُ بِسَيْفٍ غَيْرِ طَائِلٍ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا حَتَّى سَقَطَ سَيْفُهُ مِنْ يَدِهِ، فَضَرَبْتُهُ بِهِ حَتَّى بَرَدَ)(1).

وفي روايةٍ أن عبدَالله بنَ مسعودٍ أخبرَ النبيَّ ﷺ بمقتلِ أبي جهلٍ، فَخَرَجَ يَمْشِي مَعِي حَتَّى قَامَ عَلَيْهِ -أي على أبي جهل- فَقَالَ ﷺ: **«الْحَمْدُ لله الَّذِي أَخْزَاكَ يَا عَدُوَّ الله! هَذَا كَانَ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ»** (2).

ثم أمرَ ﷺ بأبي جهلٍ وصناديدِ الكفرِ أن يُسحَبوا إلى قليبِ بدرٍ، ثم قال ﷺ: **«وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً»**(3).

وقام ﷺ يناديهم: **«يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ! وَيَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ! هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا»**(4).

قال قتادةُ: (أَحْيَاهُمْ اللهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ، تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنِقمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا)(5).

---

(1) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٧٠٩)، وأحمد (١/ ٤٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٧١).

(2) رواه أحمد (١/ ٤٤٤)، وابن أبي شيبة (٣٦٦٩٧).

(3) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٨).

(4) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٣).

(5) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٧٦).

هذه نهاية الفراعنة الذين يصدون عن سبيلِ الله، ويبغونها عِوَجاً، فهل من معتبر؟ فهل من متعظٍ؟ فهل من مُدَّكر؟ ولكنها لا تعمى الأبصارُ، ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور.

١٩

عبدُالله بنُ أبيٍّ بنِ سلُول رأسُ النفاقِ .. وسهمُ الشقاقِ

عبادَ الله! يقولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران].

• موعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع مجرمٍ جديدٍ من الذين بُشِّروا بالخلودِ في النارِ .. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنّه: **عبدُالله بنُ أُبيٍّ بنِ سلولٍ؛ رأسُ النفاقِ، وسهمُ الشقاقِ.**

• عبدُالله بنُ أُبيٍّ بنُ سلولٍ؛ زعيمُ المنافقين، الذي أبطنَ الكُفرَ وأظهرَ الإسلامَ، ما مِن شرٍّ ظهرَ في المدينةِ إلا هو سببُه، عاشَ منافقاً وماتَ كافراً، بشَّرَ اللهُ المنافقين بالنارِ، وابنُ سلولٍ على رأسِهم وفي مُقَدِّمتِهم.

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة].

• ما هي الجرائمُ التي ارتكبها ابنُ سلولٍ حتى بُشِّرَ بالخلودِ في النارِ؟

الجريمةُ الأولى: إبطانُهُ للكفرِ، وإظهارُهُ للإسلامِ، وهذا هو النفاقُ الأكبرُ.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة].

فابن سلول -لعنه الله- ومن معه من المنافقين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

الجريمة الثانيةُ: رفضُهُ للحقِّ الذي جاءَ به رسولُ اللهِ ﷺ

• عن عروةَ بن الزبير (أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ[1] وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي الْـمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ وَالْـمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ ، وَفِي الْـمَجْلِسِ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتْ الْـمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ[2]، خَمَّرَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا! فَسَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِمْ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الله وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ: أَيُّهَا الْـمَرْءُ! إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ؛ إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله! فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْـمُسْلِمُونَ وَالْـمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ[3] فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا سَعْدُ! أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ -يُرِيدُ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ- قَالَ كَذَا وَكَذَا**».

---

(١) (فدكية): منسوبة إلى فَدَك، وهي قرية مشهورة بالقرب من المدينة.

(٢) (عجاجة الدابة): غبرها

(٣) يتثاورون: يتواثبون ويقتتلون.

قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ الله! اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَقَدْ جَاءَ الله بالحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ لَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ[1] عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَةِ[2] فَلَمَّا أَبَى الله ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ؛ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنْ الْـمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمْ الله، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ الله ﷺ بَدْرًا فَقَتَلَ الله بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ ابْنُ أُبَيِّ بن سَلُولٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْـمُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ[3] فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا)[4].

فأسلمَ ابنُ سلولٍ زعيمُ المنافقين ومن معهُ نفاقاً بعدَ أن نصرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ والمؤمنين، وأعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، فأبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام.

يقولُ سبحانه فاضحاً لهم: ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عمران].

الجريمةُ الثالثةُ: أُخُوَّتُهُ لليهودِ، ومناصرَتُهُ وولاؤُهُ لهم

قال تعالى فاضحاً لابنِ سلولٍ ومن معه من المنافقين: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾، وهم ابنُ سلول وأصحابُهُ، ﴿يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ

(١) (البحيرة): المدينة.

(٢) (بالعصابة): أي يجعلونه رئيساً عليهم.

(٣) (هذا أمرٌ قد توجه): أي ظهر وجهه.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٤٥٦٦).

ﵟٱلۡكِتَٰبِﵞ [الحشر:١١] أي: لإخوانهم في الدين، وهم اليهود، وهذه الأُخُوَّةُ التي بينَ ابنِ سلولٍ وأصحابِهِ واليهودِ تحتملُ وجوهاً:

أحدُها: الأخوةُ في الكفرِ، لأنَّ اليهودَ والمنافقينَ كانوا مشتركين في عمومِ الكفرِ بمحمدٍ ﷺ.

وثانيها: الأخوةُ بسببِ المصادقةِ والموالاةِ والمعاونةِ.

وثالثُها: الأخوةُ بسببِ ما بينهما من المشاركةِ في عداوةِ محمدٍ ﷺ، والمرادُ بإخوانهم بنو النضير، وإنما وصفهم بالأُخُوَّةِ لهم لأنهم كانوا متحدين في الكفر برسالةِ محمدٍ ﷺ، وليست هذه أخوةَ النسبِ، فإنَّ بني النضير من اليهود، والمنافقين الذين بعثوا إليهم من بني عوف، من عربِ المدينةِ وأصلُهم من الأزد.

وقد بَعَثَ هؤلاءِ المنافقون إلى يهودِ بني النضير حينَ حاصرَ جيشُ المسلمين بني النضير، يقولون لهم: اثبتوا في معاقِلكم فإنا معكم يقول سبحانه: ﵟلَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡﵞ وإنما وعدوهم بالخروج معهم ليَطْمَئنوا لِنُصْرتِهم، فهو كنايةٌ عن النصر، وإلا فإنهم لا يَرْضَوْنَ أن يفارقوا بلادَهم.

ويقولُ سبحانه عنهم أيضاً: ﵟوَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًاﵞ أي: ولا نطيع أحداً سألَنا خُذْلانَكُم، وتركَ نُصْرَتِكم، ولكنا نكون معكم[1].

ويقولُ سبحانه عنهم أيضاً: ﵟوَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡﵞ يعني على محمدٍ ﷺ وأصحابه، والله عزَّ وجلَّ يخبرنا في كتابه أن المنافقين كاذبون فيما قالوا: ﵟوَٱللَّهُ

(١) «جامع البيان» (١٢/ ٤٤).

يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر].

الجريمةُ الرابعةُ: فتنتُه ومَكْرُهُ وحِقْدُهُ في غزوة بني المصطلقِ -المريسيع-

لما خرج رسولُ الله ﷺ إلى غزوة بني المصطلق، خرج معه نفرٌ من المنافقين على رأسهم ابنُ سلولٍ، فكان خروجُهم كما وصفهم اللهُ في كتابه: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [التوبة:٤٧].

وعندما انتصرَ المسلمونَ على بني المصطلقِ، وعند ماء المُرَيسيع كشف المنافقون وفي مقدِّمتهم ابنُ سلولٍ عن الحقدِ الذي يُضمِرونَه للإسلامِ والمسلمين، فكلما كَسَبَ الإسلامُ نصراً جديداً؛ ازدادوا غيظاً على غيظهم، كما وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة].

فعندَ مَاءِ المُريسيع عكَّر المنافقونَ هذا النصرَ بأن أثاروا العصَبيَّةَ الجاهلية بينَ المهاجرين والأنصارِ، وأثاروا الفِتنة، وغرسوا بذورَ الفُرقةِ في النفوس.

فتعالَوا بنا لنستمعَ إلى جابرِ بن عبدِ الله الأنصاريِّ ﷺ وهو شاهدُ عيانٍ يخبرنا الخبر. يقولُ ﷺ: (كُنَّا فِي غَزَاةٍ -وهي غزوةُ بني المصطَلِق- فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْـمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ -أي ضربه برجله- فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ! وَقَالَ الْـمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فقال: «**مَا بَالُ دَعْوَى الْـجَاهِلِيَّةِ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْـمُهَاجِرِينَ رَجُلًا

مِنْ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**». فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَالله لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْـمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ -يعني لعنه الله بالأعز: نفسه، وبالأذلِّ: رسولَ الله ﷺ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْـمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْهُ! لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنْ الْـمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْـمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْـمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ)[1].

والذي بَلَّغَ رسولَ الله ﷺ مقالَةَ ابنِ أُبي هو زيدُ بنُ الأرقمِ رضي الله عنه فتعالَوا بنا لنستمعَ إليه وهو يُخبرُنا الخبر، يقول زيدٌ رضي الله عنه: (كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ الله ابْنَ أُبَيٍّ يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ الله حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ. فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ فَأَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَقَتَكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).

مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون] فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «**إِنَّ الله قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ**»)[1].

وقد فَضَحَ اللهُ هذا المنافقَ، وضعَّفَ مركزَهُ في قومِهِ، فكانوا يُعَنِّفونَهُ ويلومونهُ كلما أخطأ.

• فهذا ابنُهُ -الصحابيُّ الجليلُ- عبدُالله بنُ عبدِالله بن أُبي استأذنَ رسولَ الله ﷺ في قتلِ أبيه، فنهاهُ النبيُّ ﷺ فقال له: «**لَا، وَلَكِنْ بِرَّ أَبَاكَ وَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُ**»[2].

• ولما رجعَ المسلمونَ من غزوةِ بني المصطلِق وقف هذا الابنُ المؤمنُ على باب المدينة، واستلَّ سيفَهُ، فلما جاءَ أبوهُ ابنُ سَلولٍ اعترضه وقال له: واللهِ! لا تجوزُ مِنْ هاهنا حتى يأذنَ لك رسولُ اللهِ ﷺ، فإنّه العزيزُ وأنتَ الذليلُ.

(١) **متفق عليه**: البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢) واللفظ للبخاري.

(٢) **حسن**: رواه البزار (٧٩٧٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٢٩)، وابن حبان (٤٢٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٣)].

فلما جاءَ النبيُّ الكريم ﷺ أذنَ لهُ، فخلّى سبيلَهُ، وقال له ابنُهُ: أَمَا إذا أذنَ لكَ رسولُ الله ﷺ فجُزِ الآن.

الجريمةُ الخامسةُ: إفكُه على أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها

لم تكدْ فتنةُ ابنِ سلولٍ تنقضي في غزاةِ بني المصطلق، حتى اخترعَ في مصنع كذِبهِ حادثةَ الإفكِ المشهورة في القرآنِ والحديثِ وكافةِ المصادرِ، وذلك في حقِّ أمِّنا الصدّيقةِ ابنةِ الصديقِ عائشة رضوان الله عليها.

وحديثُ الإفك الذي تولّى كِبرَه زعيمُ المنافقين ابنُ سلولٍ هو وشايةٌ عن امرأةٍ مِنْ أعظمِ نساءِ الأمة المحمدية عِلماً وفضلاً رضي الله عنها، ووشايةٌ عن رجلٍ صحابيٍّ عُرِفَ بالفضل والطهارةِ أيضاً، هذا الرجل اسمه: صفوانُ بنُ المعطل رضي الله عنه.

وقد نشأت حادثةُ الإفكِ بعدَ عودةِ النبيِّ ﷺ من غزوة بني المصطلق التي انتهتْ بنصرٍ مؤزَّرٍ للمسلمين على جموع بني المصطلق. وكانت انتصاراتُ رسولِ الله ﷺ تَفْعَمُ(١) قلبَ ابن سلول وقلوبِ المنافقين غيظاً وحَنَقاً، وتعترضُ في حلاقيمهم غصَّةٌ تكادُ تكتمُ أنفاسَهم، فلا يتنفَّسُونَ إلا من وراءِ أستارِ الظلامِ، لأنهم جبناءُ رعاديد، فقدوا كلَّ شيءٍ يمتُّ إلى الشجاعةِ بصلة.

تلك الحادثةُ هي حادثةُ التّقول بالكذبِ والباطلِ والافتراءِ في مصانعِ النفاقِ والفجورِ على أطهرِ المُطَهَّراتِ، وقد سَمَّى اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِهِ الحكيمِ هذا الافتراء «الإفك» وملخصُه:

---

(١) تفعَمُ: تملأ.

أنَّ أمَّنا عائشةَ فقدتْ عقداً فخرجَتْ تلتمسُه، فجاء النَّفَرُ الذين كانوا يحملون هَوْدَجَها فظنوها فيه، فحملوها ثم رحلوا، فرجَعَتْ وقد أصابَتِ العِقدَ، ولم تجدْ أحداً، فقعدتْ وظنَّتْ أنهم سيفقدونَها فيرجعون في طلبها؛ فغلبتْها عيناها فنامت ولم تستيقظْ إلا على قولِ صفوانَ بنِ المعطلِ -وكان يتأخرُ عن الجيشِ- إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجةُ رسولِ الله ﷺ؟ فأناخَ راحلتَه فَرَكِبَتْها، وما كلَّمها كلمةً واحدةً، ثم سار بها حتى قدم بها، وقد نزلَ الجيشُ في نحرِ الظهيرة.

حدث هذا وابنُ سلولٍ لم يفْرُغْ -بعدُ- من دسيسته الأولى التي أزعجتِ الجيشَ الإسلاميَّ، وأوقعتِ الاضطرابَ في حركاتِهِ، وفي مواعيدِ رحيله ومبيتِه، فسنحت له الفرصةُ للقيلِ والقال. ووجد الخبيثُ عَدُوُّ الله -ابنُ سلول- مُتَنفَّساً لِما رأى، فتنفَّسَ من كَرْبِ النفاقِ والحسدِ الذي استقرَّ بين ضلوعِهِ، فجعلَ يستحكي الإفك، ويستوشيه، ويُشيعُه، ويذيعُه، ويجمعُه، ويفرِّقُهُ، ويُخْرِجُهُ في قوالبَ مَنْ لا يُنْسَبُ إليه، ووجدَ هذا الحديثُ مرعىً خصيباً لشفاءِ ما في نفسِه من غلٍّ، وكان أصحابُه يتقربونَ إليه به، ومشى خلفه بذلك مرضى القلوب، وبعضُ من استزَلَّهُمُ الشيطانُ، فاستحوذَ على مكامِنِ الإيمان من أنفسِهم، فغَطَّاها بظلامِ وسوسته وضلالاته ...

فلما قدموا المدينةَ، أفاضَ أهلُ الإفكِ في الحديثِ، ورسولُ الله ﷺ ساكتٌ لا يتكلم، وكانت فتنةً عمياءَ، أصابتِ المجتمعَ المسلمَ بزلزلةٍ هزت كيانَه، وكاد الشَّرُّ يقعُ بين الأوسِ والخزرج حتى أسكتهم رسولُ الله ﷺ.

وكانت محنةً رهيبةً وبلاءً شديداً على أمِّنا الطاهرة عائشة، وعلى أَبَوَيْها الطَّاهرَيْن وآلِها وسائرِ المسلمين، ولم تكتحلْ عيناها بنومٍ منذُ أن سمعتِ الخبرَ، ولكنها توجَّهَت إلى اللهِ عزَّ وجلَّ بقلبها قائلةً: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف].

وأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ من علياءِ سمائِه تنزيهَ حليلة خَيْرِ المرسلين، الطاهرةِ المطَهَّرةِ بشهادةِ البراءةِ مختومةً بِخَتْمِ ربِّ العَالمين، تشهدُ بطهرها وكمالِها، وتندّدُ بالعقابِ الأليمِ لأولئكَ الذين لم يدفعوا الإفكَ والبهتانَ عن ساحةِ الطُّهرِ والكمالِ، وادخرَ أليمَ العذابِ للذين صَرَّحوا واستوْشُوا الافتراءَ والكذبَ، يثيرونه كلما خبَتْ نارُهُ زادوها سعيراً، وأنزل الله قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور].

وبهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن المبشرين بالخلود في النار ولا توبة لهم. لننتقل إلى القسم الثاني: وهم المبشرون بالنار ولكن لا يخلدون فيها ولهم توبة.

٢٠

قابيل[1]

أوَّلُ مجرمٍ في التاريخ .. وأوَّلُ من سنَّ القتلَ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان].

• بعثَ اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودين الحقِّ بشيراً ونذيراً، فَبَلَّغَ الرسالةَ، وأدى الأمانةَ، ونصح الأمةَ، وكشفَ الغمّةَ، وجاهدَ في سبيلِ دينه حتى أتاهُ اليقين، وأمرهُ ربُّه أن يُبشِّرَ المؤمنين الصادقين بالجنة والنعيم المقيم.

فقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) التسمية بـ (قابيل وهابيل) لم تأت في كتابٍ ولا سنة، وإنما ذكرها أهلُ التفسير.

وأمرَهُ أيضاً أن يُبَشِّرَ الكافرينَ المعاندينَ بالنارِ والعذابِ الأليم فقال له: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ [التوبة].

• **والمبَشَّرونَ بالنارِ قسمان:**

القسمُ الأولُ: المبشرون بالنارِ ولا توبةَ لهم ويُخَلّدون فيها.

القسمُ الثاني: المبَشّرون بالنارِ ولهم توبة، وهم في مشيئةِ الله إنْ شاءَ عذبهم بعدلِهِ في النارِ ولا يخلدون فيها، وإنْ شاءَ غفرَ لهم ولم يدخلهم النار.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع واحدٍ من القسم الثاني الذين بُشِّروا بالنارِ ولهم توبةٌ، ولا يُخلّدونَ في النار. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **قابيل؛ أوَّلُ مجرمٍ في التاريخ .. وأوَّلُ مَنْ سنَّ القتلَ.**

• فتعالَوا بنا لنتعرَّفَ على مِلَفِّ القضية:

• **الجريمة:** القتلُ العمدُ.

• **رقمُ القضية:** الأولى مِنْ نوعِها على وجهِ الأرض.

• **القاتلُ:** قابيلُ أحدُ ابنَيْ آدم وأولُ من سنَّ القتلَ.

• **المقتولُ:** هابيلُ أحدُ ابني آدم.

• **الدافعُ للجريمة:** الحقدُ والحسدُ وقلةُ الدين.

• **جزاءُ هذا المجرمِ:** الندم .. الخسران ... النار.

وهذه القضيةُ يُخبرُنا عنها ربُّنا جَلَّ وعلا في كتابه فيقول: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة].

• وكلامُنا عن هذا المجرمِ الذي سنَّ القتلَ سيكونُ حولَ العناصر التالية:

العنصرُ الأول: هكذا يفعلُ الحسدُ بأهله.

العنصرُ الثاني: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

العنصر الثالث: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

العنصر الرابع: الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من قصةِ هذا المجرمِ مع أخيه.

• **العنصرُ الأول: هكذا يفعل الحسدُ بأهله**

الحسدُ نوعان: محمودٌ ومذمومٌ.

فالحسدُ المحمودُ: هو حسدُ الغبطة، وهذا مشروعٌ ولا بأسَ به. ولا يُعابُ على صاحبه لقوله ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[1].

وأما الحسدُ المذمومُ: فهو أن يتمنى الحاسدُ أن تزولَ النعمةُ من عندِ أخيه سواءٌ انتقلت إليه أم لا، ومثالُ هذا يظهرُ لنا من قصةِ ابني آدم (قابيل وهابيلَ) إذ تقربا بقربانٍ إلى الله، فتقبلَ اللهُ من هابيلَ ولم يتقبلْ من قابيل، فحسدَ قابيلُ أخاهُ هابيلَ على هذه النعمةِ ودفعهُ الحسدُ إلى البغي، ودفعه البغيُ إلى القتل.

• والحسدُ هو داءُ الأممِ الذي يدفعُ صاحبَهُ إلى سوءِ الظَّنِّ وإلى التجسسِ والغيبةِ والنميمةِ والتباغضِ والتدابرِ، ويدفعُ إلى البغيِ الذي يَدفعُ صاحبَه إلى القَتل.

قال ﷺ: «**سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ ﷺ: «**الْأَشَرُ وَالْبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٥٢٩).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٠١٦)، والحاكم (٧٣١١) واللفظ له، [«السلسلة الصحيحة» (٦٨٠)].

وقال ﷺ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْبَغْضَاءُ وَالْـحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ وَهِيَ الْـحَالِقَةُ، لَيْسَ حَالِقَةَ الشَّعْرِ، لَكِنْ حَالِقَةَ الدِّينِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ لَكُمْ ذلك؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[1].

• ولما كان الحسدُ يدفعُ صاحبَهُ إلى البغي والقتلِ جاء التحذيرُ من رسولِ الله ﷺ من الحسد. فقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا**»[2].

وقال ﷺ: «**لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَفَيْحُ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْـحَسَدُ**»[3]. وقال ﷺ: «**لا يزالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا**»[4].

فكونوا منَ الحسدِ على حذرٍ، وما يحدثُ في بلادِ المسلمينَ اليومَ أكبرُ دليلٍ على أنَّ الحسدَ يدفعُ صاحبَهُ إلى كلِّ شرٍّ.

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد (١/ ١٦٤)، والبزار (٢٢٣٢) واللفظ له، وأبو يعلى (٦٦٩)، وعبد بن حميد (٩٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٩٥)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣) .

(٣) **حسن** : رواه ابن حبان (٤٦٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٦٦٠٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٨٦)].

(٤) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨١٥٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٨٧)].

• **العنصرُ الثاني:** ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

قتلَ قابيلُ أخاهُ بغيرِ حقٍّ، فماذا استفادَ من ذلك؟ هل حقّقَ مُرادَهُ وأهدافَهُ؟ هل نالَ ما وعدَهُ شيطانُه اللعينُ ونفسُهُ الشّريرة؟ إنه لم يَجْنِ من سفكِ دمِ أخيهِ خيراً، ولم يستفدْ منه شيئاً، لقد خسرَ خسارةً مطلَقَةً ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، نعم، لقد كانت خسارتُهُ عامةً شاملةً، مستوعبةً لكلِّ ما تحملُه منَ المظاهرِ، ومن مظاهرِ خسارتِه:

أولاً: أنهُ خسرَ أخاهُ عندما سفكَ دمهُ. ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾.

ثانياً: أنه خسر والِدَيه وأهلَهُ حيثُ غضبوا عليه لجريمته.

ثالثاً: أنه خسرَ معاني الأخوةِ التي كانت تربطُهُ بأخيه.

رابعاً: أنه خسرَ كُلَّ معاني الإنسانيةِ الخيّرةِ، مِثلَ الرحمةِ والمودةِ والتسامح.

خامساً: أنه خسرَ راحةَ نفسِه وهدوءَهُ واطمئنانَه وسعادتَه، ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾.

سادساً: أنهُ خسرَ حياتَهُ حيثُ حوَّلَها من حياةٍ خَيِّرَةٍ نافعةٍ إلى حياةٍ شِرِّيرةٍ ظالمةٍ معتديةٍ.

سابعاً: أنه خسرَ آخرتَه، بأنْ أخرجَها من رحمةِ اللهِ وجنتهِ إلى عذابِه ونارِه.

كيف لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

ثامناً: أنه خسرَ تاريخَهُ، حيث صارَ رمزاً للبغيِ والظلمِ والعدوانِ وأصبحَ مثالاً سيئاً لمعاني الشرِّ والفسادِ، وقدوةً لكلِّ قاتلٍ ظالمٍ شرير.

• العنصرُ الثالث: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

لما قصَّ اللهُ علينا قصةَ هذا المجرم الذي قتل أخاهُ ظلماً وعدواناً ختمَ ربُّنا الآياتِ بقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

مما يَدُلُّ على أنَّ جريمةَ القتلِ جريمةٌ نكراءُ؛ حَرَّمَها اللهُ في كتابه، ورسولنا ﷺ في سنته.

فقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان].

وقال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْـمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»[1].

وقال ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْـمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْـمَقْتُولُ فِي النَّارِ**» قيل: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْـمَقْتُولِ؟ قَالَ ﷺ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»[2].

وقال ﷺ: «**لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[3].

وقال ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ**»[4].

فما هذا الذي نراهُ يحدثُ في بلادِ المسلمينَ اليومَ؟! مسلمٌ يقتلُ أخاهُ المسلمَ من أجلِ الدنيا الفانيةِ؟! أنسي هذا القاتلُ أن القتلَ حرامٌ، وأنَّ أولَ شيءٍ يُقضى بينَ العباد يومَ القيامةِ الدماءُ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٨٤)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري(١٢١)، ومسلم (٦٥).

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (١٣٩٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٤٢)].

قال ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يومَ القِيَامَةِ في الدِّمَاءِ»[1].

ويقولُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يأتي المقتولُ متعلقاً رأسَهُ بإحدى يَدَيْه، مُتَلَبِّباً قاتلَهُ باليد الأخرى تَشْخَبُ أوداجُه دماً، حتى يأتيَ به العرشَ، فيقول المقتولُ لرب العالمين: هذا قتلني، فيقولُ اللهُ للقاتلِ: تَعِسْتَ! وَيُذْهَبُ به إلى النار»[2].

العنصرُ الرابعُ: الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تُؤْخَذُ من قصةِ هذا المجرمِ مع أخيه

أولاً: تقوى اللهِ سببٌ لكلِّ خيرٍ، والحسدُ سببٌ لكل شَرٍّ

• فتقوى الله سببٌ لقبولِ الأعمالِ عندَ الله.

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

• تقوى الله تجْعلُك مِنْ أكرمِ الناسِ عندَ اللهِ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ»[3].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٧٤٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٤٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

• تقوى الله تجعلُك من أولياء الله. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ [الجاثية].

• تقوى الله سببٌ للحصولِ على الرزق الحلال قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

• تقوى الله سببٌ لتيسير الأمور. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق].

• تقوى الله سببٌ للنصرِ والتمكينِ في الأرضِ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾ [آل عمران].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل].

وهذا يوسف عليه السلام مكَّنَهُ اللهُ في الأرضِ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾ [يوسف].

وها هو يوسفُ عليه السلام يعترفُ بهذه النعمة فيقول: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف].

• تقوى الله تُنَجِّي صاحبَها من عذابِ النار. قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾ [مريم].

• تقوى الله سببٌ للفوزِ بالجنةِ. قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم].

أما الحسدُ فهو سببٌ لكلِّ شرٍّ، فهو الذي دفعَ قابيلَ أن يقتلَ أخاهُ فأصبح من الخاسرين، وأصبحَ من النادمين، وأصبحَ من أصحاب النار.

ثانياً: من سنَّ سنةً سيئةً فعليه وِزْرُها وَوِزْرُ من عمل بها إلى يومِ القيامة.

وهذا يُؤْخَذُ من قصةِ ابْنَي آدمَ، مِنْ فِعْل قابيلَ؛ فهو أولُ من سنَّ القتل على هذه الأرض.

قال ﷺ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**»[1]. وقال ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٧).

ابنَ آدم! احذرْ أن تكونَ إماماً في الشَّرِّ، احذرْ أن تكونَ رأساً في المعاصي فيقتديَ بك الناسُ في معصيةِ الله، فتأتي يومَ القيامة تحملُ وزركَ ووزرَ مَنِ اقتدى بك، وتندمُ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندم.

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر:١٨].

٢١

الزاني

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف].

ويقول سبحانه: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور].

موعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- معَ واحدٍ من المبَشَّرين بالنارِ ولكن لا يخلدون فيها. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **الزاني**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

وقال ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي.... فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا:... وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمْ الزُّنَاةُ**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٨٦).

وقال عطاءُ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر] قال: (أشدُّ تلكَ الأبوابِ غمًّا وحراً وكَرْباً وأنْتَنُها ريحاً للزناة)[1].

• فالزاني بُشِّرَ بعذابِ القبرِ وعذابِ النارِ لأنهُ ارتكبَ كبيرةً من أكبرِ الكبائرِ ألا وهي: الزنا.

وكلامُنا عن الزاني وعن جريمة الزنا سيكونُ حولَ العناصر التالية:

العنصرُ الأولُ: الزنا قبيحٌ شرعاً وعقلاً.

العنصرُ الثاني: آثارُ الزنا على الزناةِ وعلى المجتمعِ المسلم.

العنصرُ الثالثُ: كيف يُحَصِّنُ المسلمُ نفسَه من الزنا؟

العنصر الأول: الزنا قبيحٌ شرعاً وعقلاً.

من المقررِ في الإسلام أنّ الزنا قبيحٌ شرعاً وعقلاً قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

فوصفَ اللهُ عزَّ وجلَّ الزنا بأنهُ فاحشةٌ من دون تخصيص، سواءٌ قبلَ ورودِ النهي أو بعدَه.

وقال الشيخُ السعدي في تفسير هذه الآية: (ووصفَ اللهُ الزنا وقُبحَهُ بأنَهُ ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أي: إنما يُسْتَفحَشُ في الشرعِ والعقلِ والفِطَرِ؛ لِتَضَمُّنِهِ التَّجَرِّي

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٥/ ١٩٨).

على الحرمةِ في حقِّ الله، وحقِّ المرأةِ، وحقِّ أهلِها أو زوجِها، وإفسادِ الفراشِ، واختلاطِ الأنسابِ وغيرِ ذلك من المفاسد)[1].

فالزنا فاحشةٌ، واللهُ عزَّ وجلَّ حرَّمَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطن. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾[الأعراف:٣٣].

• ومما يدلُّ على قُبح الزنا عندَ أصحابِ العقولِ السليمةِ، والفِطَرِ السَوية:

١- قولُهُ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْرَجَنِي مِنَ النِّكَاحِ، وَلَمْ يُخْرِجْنِي مِنَ السِّفَاحِ**»[2].

وقوله ﷺ: «**خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْـجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ**»[3].

٢- وهذا عثمانُ بنُ عفانٍ رضي الله عنه عندما حاصرهُ البُغاةُ ليقتلوهُ، خرج عليهم فقال: (وَلِمَ يَقْتُلُونَنِي؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلاَمٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ**» فَوَاللهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ قَطُّ)[4].

---

(١) ذكره السعدي في :«تفسير كلام الرحمن» (ص٤٥٧) .

(٢) **حسن**: رواه البيهقي في «الشعب» (١٣٩٦)، [«صحيح الجامع» (١٧٠٣)].

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٧٢٨)، والآجري في «الشريعة» (٩٥٧) واللفظ له، [«صحيح الجامع» (٣٢٢٥)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٥٠٢) واللفظ له، والترمذي (٢١٥٨)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، وأحمد (١/ ٦٥)، [«الإرواء» (٢١٩٦)].

٣- وهذه هندُ بنت عُتبةَ تقولُ وهي تبايعُ الرسولَ ﷺ مستنكرةً متعجبةً: (أوَتزني الحرةُ يا رسولَ الله؟!)[1].

٤- ومما يدلُّ على قُبحِ الزنا أنهُ لا يُحبُّهُ أحدٌ لنفسِهِ أو لغيره والدليلُ على ذلك: عن أبي أمامةَ قال: (إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ! فَقَالَ ﷺ: «**ادْنُهْ**» فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَاجلِسْ قَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**» قَالَ: لَا واللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**» قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**» قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ،جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**» قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ،جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**» قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**» قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)[2].

---

(١) **صحيح مرسلاً**: رواه ابن سعد (٨/ ٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٨٦٨)، [«الإصابة» (٨/ ٣٤٦)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٥٦)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٧٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥٤١٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٧٠)].

٥- ومما يدلُّ على قبحِ الزنا أنهُ مِنْ عملِ شياطينِ الجنِّ والإنسِ والدليلُ على ذلك. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١].

وقال ﷺ: «إِنَّ الْـمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شيطانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَاكَ يَرُدُّ مِمَّا فِي نَفْسِهِ»[١].

وقال ﷺ: «لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ»[٢].

وقال ﷺ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْـمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْـمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٠٣)، وأحمد (٣/ ٣٣٠) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٧١)، وأحمد (٣/ ٤٤٦)، والبزار (٣٨١٧)، [«صحيح الترغيب» (١٩٠٨)].

وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ! مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا! أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا»[1].

وفي الحديثِ دليلٌ على أنَّ الذينَ يُخَطِّطون ويَحُثون ويأمرونَ بالزنا هم شياطينُ الإنس. وفيه أيضاً أنَّ مرتكبَ الفاحشةِ -الزنا- لا تبقى له حُرمة. فالزنا قبيحٌ شرعاً وعقلاً، تأباهُ العقولُ السليمة، والفِطرُ السَّوِيَّةُ، ولا يرضاهُ أحدٌ لنفسِهِ ولا لغيرِهِ، وهو من تزيين شياطين الجنِّ والإنسِ.

العنصرُ الثاني: آثارُ الزنا على الزناةِ وعلى المجتمع المسلم.

أولاً: خُروجُ نورِ الإيمانِ من الزاني حالَ ارتكابِهِ جريمةَ الزنا

قال رسولُ الله ﷺ: «لَا يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» قَالَ عِكْرِمَةُ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: كَيْفَ يُنْزَعُ الْإِيمَانُ مِنْهُ؟ قَالَ: (هَكَذَا -وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا- فَإِنْ تَابَ، عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٨٠٩).

وقال ﷺ: «إِذَا زَنَى الْعَبْدُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ عَادَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»[1].

ثانياً: عدمُ استجابةِ دعاءِ الزاني

قال ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجَ عَنْهُ؟ فَلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، إِلَّا زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا، أَوْ عَشَّارًا»[2].

وقولُهُ ﷺ: (إلا زانيةً تسعى بفرجها) أي: تكتسبُ من الزنا (أو عَشَّاراً) أي: مَكَّاساً فإنه لا يستجاب لهما لجرم ذنبهما[3].

ثالثاً: الزنا مُوجبٌ للعقوباتِ الجماعيةِ والفردية

العقوبات الجماعيةُ

لا يقتصرُ ضررُ الزنا على الزُّناةِ وحدَهم، بل يتعدى إلى غيرهم فينزلُ غضبُ الله تعالى على القومِ الذين يَكْثُرُ فيهم الزنا، فيكثرُ فيهمُ الموتُ، ويحلُّ بهم عذابُ الله وعقابُه.

قال ﷺ: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا فَيُوشِكُ؛ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِقَابٍ»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٢٥)، وأبو داود (٤٦٩٠)، والحاكم (٥٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥٣٦٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٩٤)].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨٣٩١)، و«الأوسط» (٢٧٦٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٩١)].

(٣) «فيض القدير» (٣٣٣٩).

(٤) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٦/ ٣٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٣/ ٥٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٠٠)].

وقال ﷺ: «**مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الزِّنَا وَالرِّبَا إِلا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ الله**»[1].

وقال ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ الله**»[2].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (وَلَا فَشَا الزِّنَا فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا كَثُرَ فِيهِمُ الْـمَوْتُ)[3].

ويقولُ ابنُ القيم رحمه الله: (الزنا من أسبابِ الموتِ العامِّ والطواعينِ المتصلةِ، ولما اختلطتِ البغايا بعسكرِ موسى عليه السلام وفشتْ فيهم الفاحشةُ، أرسلَ اللهُ إليهمُ الطاعونَ، فمات في يومٍ واحدٍ سبعونَ ألفاً)[4].

كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ يقول: «**لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**»[5].

العقوباتُ الفردية:

وتنقسمُ العقوباتُ الفرديةُ المقرَّرةُ للزناةِ إلى فئتين: عقوباتٌ جسديةٌ، وعقوباتٌ معنوية.

العقوباتُ الجسديةُ: يفقدُ الزاني والزانيةُ إذا كانا محصنَيْنْ حقَّ البقاءِ على قيدِ الحياةِ بارتكابهم جريمة الزنا. قال رسولُ الله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْـمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»[6].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٤٠٢)، وأبو يعلى (٤٩٨١)، وابن حبان (٤٤١٠)، [«صحيح الجامع» (٥٦٣٤)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه الحاكم (٢٢٦١)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥٩)].

(٣) رواه مالك في «الموطأ» (٢٦).

(٤) «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» (٢٨١).

(٥) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، [«صحيح الترغيب» (١٧٦١)].

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٨٤)، ومسلم (١٦٧٦).

ويُقتلان رجماً بالحجارة، فإنهما لَّما تلذَّذتْ أجسادُهم بالحرام عوقبوا بالرجم حتى الموت؛ لتذوق جميعُ أجزائهم نصيبَها من العذاب، قال ﷺ: «**الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْـحَجَرُ**»(١).

أما إذا كان الزانيان غير مُحْصَنَيْنِ، فيُجلَدُ كُلُّ واحدٍ منهما مائةَ جلدةٍ قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢].

العقوباتُ المعنوية:

أولاً: التفضيحُ: لقد أمرَ اللهُ تعالى بتنفيذِ عقوبةِ الزنا علانيةً، فقال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور:٢].

ولعلَّ التفضيحَ يُنكِّلُ به أشدَّ منَ التعذيبِ.

ثانياً: تحريمُ مناكحة الزناة: لما قال مرثد ابن أبي مرثدٍ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَأَنْكِحُ عَنَاقًا؟ -وكانت امرأة بغياً- فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور:٣]. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا مَرْثَدُ! الزَّانِي لاَ يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ، فَلاَ تَنْكِحْهَا**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٥٣)، ومسلم (١٤٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣١٧٧)، والحاكم (٢٧٠١)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ١٥٣)، [«الإرواء» (١٨٨٦)].

ولهذا ذهبَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلَ إلى تحريمِ نكاحِ الزاني من امرأةٍ عفيفةٍ، وتحريم نكاحِ العفيفِ من زانيةٍ، إلا أن تقعَ التوبةُ.

ويقولُ الإمامُ ابنُ قُدامَة: (وَإِذَا زَنَتْ الْمَرْأَةُ، لَمْ يَحِلَّ لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ نِكَاحَهَا إلَّا بِشَرْطَيْنِ: أَحَدُهُمَا: انْقِضَاءُ عِدَّتِهَا، وَالشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ تَتُوبَ مِنْ الزِّنَا)[1].

ثالثاً: ردُّ شهادة الزناة فقد تقرَّرَ في الإسلام أن الزانيَ يفقدُ أهليةَ أداءِ الشهادةِ، عقوبةً له على ارتكابِ هذه الجريمةِ العظيمة. قال رسولُ الله ﷺ: «**لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ وَلَا خَائِنَةَ، وَلَا زَانٍ وَلَا زَانِيَةٍ، وَلَا ذِي غَمْرٍ**» -أي: حقدٍ- «**عَلَى أَخِيهِ**»[2].

رابعاً: عذابٌ في الآخرة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان].

وقال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»[3].

وقال ﷺ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الشَّيْخِ الزَّانِي، وَلَا إِلَى الْعَجُوزِ الزَّانِيَةِ**»[4].

---

(١) «المغني» (٧/ ١٤٠).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٣٦٠١)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٠١)، [«صحيح الجامع» (٧٢٣٦)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٧).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٤٠١)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٩٦)].

العنصرُ الثالثُ: كيف يُحَصِّنُ المسلمُ نفسَه من الزنا

أولاً: بغضِّ البصر.

البصرُ نعمةٌ عظيمةٌ لا يعرفُ قيمَتها إلا من فقدها، لكنَّ هذه النعمةَ قد تتحولُ إلى نِقمةٍ على صاحبها، إذا ما أطلقها في النظر إلى النساء الكاسيات العاريات في الشوارع وغيرِها؛ فالنظرُ بريدُ الزنا، وهو الشرارةُ الأولى لوقوع فاحشةِ الزنا. قال ﷺ: «**الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْفَرْجُ يَزْنِي**»[1].

ويبينُ لنا رسولُ الله ﷺ في حديثٍ آخرَ ما هو زنا العينين؟ فيقول: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**»[2].

ولذلك جاءتِ الأوامرُ في الكتابِ والسنةِ تأمرُ بغضِّ البصر. قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور:٣٠-٣١].

وقال ﷺ: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤١٢)، والبزار (١٩٥٦)، وأبو يعلى (٥٣٦٤)، [«صحيح الجامع»(٤١٥٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ له.

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨٠٦٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٠٢)، [«صحيح الترغيب» (١٩٠١)].

وقال ﷺ لعلي: «يَا عَلِيُّ! لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ»[1].

وعن جرير بنِ عبدِالله رضي الله عنه أنه قال: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي)[2].

وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (حِفْظُ الْبَصَرِ أَشَدُّ مِنْ حِفْظِ اللِّسَانِ)[3].

ثانياً: بالزواج، فإنْ لم يستطعْ فبالصوم

قال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[4].

ثالثاً: بالابتعادِ عن المرأة الأجنبية

لقوله ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[5].

ولقوله ﷺ: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[6].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٧٧٧)، وأبو داود (٢١٤٩)، وأحمد (٥/ ٣٥١)، والحاكم (٢٧٨٨)، [«صحيح الترغيب» (١٩٠٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٥٩).

(٣) رواه ابن ابي الدنيا في «الورع»(ص٦٢).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٠٦)، ومسلم (١٤٠٠).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

ولقوله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «**الْحَمْوُ الْمَوْتُ**»[1] الحمو: قريبُ الزوجِ.
ولقوله ﷺ: «...**أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»[2].

رابعاً: بالعفة

والمرادُ بالعفةِ هو الترفعُ عن الوقوعِ في فاحشةِ الزنا. قال تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النور:٣٣]. وقال تعالى: ﴿**وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾**﴾ [النور].

وقال ﷺ: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ**»[3].

خامساً: بقوةِ الإيمانِ باللهِ عزَّ وجلَّ

لقوله ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[4].

سادساً: بمعرفةِ ما أعدَّهُ اللهُ للزناةِ من خزي الدنيا والآخرة

فالزنا يُسَوِّدُ الوجوهَ البيضاءَ، ويُطَأْطِئُ الرؤوسَ العاليةَ، وَيُخْرِسُ الألسنة البليغة.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٧١)، وأحمد (٣/ ٤٤٦)، والبزار (٣٨١٧)، [«صحيح الترغيب» (١٩٠٨)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٢٧).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور].

سابعاً: الخوفُ من الله

لقوله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» وذكر منهم: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**»[(١)].

ثامناً: الحياءُ منْ الله

قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ للهِ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ الْـمَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ**»[(٢)].

وحفظ البطنِ وما حوى يدخلُ فيها حفظُ الفروج، وقد أثنى اللهُ على الحافظين فُروجَهم والحافظات، وأعدَّ لهم مغفرةً وأجراً عظيماً، فقال تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (١/ ٣٨٧)، والبزار (٢٠٢٥)، وأبو يعلى (٥٠٤٧)، [«صحيح الترغيب» (١٧٢٤)].

٢٢

المرابي

عبادَ اللهَ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر].

ويقول سبحانه: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ الله تعالى- مع واحدٍ من المبَشّرين بالنارِ، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إن مات على التوحيد. أتدرون مَنْ هوَ يا عبادَ الله؟ إنه: **المرابي -أي: الذي يتعاملُ بالربا، الذي يأكلُ الربا-**

• المرابي بَشَّرهُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه بالنار فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران].

لماذا بُشِّرَ المرابي بالنار؟

أولاً: لأنهُ أجرمَ في حقِّ رَبِّهِ

وذلك لأنهُ عصى اللهَ وتعَدَّى حدُودَهُ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

والله عزَّ وجلَّ حرَّمَ الربا في كتابه، وعلى لسانِ رسولِهِ ﷺ قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ [آل عمران:١٣٠].

وقال ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: وذكر منها: «**وَأَكْلُ الرِّبَا**»[1].

فبعدَ كُلِّ هذه الأدلةِ في تحريمِ الربا، تعدى المرابي حدودَ الله وأكلَ الربا، فهو مجرمٌ في حَقِّ رَبِّه.

ثانياً: لأنه أجرمَ في حَقِّ نفسهِ

١- فعَرَّض نفسَهُ لحربِ الله ورسولِهِ ﷺ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

٢- عَرَّضَ نفسَهُ لِلذُّلِّ قال ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ» -وهي نوعٌ من أنواع الربا- «وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[1].

٣- عَرّضَ نفسَه ومالَهُ للهلاكِ والدمارِ والمَحْقِ قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا، إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ»[2].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم].

٤- عرَّضَ نفسَهُ للعنةِ الله ورسولِهِ ﷺ؛ عن جابرٍ رضي الله عنهما قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ)، وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ»[3].

ثالثاً: لأنهُ أجرمَ في حقِّ أولاده فأطعَمَهُمُ الحرام

والنبي ﷺ يقول: «كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»[4].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٣١٦)، [«صحيح الترغيب» (١٣٨٩)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٢٧٩)، [«صحيح الترغيب» (١٨٦٣)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٩٨).

(٤) **صحيح**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١)، والبيهقي في «الشعب» (٥٧٥٩)، [«صحيح الجامع» (٤٥١٩)].

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم:٦].

والنبيُّ ﷺ يقول: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» إلى أن قال ﷺ: «**وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ**»(١).

رابعاً: لأنهُ أجرمَ في حقِّ مجتمعه

لأنَّ أَكَلَةَ الرِّبا عَرَّضوا مجتمعهم وأُمَّتَهم لعذابِ الله قال ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ**»(٢).

خامساً: المرابي بُشِّرَ بالنارِ لأنهُ أشدُّ عندَ اللهِ من الزاني

قال ﷺ: «**دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً**»(٣).

وقال ﷺ: «**الرِّبَا ثَلاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا؛ أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ**»(٤).

سادساً: المرابي بُشِّرَ بالنارِ لأنهُ امتصَّ دماءَ الفقراءِ من المسلمين بأكل أموالهم

ولذلك عاقبَهُ اللهُ بأن عذَّبَهُ في نهرٍ من دم، جزاءً وفاقاً، ولا يظلمُ ربُّك أحداً. أخبرَ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ يوماً عمَّا رآهُ في منامهِ، فكان مما قال لهم: «**فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبح، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٨٨)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الحاكم (٢٢٦١)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥٩)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٥٢)، والبزار (٣٣٨١)، والدارقطني (٤٨)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥٥)].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الحاكم (٢٢٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥١)].

حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هذَانِ؟» ثم أخبر ﷺ: «فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا»[1].

كيف يقي المسلمُ نفسَهُ من جريمة الرِّبا؟

أولاً: بالإيمان والتقوى

فقد ربط الله في موضعين في كتابه بينَ الإيمان والتقوى وتركِ الربا.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران].

فاللهُ عزَّ وجلَّ ينادي على المؤمنين باسمِ الإيمان أن اتركوا الربا إن كنتم تؤمنون بالله وتتقونه، ولذلك لا يأكلُ الربا إلا ضعيفُ الإيمان، وقليلُ التقوى.

ثانياً: بالخوفِ من اللهِ

فالله عزَّ وجلَّ لم يعلنِ الحربَ على عاصٍ إلا على آكلِ الربا فقال تعالى مهدداً: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٩].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٤٠).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)﴾ [آل عمران].

ثالثاً: بالتخلقِ بأخلاقِ الإسلامِ، كالسماحةِ والتصدقِ وإنْظارِ المعسر

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ[١] لَهُ، أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**»[٢].

وقال ﷺ: «**تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ. فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا[٣] عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ**» وفي لفظ: «**فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**»[٤].

---

(١) (وضع له): أي سامحه بشيءٍ من دينه.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٣٠٦)، وأحمد (٢/ ٣٥٩)، والبزار (٨٩٠٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٧٩)، [«صحيح الترغيب» (٩٠٩)].

(٣) (ويتجوَّزوا): التجاوز والتجوز معناهما المسامحة والتساهل في الطلب.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٦٠).

رابعاً: بالتفقهِ في الدين

لقوله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[1] وقد كان عمرُ رضي الله عنه يقول: (لاَ يَبِعْ فِي سُوقِنَا إِلاَّ مَنْ قَدْ تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ)[2].

لأن من باعَ واشترى في السوقِ وليس عنده فقهٌ ولا معرفةٌ ولا درايةٌ بالأحكامِ الشرعيةِ فإنهُ قد يستحلُّ الحرامَ ويأكل الربا من حيثُ لا يدري.

فالربا مثلاً قال عنه ﷺ: «**الرِّبَا ثَلاَثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا؛ أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ**»[3].

فكم من المسلمينَ وقعَ في أبوابِ الربا هذه بسبب الجهلِ وهو لا يدري.

خامساً: بِتذكُّرِ الموتِ والقبرِ والقيامة

ولذلك ختمَ اللهُ آياتِ الربا التي أعلنَ فيها الحربَ على المرابين بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة].

وهذا اليوم الذي يَرْجِعُ فيه العبادُ إلى الله هو يومُ القيامة، ويبدأ بالموتِ ثم بالقبرِ ثم بالحشرِ والحسابِ والجزاءِ، والشاهد أننا نرى كثيراً من الناسِ عن هذه الأهوالِ غافلين، كما قال القائل:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٤٨٧)، والبغوي (٢٠٣٣).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الحاكم (٢٢٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥١)].

أمـا والله لـو عَلِـمَ الأنـامُ ... لمـا خُلقـوا لمـا هجعـوا ونـاموا

لقـد خُلقـوا لأمـرٍ لـو رأتـهُ ... عيـون قلـوبهم تـاهوا وهـاموا

ممـاتٌ ثـم قـبرٌ ثـم حـشرٌ ... وتـوبيخٌ وأهـوالٌ عظـامُ

ليـوم الحـشر قـد عملـت رجـالٌ ... فـصلوا مـن مخافتـه وصـاموا

ونحـن إذا أُمرنـا أو نُهينـا ... كأهـل الكهـف أيقـاظٌ نيـام

والمرابون يقومون يومَ القيامةِ من قبورهم كالذي مَسَّهُ الشيطانُ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥].

سادساً: بتذكُّرِ الوقوفِ بينَ يَدَيِ اللهِ للسؤالِ عن المالِ

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

وقال ﷺ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟**»[1].

أيها المرابي!!

مَثِّل وقوفَكَ يومَ العـرضِ عُريانـا ... مُسْتَوحشاً قلـقَ الأحـشاءِ حيرانـاً

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٤١٦)، والطبراني في «الكبير» (٩٧٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٦٤٧)، [«صحيح الترغيب» (١٢٨)].

والنارُ تلهَبُ من غيظٍ ومـن حَنَـقٍ   على العُصاةِ وربُّ العرشِ غـضبانا
اقرأ كتابَـك يـا عبـدِي عـلى مَهَـلٍ   فهل ترى فيه حرفـاً غـيرَ مـا كانـا
لمـا قـرأتَ ولم تنكـرْ قراءتَــه   إقرارَ مـن عـرفَ الأشـياءَ عِرفانـا
نادى الجليـلُ خـذوهُ يـا ملائكتـي   وامضوا بعبدٍ عصى للنارِ عطـشانا
المجرمـونَ غـداً في النـارِ يلتهبـوا   والمؤمنـونَ في دارِ الخلـدِ سـكانا

* وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[1]. فهذه معاملاتٌ ربوية يقعُ فيها كثيرٌ من المسلمين بسببِ جهلهم، وقلةِ دينهم أذْكُرُها لكم لتكونوا منها على حذرٍ.

أولاً: بيعُ النقودِ بالنقودِ أو الطعامِ بالطعامِ مع الزيادةِ، ولا يكون ذلك إلا في الأصناف الستة المذكورة في حديث عُبادة بن الصامت رضي الله عنه وفيه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ**»[2].

• ومن هذا الحديث نعلمُ أن بيعَ الذهبِ وشراءَهُ بالتقسيط لا يجوزُ، كأن يشتريَ رجلٌ بألفِ دينارٍ ذهباً ويُقَسِّطَها على أقساطٍ قليلةٍ أو كثيرةٍ.

بل لا يجوز إبقاءُ شيءٍ من ثمنِ الذهبِ وإن قلَّ، كأن يشتريَ الرجلُ بألفِ دينارٍ، ثم لا يجدُ معهُ إلا تسعمائةٍ وخمسين، فلا يجوز إبقاءُ الخمسين ديناراً ديناً لقوله ﷺ: «**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ**»[3].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم(١٥٨٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢١٣٤)، ومسلم (١٥٨٦) واللفظ للبخاري.

أي: خُذْ وهات، خُذِ الثمنَ وهاتِ الذهبَ، هاتِ الذهبَ وخُذِ الثمنَ، أمَّا تأخيرُ الثمن فلا يجوزُ، وكذلك لا يجوزُ أن يبيعَ رجلٌ على الصائغ ذهباً بألفين فيقول الصائغُ ليس معي نقداً الآن، ارجع إلي آخرَ النهارِ فخذ ثمنَ ما بعتَ، فهذا لا يجوز، وكذلك لا يجوز بيعُ الذهب القديمِ، ثم يشتري الجديد ويدفعُ الفرقَ، والواجب أن يبيعَ الذهب القديم ويقبض ثمنَهُ ثم يشتري ويدفعَ الثمنَ. فإن قال قائلٌ: نحنُ لا نبيعُ ذهباً بذهب إنما نبيعُ ذهباً بعُمْلةٍ ورقيةٍ؟

فالجواب: (لقد كان التعاملُ سابقاً بالذهبِ والفضة، وأصبح التعاملُ الآن بالأوراق النقدية بدلاً عنها، والبدلُ له حكمُ المُبدَل)[1] .

ثانياً: القرضُ المشروطُ بالزيادةِ نظيرَ التأخيرِ، وهو المعروف بربا النسيئةِ. يقترضُ الألفَ بألفٍ ومائةٍ إلى سنة، فإذا حلَّ الأجلُ ولم يقضِ زادَ المدينُ في النقد مُقابلَ أن يزيدَ الدَّائنُ في الأجل، فيؤخرَ القضاءَ إلى سنةٍ أخرى حتى تصبح الألفُ والمائة ألفاً ومائتين، وهكذا كلما تضاعفَ الأجلُ تضاعف الدَّين وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وأبوابُ الربا والمعاملات الربوية كثيرةٌ جداً يقول ﷺ: «**الرِّبَا بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا**»[2].

(١) «الضياء اللامع» (٥٣٦ و٥٣٧) .

(٢) **صحيح**: رواه البزار (١٩٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٩٦٠٨)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥٢)].

والربا ضررهُ عظيمٌ وخطرهُ جسيمٌ فكونوا من المعاملات الربوية والبنوك على حذر! يقول ﷺ: «**الْـحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْـحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ**»[(٣)].

وفي هذا إشارةٌ إلى أنه ينبغي التباعُدُ عن المحرماتِ، وأن يجعلَ الإنسانُ بينه وبينها حاجزاً.

وقال الحسنُ: (مازالتِ التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام)[(٤)].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي في «الكبرى» (٥٢٠١)، وأحمد (١/ ٢٠٠)، والدارمي (٢٥٧٤)، والبزار (١٣٣٦)، [«صحيح الترغيب» (١٧٣٧)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٤/ ٢٢٨)، والدارمي (٢٥٧٥)، وأبو يعلى (١٥٨٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٤٨/ ٤٠٣)، [«صحيح الترغيب» (١٧٣٤)].

(٤) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢١٧).

٢٣

المرائي

عبادَ الله! يقولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع واحدٍ من المبشرين بالنارِ، ولكن لا يُخلَّدُ فيها إن مات على التوحيد. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟ إنه: **المرائي**.

أتعرفونه؟ إنهُ الذي يُريدُ بعملِه وجهَ الناسِ، وما عندَ الناس من حُطامِ الدنيا، فبُشِّرَ بالنارِ، بل بُشِّرَ بأنهُ أولُ مَنْ تُسَعَّرُ به النار.

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى**

وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1].

وفي روايةٍ يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: حدَّثني رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْـمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْـمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَاناً قَارِئٌ وقَدْ قِيلَ ذَلكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْـمَالِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْـمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، وقَدْ قِيلَ ذَلكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ ربِّ أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْـمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ الله: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ:

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥).

فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ» ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»**[1].

ودَخَلَ رجلٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

لماذا بُشِّرَ المرائي بالنارِ؟

أولاً: لأنه أجرمَ في حقِّ ربِّه

فاللهُ عزَّ وجلَّ خلقهُ لعبادتِهِ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]. وأمرهُ بالإخلاصِ لهُ في كلِّ شيءٍ. فقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة]. وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٢٤)، وابن خزيمة (٢٤٨٢)، وابن حبان (٤٠٨)، والحاكم (١٥٢٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٢)].

والمرائي عَمِلَ لغيرِ الله، وأرادَ بعمله الدنيا الفانيةَ، ولذلك قال الله للقارئ المرائي: كذبتَ، وتقولُ له الملائكةُ كذبتَ، بل أردتَ أن يُقالَ: فلانٌ قارئٌ، وقد قيل ذلك، وقال الله للمنفِق المرائي: كذبت، وتقولُ الملائكة: كذبت بل أردتَ أن يقالَ: فلانٌ جوادٌ، وقد قيل ذلك. وقال اللهُ للمجاهدِ المرائي: كذبت، وتقولُ الملائكةُ: كذبتَ، بل أردتَ أن يُقالَ: فلانٌ جريء، وقد قيل ذلك. ثم يُؤمَرُ بهم فيُسْحَبون على وجوهِهم إلى النار.

ولذلك يقولُ -: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لله أحداً فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِه، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»(٢).

ثانياً: لأنهُ أجرمَ في حقِّ أمتِه

فالأمةُ الإسلامية تنتصرُ بالإخلاصِ لله عزَّ وجلَّ والمخلصينَ، وتنهزمُ بالرياءِ والمرائين.

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٢٠٣)، أحمد (٤/ ٢١٥)، وابن حبان (٤٠٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٣)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٤٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٤٣٠١)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٣١)، [«صحيح الترغيب» (٣٢)].

قال ﷺ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا؛ بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ**»[1].

هكذا يقرِّرُ الرسولُ الكريمُ ﷺ أنَّ الإخلاصَ لله سببٌ في نصرِ الأمةِ على أعدائها، فإنْ لم يكنِ الإخلاصُ، فهو الرياءُ والنفاقُ الذي يُمكِّنُ الأعداءَ من هذه الأمة.

أيها المسلمون! إن دروسَ بدرٍ الكبرى لم تزلْ قائمةً في قلوب المخلصينَ الذين ينتظرون النصر ولم يبدلوا ولم يغيروا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال].

يبقى هذا التعليمُ الربانيُّ ليحميَ الطائفةَ المؤمنةَ التي لم تزل تقاتلُ أعداءَ الدين منْ أن تخرجَ للقتال مُتبَطِّرةً طاغيةً تتعاجبُ ... لأنَّ المؤمنَ لا يُخرجُ للقتالِ إلا لتكونَ كلمةُ الله هي العليا.

أَتَى رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٣١٧٨)، [«صحيح الترغيب» (٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٢٦)، ومسلم (١٩٠٤) واللفظ له.

وإن صورةَ الخروج بَطراً ورِئاءَ الناس وصدّاً عن سبيلِ الله لم تزلْ حاضرةً أمامَ العُصبةِ المؤمنةِ، يرونها رأيَ العَين في خروجِ قريشٍ يومَ بدرٍ بخَيْلها وخُيَلائِها، وعدَدِها وعُدَدِها، وَرَجِلِها ورجالِها، لترِدَ ماءَ بدرٍ، وتعزفَ عليها القيانُ، وتسمعَ بها العربُ، فلم تزل تَهابُها، وتحسِبُ حسابَها .. ولكنَّ هذا الرياءَ قريبُ النهايةِ، وخيمُ العاقبةِ، سيِّئُ المآلِ، فكانت الخاتمةُ؛ لقد ذلَّ المشركون بالرياءِ والبطر، وكانت بدرٌ قاصمةَ الظهر. وكان النصرُ والتمكينُ للفئةِ المخلصةِ المؤمنة.

كيف لا؟ ورسولُ الله ﷺ يقولُ مبشِّراً للمخلصين: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ، وَالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ فِي الدِّينِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ، وَالنَّصْرِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا؛ فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**»[1].

فالمراؤونَ خطرٌ ووبالٌ على الأمةِ الإسلامية، فهم سببٌ لهزيمتِها وفقرِها، ولو أخلصوا في أعمالِهم لَنَصَرَهُمُ اللهُ. لأن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿**إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧**﴾ [محمد].

ثالثاً: بُشِّرَ المرائي بالنار لأنه أجرمَ في حقِّ نفسه

١- لأنهُ عرَّضَ نفسَهُ للشركِ الخفيِّ الذي هو أخطرُ من المسيحِ الدجال. قال ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْـمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالَ:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٧٨٦٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٣٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٣)].

قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»[1].

وهذا الفعلُ من أخلاقِ المنافقين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

٢- لأنهُ عَرَّضَ نفسَهُ للذُّلِّ والصَّغار والتحقيرِ، فالمرائي ذليلٌ حقيرٌ في الدنيا والآخرة. قال ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ؛ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ**»[2].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ فِي الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ إِلَّا سَمَّعَ اللهُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

٣- لأَنَّهُ عَرَّضَ نفسَهُ لبغضِ اللهِ وأهلِ السماءِ وأهلِ الأرضِ له، فالمخلصُ يحبُّهُ اللهُ وأهلُ السماءِ، وتُوضَعُ له المحبةُ في الأرضِ، والمرائي لا يحبُّهُ اللهُ ولا يحبُّهُ أهلُ السماءِ وتُوضَعُ له البغضاءُ في الأرض.

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ**

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٠)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٤٤١٤)، وفي «الأوسط» (٤٩٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٢١)، [«صحيح الترغيب» (٢٥)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه البزار (٢٦٥٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١١٩/ ٢٣٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٨)].

السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»[1].

٤- لأنّه عَرَّضَ نفسَهُ للعذابِ والضلال والفضيحة في الدنيا. فالرياءُ يزيدُ صاحبَهُ ضلالاً في الدنيا، وعذاباً في الدنيا والآخرة.

عن جابرِ بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: (شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ -أي سعداً- لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ! إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الْأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الْأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ! فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا -أَوْ رِجَالًا- إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ؛ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنْ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٣٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٥٥).

نهايةٌ مؤلمة، وفضيحةٌ في الدنيا، مع ما يُدَّخَرُ للمرائي في الآخرة من الفضيحة والعذاب ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق].

٥- لأنهُ عَرَّضَ نفسَهُ لعذابِ الآخرة قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

وحديثُ الثلاثة الذين أولُ من تُسَعَّرُ بهم جهنم يقولُ اللهُ للمرائي: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ثم يؤمرُ به فَيُسْحبُ على وجهه إلى النار.

كيف يقي المسلمُ نفسَهُ من جريمة الرياء؟

أولاً: بتوحيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ في ربوبيتهِ وفي ألوهيتهِ وفي أسمائه وصفاتهِ.

اعلم أيها المسلمُ أنَّ من أسبابِ الرياءِ تعظيمَ الناس ونقصانَ تعظيمِ الله تعالى في النفس، فمِنْ أحسنِ أنواع العلاج لهذا الداءِ القاتِل هو معرفتُكَ بأنواعِ التوحيدِ الثلاثة ويكونُ ذلك باعتقادِ وفهمِ هذه الأدلة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف].

ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود].

ويقول سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

ويقول سبحانه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦].

ويقول ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ**»(١).

وقال ﷺ: «**الْبَيْتُ الْـمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(٢).

فهذه أدلةٌ وغيرُها كثيرٌ تجعلُكَ يا عبدَالله تطمعُ فيما عندَ الله، ولا تطمعُ فيما عندَ الناسِ فإنهم: ﴿لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الجاثية:١٩].

ثانياً: بمعرفةِ ما أعدَّهُ اللهُ للمخلصين من سعادةٍ ونعيمٍ في الدنيا والآخرة، وبمعرفةِ ما أعدَّهُ الله للمرائين من شقاوةٍ وعذابٍ في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٥/ ١٧٣)، والحاكم (٣٨٨٣)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٨٠)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (١١٤٦٦)، وأحمد (٣/ ١٥٣)، والحاكم (٣٧٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (٣٩٩٣)، [«صحيح الجامع» (٢٨٩١)].

ويقول ﷺ: «**قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة]»[1].

ويقول ﷺ: «**فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ**»[2].

ويكفي للزجرِ عن الرياءِ معرفةُ أنَّ أولَ مَنْ تُسعَّر بهم جهنم المراؤون.

ثالثاً: بالدعاء

وهذا العلاجُ من أقوى الوسائلِ للقضاءِ على الرياء والشرك، فلا تتوقفْ عن الدعاءِ ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وتحرَّ -ما استطعتَ- الساعاتِ المستجابةَ مع مراعاةِ آدابِ الدعاء.

وقد علَّمنا رسولُ الله ﷺ دعاءً يُذهِبُ عنا كبارَ الشركِ وصغارَه، عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**» فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٣٤)، وابن حبان (٤٠٥)،

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٤/٤٠٣)، والطبراني في «الأوسط» (٣٤٧٩) عن أبي موسى الأشعري، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٦) عن أبي بكر الصديق، [«صحيح الترغيب» (٣٦)].

رابعاً: بمصاحبةِ الصالحينَ المخلصينَ، والابتعادِ عن المرائين المفسدين

قال رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الْـجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[1].

خامساً: بإخفاءِ الأعمالِ الصالحة عن أعينِ الناس

لقد حَرِصَ السلفِ الصالح على إخفاءِ أعمالِهم الصالحةِ عن أعين الناس، واجتهدوا في سترِ طاعاتهم.

قال سفيان الثوري: (بلَغَنِي أَنَّ الْعَبْدَ، يَعْمَلُ الْعَمَلَ سِرًّا، فَلَا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَغْلِبَهُ، فَيُكْتَبَ فِي الْعَلَانِيَةِ، ثُمَّ لا يَزَالُ الشَّيْطَانُ بِهِ حَتَّى يُحِبَّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَيْهِ، فَيُنْسَخَ مِنَ الْعَلَانِيَةِ فَيُثْبَتَ فِي الرِّيَاءِ)[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٠).

٢٤

شارب الخمر

عبادَ الله! يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿ **وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾** ﴾ [إبراهيم].

موعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع واحدٍ من المبشرين بالنار ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إنْ ماتَ على التوحيد، أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟ إنه: **شاربُ الخمر**.

يقول ﷺ: «**مُدْمِنُ الْـخَمْرِ، كَعَابِدِ وَثَنٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْـمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْـخَبَالِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ**» أَوْ «**عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجُنَّةَ أَبَدًا: الدَّيُّوثُ مِنَ الرِّجَالِ، وَالرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ، وَمُدْمِنُ الْـخَمْرِ**»(٣).

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٣٣٧٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٧٧)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٠٢).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه البيهقي في «الشعب» (١٠٨٠٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٠٧١)].

لماذا بُشِّرَ شاربُ الخمرِ بالنارِ؟

أولاً: لأنهُ أجرمَ في حَقِّ ربِّه

وذلك لأنهُ عصى الله وتعدى حدودَهُ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن].

والخمرُ حرامٌ، حَرَّمَها اللهُ في كتابه، وحرَّمها رسولُ الله ﷺ في سنته، وأجمعتِ الأمةُ سَلفاً وخلفاً على تحريمها.

• **ففي كتاب الله**

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

ففي هذه الآية حرَّمَ اللهُ الخمرَ من وجوهٍ ثمانيةٍ:

الوجهُ الأولُ: أنها رجسٌ، والرجسُ حرامٌ كالخنزيرِ وعبادةِ الأوثان.

الوجهُ الثاني: أنها من عملِ الشيطان، وعملُ الشيطانِ حرامٌ.

الوجهُ الثالثُ: فاجتنبوه، والأمرُ للوجوب، والاجتنابُ أشدُّ من التحريم.

الوجهُ الرابع: لعلكم تفلحون، علّق اللهُ فلاحَ الدنيا والآخرة على تركِ الخمر.

الوجهُ الخامسُ: أنَّ الخمرَ سببٌ لوقوعِ العداوةِ والبغضاءِ، وهذا حرام.

الوجهُ السادسُ: أنها تَصُدُّ عن ذكرِ اللهِ، وهذا حرامٌ.

الوجهُ السابعُ: أنها تَصُدُّ عن الصلاةِ، وهذا حرامٌ.

الوجه الثامنُ: ثم قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ وهذا استفهامٌ يدُلُّ على الرَّدعِ والزَّجْرِ مِنَ الله عزَّ وجلَّ.

ولذلك عندما سَمِعَ الصحابَةُ هذه الآية قالوا: (انتهينا ربَّنا)، (انتهينا ربَّنا).

• **أما في السنة**:

قال ﷺ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»[1].

وقال ﷺ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَمَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حرام**»[2].

وفي هذا ردٌّ على من قال: إنهُ يَشْرَبُ الخمرَ ولا يَسكر. وقال ﷺ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ**» -أي: الزنا- «**وَالْـحَرِيرَ وَالْـخَمْرَ وَالْـمَعَازِفَ**»[3].

وفي هذا الحديثِ دليلٌ على تحريمِ الخمرِ، والذين استحلوها سَمَّوْها بغير اسمِها، وقد أخبرنَا رسولُ اللهِ ﷺ عن هؤلاءِ فقال: «**يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْـخَمْرَ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٠٣).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٣٩٢)، وأحمد (٢/ ٩١)، والبزار (٦٠٦٨)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٣٨٣)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٢٦٨).

يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»[1]. فتغييرُ اسم الشرابِ المسكرِ لا يجعلُهُ حلالاً، فكلُّ شرابٍ أسكرَ فهو حرامٌ لقوله ﷺ: «**كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ**»[2].

وعن دَيْلَمَ الحِمْيَرِيِّ رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّا بِأَرْضٍ بَارِدَةٍ نُعَالِجُ فِيهَا عَمَلاً شَدِيدًا، وَإِنَّا نَتَّخِذُ شَرَابًا مِنْ هَذَا الْقَمْحِ نَتَقَوَّى بِهِ عَلَى أَعْمَالِنَا وَعَلَى بَرْدِ بِلاَدِنَا. قَالَ: «**هَلْ يُسْكِرُ**». **قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ**: «**فَاجْتَنِبُوهُ**». **قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ النَّاسَ غَيْرُ تَارِكِيهِ، قَالَ**: «**فَإِنْ لَمْ يَتْرُكُوهُ فَقَاتِلُوهُمْ**»[3].

• وأجمعتِ الأمةُ سلفاً وخلفاً على أنَّ الخمرَ حرامٌ. وبعدَ كلِّ هذه الأدلةِ من الكتاب والسنةِ وإجماعِ الأمةِ؛ عصى شاربُ الخمرِ ربَّهُ، وتعدَّى حدودَهُ، فهو بذلك مجرمٌ في حقِّ ربِّهِ.

ثانياً: لأنهُ أجرمَ في حقِّ أهلهِ ومجتمعهِ

فهو بشربِهِ للخمرِ أفقرَهم، وفضحهم، وسوَّد وجوهَهم، واعتدى عليهم، ويظهرُ ذلك من الأدلةِ التاليةِ:

قال ﷺ: «**الْـخَمْرُ أُمُّ الْفَوَاحِشِ، وَأَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، مَنْ شَرِبَهَا وَقَعَ عَلَى أُمِّهِ، وَخَالَتِهِ، وَعَمَّتِهِ**»[4] -أي: من شربَ الخمرَ زنا بأمِّه، وخالتِه، وعمتِه، لأنه أصبح كالحيوانِ لا عقلَ له.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٣٨٥)، والنسائي (٥٦٥٨) واللفظ له، وأحمد (٤/ ٢٣٧)، [«صحيح الجامع» (٨٠٩٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٢)، ومسلم (٢٠٠١).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٨٣)، وأحمد (٤/ ٢٣٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٦٨٣)، [«المشكاة» (١٨)].

(٤) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١١٣٧٢)، وفي «الأوسط» (٣)، والدارقطني (٤٦١٢)، [«صحيح الجامع» (٣٣٤٥)].

ولذلك قال ﷺ: «لَا تَشْرَبِ الْـخَمْرَ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ»[1].

ومن الأمثلةِ على ذلك:

يقولُ عثمانُ رضي الله عنه: **«اجْتَنِبُوا الْـخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْـخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ تَعَبَّدَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْـخَمْرَةِ كَأْسًا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْـخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا، قَالَ: زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْـخَمْرَ، فَإِنَّهَا وَاللهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْـخَمْرِ إِلَّا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ»**[2].

فكم من شاربٍ للخمرِ وقعَ على ابنتِهِ أو أختِهِ أو عمتِهِ أو خالتِهِ أو جارته. وكم من شاربٍ للخمرِ قتلَ بسيارته ومسدسِه غيرَهُ، فشاربُ الخمرِ مجرمٌ في حقِّ أهلِهِ ومجتمعِه.

ولذلك قال الشاعرُ الجاهليُّ:

شَرِبْتُ الخمرَ حتَّى ضَلَّ عَقلي ... كذاكَ الخمرُ تفعلُ بالعقول

---

(١) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (٣٣٧١) واللفظ له، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٨)، والبزار (٤١٤٨)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٨٩)، [«صحيح الترغيب»(٢٣٦٩)].

(٢) **صحيح موقوف**: رواه النسائي (٥٦٦٦)، وعبد الرزاق (١٧٠٦٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ٢٨٧)، [«صحيح النسائي»].

ثالثاً: لأنه أجرمَ في حقِّ نفسهِ

شاربُ الخمر مجرمٌ في حقِّ نفسِه لأنهُ بِشُربِهِ للخمرِ:

١- عَرَّضَ نفسَهُ للعنةِ الله يقول ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْـخَمْرَ وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْـمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ**»(١).

٢- حَرَمَ نفسَهُ من دخولِ الجنةِ مع أولِ الداخلين.

قال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ، مُدْمِنُ خَمْرٍ**»(٢).

٣- انقطعَ عنه نورُ الإيمانِ. قال ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْـخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٣).

٤- لم تُقبلْ صلاتُهُ أربعينَ يوماً، وإن ماتَ، ماتَ ميتةً جاهلية. قال ﷺ: «**الْـخَمْرُ أُمُّ الْـخَبَائِثِ فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٧٤)، والطبراني في «الأوسط» (٧٨١٦) بلفظ قريب، والبيهقي في «الكبرى» (٦/ ١٢) بزيادة: «وَآكِلَ ثَمَنِهَا»، [«صحيح الترغيب» (٢٣٥٦)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (٣٣٧٦) عن أبي الدرداء، وأبي يعلى (٧٢٤٨)، وابن حبان (٦١٣٧) عن أبي موسى، [«صحيح الترغيب» (٣٠٥٠)]

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧).

(٤) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٦٦٧)، والدارقطني (٤٦١٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٨٥٤)].

٥- عَرَّضَ نفسَهُ للجَلدِ فإنْ لم يتبْ فالقتلُ. قال ﷺ: «**مَنْ شَرِبَ الْـخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الثانية فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الثَّالِثَةِ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلُوهُ**»(١).

٦- عَرَّضَ نفسَهُ لخسارةِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ. قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً فَكَأَنَّمَا كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا فَسُلِبَهَا، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْـخَبَالِ**» قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**عُصَارَةُ أَهْلِ جَهَنَّمَ**»(٢).

• فشاربُ الخمرِ مجرمٌ في حقِّ ربِّه، ومجرمٌ في حقِّ أهلِه ومجتمعِه، ومجرمٌ في حقِّ نفسِه، ومعَ ذلك فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى الغفورُ الرحيمُ فتح أبوابَ التوبة على مِصراعَيها أمامَ العصاةِ ليتوبوا.

فقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٤٤٤)، والنسائي في «الكبرى» (٥٢٧٩)، وأحمد (٤/ ٩٣)، وابن حبان (٤٤٤٦)، وأبو يعلى (٧٣٦٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٨١)].

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ١٧٨)، والطبراني في «الأوسط» (٦٣٧١)، والحاكم (٧٢٣٣)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٨٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٨٥)].

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[1].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»[2].

وقال ﷺ: «**يقول الله: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[3].

فيا شاربَ الخمرِ تُبْ إلى اللهِ قبلَ فواتِ الأوانِ، فإنَّ اللهَ يقول: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات].

واحذَرْ أن يُزَيِّنَ لك شياطينُ الإنسِ والجنِّ الخمرَ فتَشْرَبَها، وتقولَ إنما أشربُها للدَّواءِ وللشفاءِ، فالرسولُ ﷺ يقول: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ**»[4].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (**إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**)[5].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٥٩).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٣١٤٣)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، والبزار (٦٧٦٠)، [«صحيح الترغيب» (١٦١٦)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٨٤).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري معلقاً: (بَاب شَرَابِ الْحَلْوَاءِ وَالْعَسَلِ) «فتح الباري» (١٠/ ٧٩)، وووصله الطبراني (٩٧١٦)، والحاكم (٧٥٠٩).

كيف يحمي المسلمُ نفسَهُ من الخمرِ ومن المخدرات؟ وما الذي يُعينُ مُدمني الخمر والمخدراتِ على تركِ الإدمان؟

أولاً: بالاعتقادِ الجازمِ بالموتِ والقبرِ والبعثِ

وما يعْقُبُه من حشرٍ ونشرٍ وتطايرِ صحفٍ وعرْضٍ وسؤالٍ وحسابٍ وجزاءٍ، فإنَّ الله لما توعَّدَ المطففين قال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين].

ولما توعَّدَ الله المرابين قال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة].

ولما قال اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾﴾ [الانفطار].

فمن أراد أن يحميَ نفسَه من الخمرِ وجميعِ المخدراتِ، ويقلِعَ عن الإدمانِ فَلْيعلَمْ أَنَّهُ إلى الله راجعٌ، وبينَ يديِ الله موقوفٌ، وأمامَ الله مسئولٌ، فليُعِدَّ للسؤال جواباً، فتقْويةُ هذهِ العقيدةِ في القلبِ من أكبرِ أسباب الابتعادِ عن الخمرِ والمخدراتِ والإقلاعِ عن الإدمان، وفي ذلك يقول القائل:

أما والله لو عَلِمَ الأنامُ ... لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خُلقوا لأمرٍ لو رأتهُ ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

مماتٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ   وتوبيخٌ وأهوالٌ عظامُ
ليوم الحشر قد عملت رجالٌ   فصلوا من مخافته وصاموا
ونحنُ إذا أُمِرْنَا أو نُهِيْنَا   كأهلِ الكهفِ أيقاظٌ نيامُ

ثانياً: بإقامةِ الصلاةِ والمحافظةِ عليها

فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وقيل: يا رسولَ الله! (إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ! قَالَ: **«سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ»**)[١].

ثالثاً: بتَذَكُّرِ نعيمِ الجنةِ وعذابِ النار

يقول ﷺ: **«يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ! يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ! يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»**[٢].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقولُ عن لباسِ أهلِ الجنة: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾. ويقولُ عن لباسِ أهلِ النارِ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾.

---

(١) **صحيح**: رواه البزار (٩٢١٧)، وابن حبان (٢٥٦٠)، [«المشكاة» (١٩)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٠٧).

ويقول سبحانه عن شرابِ أهل الجنةِ: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين].

ويقول سبحانه عن شراب أهل النار: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد].

ومن شربَ الخمر في الدنيا سقاهُ اللهُ يومَ القيامةِ من طينةِ الخَبالِ، «**إِنَّ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْـمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْـخَبَالِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ**» أَوْ «**عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**»(1).

فيا شاربَ الخمر، ألم تقرأ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة].

رابعاً: بتغيير البيئةِ والأصحاب

قال ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»(2).

وقال ﷺ: «**مَثَلُ الْـجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»(3).

---

(1) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٠٢).

(2) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٧٨)، والترمذي (٤٨٣٣)، [«السلسلة الصحيحة»(٩٢٧)].

(3) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

والرجلُ الذي قتلَ مائةَ نفسٍ أمرهُ العالمُ أن يُغَيِّرَ البيئةَ والقُرناءَ، وذلك لأنَّ الصاحبَ ساحبٌ، فمن صاحبَ الصالحينَ تَعَلَّم منهم الدينَ، ومن صاحبَ الطالحين عصى ربَّ العالمين، فكم من إنسانٍ صاحبَ مدمني الخمرِ والمخدرات فأصبحَ اليوم من مدمني ومروجي المخدرات، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله!

نسألُ الله أن يحفظنا وأولادَنا وجميعَ المسلمين من شرِّ الخمرِ ومدمني الخمرِ والمخدرات.

٢٥

المبتدعُ في دين الله

عبادَ الله! يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون].

موعدنا في هذا اليوم إن شاءَ اللهُ تعالى مع واحدٍ من المبشَّرين بالنارِ، ولكنهُ لا يُخَلَّدُ فيها إن ماتَ على التوحيد. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: **المبتدِعُ في دينِ الله**.

• عن جابرِ بن عبدِالله رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**»، وَيَقُولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَيُقْرِنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْـحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الْـهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1] وزادَ النسائي: «**وكلَّ ضلالةٍ في النارِ**»[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٦٧).

(٢) «وكل ضلالة في النار» عن جابر ووردت لدى «النسائي» (١٥٧٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٨٩)، [«صحيح الجامع» (١٣٥٣)].

فالمبتدع بَشَّرَهُ النبيُّ ﷺ بالنارِ.

لماذا بُشِّرَ المبتَدِعُ بالنارِ؟

أولاً: لأنهُ أجرمَ في حقِّ ربه.

فالله عزَّ وجلَّ أكملَ لناَ الدينَ، وأتَمَّ علينا النعمةَ، ورضيَ لنا الإسلام ديناً. فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ:يَا أَمِيرَ المؤمنين! آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ، مَعْشَرَ الْيَهُودِ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فَقَالَ عُمَرُ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ)[1].

ومرادُ عمرَ رضي الله عنه أنا قد اتخذنا ذلك اليومَ عيداً من وجهين: فإنه يومُ عرفةَ، ويومُ جمعةٍ، وكلُّ واحدٍ منهما يومُ عيدٍ لأهل الإسلام.

- وأخبرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه أنهُ لن يقبلَ يومَ القيامة ديناً غيرَ الإسلام. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٠٢٧).

• وأمرَ الله رسولَهُ محمداً ﷺ أن يُبَلِّغَ هذا الدينَ كما أُنزلَ إليه فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

فبَلَّغَ رسولُ اللهِ ﷺ الرسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وكشفَ الغُمةَ، وجاهدَ في سبيلِ دينه حتى أتاهُ اليقين، وتركَ أمتَهُ على البيضاءِ لَيلُها كنهارها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ أو ضالٌّ، وشَهِدَ لَهُ الصحابةُ ﷺ جميعاً في حَجَّةِ الوَداع أنهُ بَلَّغَ الرسالة.

قال ﷺ في خطبةِ حجةِ الوداعِ: «**وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «**اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ**»[1].

• وأمرَ اللهُ المسلمينَ في كتابه باتباعِ ما أُنزلَ إليهم، وحرَّم عليهم الابتداعَ في الدين فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف].

وقال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[2].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١٨).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧١٨).

وقال ابنُ مسعودٍ ﷺ: (اتَّبِعُوا، وَلا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُم)[1].

فالمبتدعُ بعدَ كُلِّ هذه الأدلةِ التي تأمرُ بالاتّباعِ، وتنهى عن الابتداع مجرمٌ في حقِّ ربِّهِ من وجوهٍ:

الوجه الأول: أنَّ المبتدع بلسانِ حالهِ أو مقالهِ يقولُ: إنَّ الشريعة لم تتم، وأنهُ بقيَ منها أشياءُ يجبُ أو يستحبُ استدراكُها، وقائل هذا ضالٌّ عنِ الصراطِ المستقيم.

يقول الإمامُ مالكٌ: (من ابتدعَ في الإسلام بدعةً يراها حسنةً؛ فقد زعمَ أنَّ محمدًا ﷺ خانَ الرسالةَ ؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ؛ فما لم يكن يومئذٍ دينًا فلا يكونُ اليوم دينًا)[2].

الوجه الثاني: أنَّ المبتدعَ معاندٌ للشرعِ ومُشاقٌّ له؛ لأن الشرعَ قد عيَّنَ لمطالبِ العبدِ طرقاً خاصةً على وجوهٍ خاصةٍ، وقصَرَ الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبرَ أن الخيرَ فيها، وأنَّ الشرَّ في تعدِّيها؛ لأنَّ اللهَ يعلمُ ونحنُ لا نعلمُ، وأنه إنما أرسلَ الرسولَ ﷺ رحمةً للعالمين، فالمبتدعُ رادٌّ لهذا كلِّه؛ لأنه يزعمُ أنَّ ثَمَّ طُرقاً أُخَرَ توصِلُ إلى المقصودِ، مع أنَّه لا سبيلَ للوصولِ من غيرِ طريقِ الرسول ﷺ.

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) **صحيح**: رواه الدارمي (٢٠٥)، والطبراني (٨٧٧٠)، [«حجة النبي» (١٠٠)].

(٢) الابتداع (١٧١).

وقال ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي» -أي طريقتي- «فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

الوجهُ الثالث: أنَّ المبتدعَ قد صيَّرَ نفسَهُ نظيراً للشارعِ ومُضاهياً له، حيثُ شرعَ معه شرعاً، وفتحَ للاختلافِ باباً، وردَّ قصدَ الشارعِ من الانفرادِ بالتشريع.

واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].

الوجهُ الرابعُ: أن المبتدعَ مُتَّبعٌ لهواه؛ لأنَّ العقلَ إذا لم يكن متبعاً للشرع كان متبعاً للهوى، واتباع الهوى ضلالٌ مبين، وظلمٌ عظيم.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

فهذه أوجهٌ كلُّها تدلُّ على أنَّ المبتدعَ مجرمٌ في حقِّ ربِّه، وفي حقِّ دينِه.

ثانياً: المبتدعُ بُشِّرَ بالنارِ لأنهُ أجرمَ في حقِّ الأمةِ الإسلامية.

المعصيةُ سببٌ لكلِّ شَرٍّ يقعُ بالأمةِ الإسلامية، والبدعةُ شرٌّ من المعصيةِ، فالعاصي شرٌّ على أمتِهِ، وعلى مجتمعه، والمبتدعُ أضرُّ على الأمةِ والمجتمع من العاصي.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) واللفظ للبخاري.

ولذلك فالبدعةُ محبَّبَةٌ إلى إبليسَ من المعصيةَ، فإن المعصيةَ يُتابُ منها، والبدعةُ لا يُتابُ منها. واستدلَّ شيخُ الإسلامِ على ذلك بحديثين:

الأول: استدلَّ بحديثِ هذا الرجل الذي كان يُدعى حماراً.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»[1]. أي ما عَلمتُ إلا أنه يحبُّ اللهَ ورسولَه.

فهذا الرجل مع أنه كان يشربُ الخمرَ، ويعصي اللهَ تبارك وتعالى، لكنَّ الرسولَ ﷺ منعَ الصحابيَّ أن يلعَنَه، وشهدَ له بحسن الاعتقادِ فقال: «**إنه يحبُّ اللهَ ورسولَهُ**».

الحديث الثاني: حديثُ الرجلِ الذي اعترضَ على قسمةِ النبيِّ ﷺ.

فعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: بَعَثَ عَلِيٌّ رضي الله عنه وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهَا .... فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ: «**مَنْ يُطِعِ اللهَ إِذَا عَصَيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَا تَأْمَنُونِي؟**» ... فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «**إِنَّ مِنْ**

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٨٠).

ضِئْضِئِ هَذَا -أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا- قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[1].

فتأملوا يا عبادَ الله! يُصلُّون، ويصومونَ، ويقرءون القرآن، ولا يزدادون بذلك منَ الله إلا بعداً، وما ذاك إلا لأنهم مبتدعةٌ.

• ومن نظرَ فيما فعله المبتدعةُ كالخوارج والشيعةِ وغيرِهم في الأمة الإسلاميةِ قديماً وحديثاً عَلِمَ أنَّ المبتدعَ مجرمٌ في حقِّ أمتِهِ.

ثالثاً: المبتدعُ بُشِّرَ بالنارِ لأنَهُ أجرمَ في حقِّ نفسِهِ وذلك:

١- لأن عملهُ مردودٌ عليه.

قال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[2].

كيف لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

٢- لأنَهُ حَرَمَ نفسَهُ من التوبة بإصرارهِ على بدعتهِ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧) بلفظ: «من أحدث»، ومسلم (١٧١٨).

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ»[1].

٣- لأنهُ حَرَمَ نفسَهُ من أن يشربَ من حوضِ النبيِّ ﷺ يومَ القيامةِ.

قال ﷺ: **«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْـحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَـهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَصْحَابِي يَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»**[2].

وفي رواية: **«فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ؛ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»**[3].

٤- لأنهُ عَرَّضَ نفسَهُ للعنةِ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين

قال ﷺ: **«الْـمَدِينَةُ حَرَمٌ... مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْـمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**[4].

٥- لأنهُ يحملُ إثمَهُ، وإثمَ مَنْ عملَ ببدعتِهِ إلى يومِ القيامة.

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥].

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٠٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥)، [«صحيح الترغيب» (٥٤) بزيادة حتى يَدعَ بدعتَهُ].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم **٢٢٩٧**.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري(٧٠٥٠)، ومسلم (٢٦).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).

وقال ﷺ: «...وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[1].

٦- لأنهُ لا يزدادُ ببدعتِهِ من الله إلا بعداً.

يقول ﷺ في شأنِ الخوارج المبتدعة: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[2].

قال أيوبُ السختياني: (ما ازدادَ صاحبُ بدعةٍ اجتهاداً إلا ازدادَ من الله بعداً)[3].

٧- لأنهُ لا يُزادُ ببدعتِهِ إلا ضلالاً مبيناً، وعذاباً أليماً.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

ويقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ)[4].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

٨- لأنهُ لا يُزادُ ببدعتِهِ إلا سواداً في الوجه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤) واللفظ للبخاري.

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٩).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (تَبْيَضُّ وجوهُ أهلِ السنةِ، وتسوَدُّ وجوهُ أهلِ البدعة)[1].

وذلك لأنهم كَذَبوا على اللهِ وعلى رسولِهِ وعلى الناس. والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:٦٠].

كيف تحمي نفسكَ من البدعةِ والمبتدعة؟

أولاً: بتعظيم السنةِ، والتمسك بها، ودعوةِ الناسِ إليها، وبُغضِ البدعةِ، والبُعدِ عنها، وتحذيرِ الناسِ منها وذلك:

١- لأنَّ الله أمرنا في كتابه بالاتباع، ونهانا عن الابتداع.

فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

٢- لأن النبيَّ ﷺ أمرنا في سنتِه بالاتّباع، وعدمِ الابتداع.

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً بليغةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا! قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عزوجل، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**» -أي: بطريقتي- «**وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تمسكوا بها عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»[2].

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٨٧).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٧)].

٣- لأنّ الصحابةَ ﭫ ومَنْ بعدَهم أَمَروا بالتمسكِ بالسنةِ وحَذَّروا منَ البدعة.

يقول ابنُ مسعودٍ ﭬ: (مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فإنَّ الحيَّ لا تُؤْمَنُ عليه الفتنةُ أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ: أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وإقامةِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْـمُسْتَقِيمِ)[1].

• أتدرونَ لِمَ يا عبادَ اللهِ يأمرُ اللهُ في كتابه، ورسول الله ﷺ في سنتهِ، والصحابةُ من بعده باتّباع السنة؟

١- لأنَّ في اتباع السنةِ الهدى، وفي مخالفتها الضلال.

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور٥٤].

وقال ابن مسعود: (وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ)[2].

٢- لأنَّ في اتباعِ السنةِ النجاةَ، وفي مخالفتها الهلاكَ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سُنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسَّ...) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر، رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

وقال الزُّهْريُّ رحمه الله: (الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ)[1].

لأنَّ السنةَ كما قال الإمامُ مالكٌ: (مثلُ سفينةِ نوحٍ؛ مَنْ ركبها نجا، ومن تخلفَ عنها غرق)[2].

ثانياً: بمصاحبةِ أهلِ السنة، والابتعادِ عن أهلِ البدعة

يقول سفيان الثوري رحمه الله: (اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ السُّنَّةِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ غُرَبَاءُ)[3].

ويقول أيضاً: (لَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ)[4].

وكان شَيخُنا الألبانيُّ رحمه الله دائماً يقولُ: (الحمدُ لله على نعمةِ الإسلامِ والسنة).

وقال في آخر وصيته: (وأوصيكم بالعلمِ النافعِ، والعملِ الصالح) ثم قال: (والعلمُ النافعُ: هو قالَ اللهُ، قالَ رسولُه، قال الصحابة، والعملُ الصالح: هو ما كانَ لله ووافقَ السنة).

فاحرِصْ يا عبدَ الله على مصاحبةِ أهلِ السنةِ، واحذَرْ مِنْ مصاحبةِ المبتدعةِ، فإنها مُمْرِضَةٌ للقلوب.

(١) **صحيح**: رواه الدارمي (٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٩)، [«الآثار الصحيحة» (٦٧)].

(٢) رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٤/ ١٢٤).

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤٩).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٢).

يقول سعيدُ بنُ جبيرٍ رحمه الله: (لَأَنْ يَصْحَبَ اِبْنِي فَاسِقًا شَاطِرًا[1] سُنِّيًّا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَصْحَبَ عَابِدًا مُبْتَدِعًا)[2].

وقال الفُضَيلُ: (إذا رأيتَ مبتدعاً في طريقٍ فخذ في طريق آخر)[3].

وقال أبو إدريسَ الخَوْلانيُّ: (لَأَنْ أرى في المسجد ناراً لا أستطيعُ إطفاءَها أحبُّ إليَّ مِنْ أن أرى فيه بدعةً لا أستطيعُ تغييرَها)[4].

فاحرِصْ يا عبدَ الله على التمسكِ بالسنةِ، ففيها النجاةُ، واحذر البدعَةَ والمبتدعةَ، ففي البدعةِ الهلاكُ، وفي مصاحبةِ المبتدعةِ خسارةٌ في الدنيا والآخرة.

جعلني اللهُ وإيّاكم من أهلِ السنةِ المتمسكين بها، المحبين لها، الداعين إليها، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

---

(١) الشاطر: الذي أعيا أهله خبثاً.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ١٢٧).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، و ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٣٣٣).

(٤) **صحيح**: رواه المروزي في «السنة» (٩٩)، وابن وضاح في «البدع» (٨٦)، [«الآثار الصحيحة» (١٢٣)].

٢٦

الظالم

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم].

موعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع واحدٍ من المبشرين بالنار ولكن لا يُخلّد فيها إذا ماتَ على التوحيد. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **الظالمُ**.

• قال تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ

﴿ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة].

• وقال ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»[1].

والظلمُ ثلاثةُ أنواعٍ:

النوع الأولُ: ظلمُ الإنسانِ لنفسِه بالكفرِ والشركِ. وهذا الظلمُ لا يغفرهُ اللهُ أبداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

فالكافرُ ظالمٌ لنفسِه، قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة]. والمشركُ ظالمٌ لنفسِه، قال تعالى: ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان].

النوع الثاني: ظلمُ الإنسانِ لنفسهِ بالمعاصي والذنوب -ما دونَ الشركِ والكفرِ-.

قال تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢]. وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ [القصص:١٦]. وقال تعالى عن آدم وحواءَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣]. وهذا الظلمُ يغفرُهُ اللهُ عزّ وجلَّ بالتوبة النصوح.

كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص:١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٧).

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾ [الرعد:٦].

النوعُ الثالث: ظلمُ الإنسانِ لغيره باعتدائه على أموالِهم وأعراضِهم ودمائِهم.

وهذا الظلمُ لا يغفرُهُ اللهُ يومَ القيامةِ حتى يأخذَ المظلومُ حقَّهُ من الظالمِ، قال ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْـحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ**[1] **لِلشَّاةِ الْـجَلْحَاءِ**[2] **مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[3].

• وكلامُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ عن النوع الثاني والثالثِ، وهما ظلمُ الإنسانِ لنفسِهِ بالمعاصي دونَ الكفرِ والشركِ، وظلمُهُ لغيرِهِ.

وهذا الظالمُ الذي ظَلَمَ نفسَهُ بالمعاصي، وظلمَ غيرَهُ بالاعتداءِ عليه، مُبَشَّرٌ بالنارِ، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إذا مات على التوحيد. **لماذا بُشِّرَ هذا الظالمُ بالنار؟**

أولاً: لأنَهُ أجرمَ في حقِّ ربِّهِ

وذلك لأنه عصى اللهَ ورسولَهُ، وتعدَّى حدودَ اللهَ. والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ [البقرة].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ [الطلاق:١].

(١) يقاد: يقتص.

(٢) الجلحاء: التي لا قرن لها.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٢).

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

واللهُ عزَّ وجلَّ حرَّمَ الظلمَ، ورسولُ الله ﷺ حَرَّمَ الظلم.

- قال ربُّ العزة في الحديث القدسيِّ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا**»[1].
- وقال ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].
- وقال ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ**»[3].

وتوعَّدَ اللهُ الظَّلَمَةَ في كتابِهِ فقال تعالى: : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان].

وأخبرَ سبحانه في كتابه أنه عليمٌ بالظالمين فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠) واللفظ له.

وأنه لا يهدي الظالمين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة].

وأنه لا يحبُّ الظالمين، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧﴾ [آل عمران].

وأنه لعنَ الظالمين، فقال تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود].

فالظالمُ مجرمٌ في حقِّ ربِّه لأنَهُ عصى اللهَ وتعدَّى حدودَهُ وعَرَّض نفسَهُ لغضبِ الله وسَخطِهِ وعذابِه.

ثانياً: لأنَّ الظالمَ أجرمَ في حقِّ نفسهِ وغيرِهِ

١- لأنهُ عرَّضَ نفسَهُ للإفلاس من الحسناتِ يومَ القيامة. قال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْـمُفْلِسُ**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «**إِنَّ الْـمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[(١)].

ولذلك قالَ ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ، أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨١).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٤٩).

وقال ﷺ: «**يَخْلُصُ الْـمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْـجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَـهُمْ فِي دُخُولِ الْـجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْـجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»[1].

وقال ﷺ: «**اتَّقُوا الْـمَظَالِمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَجِيءُ بِالْـحَسَنَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرَى أَنَّهُ سَتُنْجِيهِ، فَمَا زَالَ عَبْدٌ يَقُومُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ظَلَمَنِي عَبْدُكَ مَظْلَمَةً، فَيَقُولُ: امْحُوا مِنْ حَسَنَاتِهِ، مَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى مَا يَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ**»[2].

- فيا مَن ظَلَمَ نفسَهُ بقتل أخيه المسلمِ الذي يقولُ (لا إله إلا الله) ماذا تقولُ لربِّكَ يومَ القيامة إذا أخذ أخوك المقتولُ بتلابيبك، وجاءَ بك تحتَ العرش وأوداجُهُ تشْخُبُ دماً يقولُ: يا ربِّ! سلْ هذا لم قتلني؟
- ويا من ظلمتَ بناتِك بأن حرمتهم من الميراثِ، ماذا تقول لربِّك غداً إذا تعلقتِ البنتُ الضعيفةُ برقبتك، تقولُ يا ربِّ! سلْ أبي هذا لِمَ حَرمني؟
- ويا من ظلمتَ جاركَ واعتَديْتَ عليه، ماذا تقولُ لربِّك يومَ القيامة؟
- أيُّها الظالمُ! انتبه من غفلتك! فيومَ القيامة تُردُّ الحقوقُ إلى أصحابها، وإنها الحسناتُ والسيئات.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٣٥).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو يعلى (٥١٢٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٧٧)، [«صحيح الترغيب»(٢٢٢١) بلفظ: اتقوا الظلم].

يقول ﷺ: «**تُرْفَعُ لِلرَّجُلِ صَحِيفَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَرَى أَنَّهُ نَاجٍ، فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتْبَعُهُ حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، وَيُزَادُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ**»(١).

٢- لأنهُ عَرَّضَ نَفْسَهُ لدعوةِ المظلوم.

قال ﷺ: «**ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ؛ دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْـمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْـمَظْلُومِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ تُسْتَجَابُ دَعْوَتُهُمُ، الْـوَالِدُ وَالْـمُسَافِرُ وَالْـمَظْلُومُ**»(٣).

ويقولُ ﷺ لمعاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه عندما أرسلهُ إلى اليمن: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»(٤).

ويقول ﷺ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ -وَإِنْ كَانَ كَافِرًا- فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**»(٥).

ويقول ﷺ: «**اتَّقُوا دَعَوَاتِ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارٌ**»(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه الحاكم (٢٢٦٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٧٣)].

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٣١٣٢)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه ابن خزيمة (٢٤٧٨)، والروياني (١٩١)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٤٠/ ٩٣٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٢٧)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٤٧)، ومسلم (١٩).

(٥) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٣/ ١٥٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٣٢١)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٣١)].

(٦) **صحيح**: رواه الحاكم (٨١)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٧١)].

ويقول ﷺ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْـغَمَامِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ : وَعِزَّتِي وَجَلالِي! لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»[1].

أيها الظالم!

لا تظلِمَـنَّ إذا مـا كنـتَ مقتـدراً	فـالظلمُ ترجـعُ عقبـاهُ إلى النـدَمِ
تنـــامُ عينـــاك والمظلـــومُ منتبـــهٌ	يـدعو عليـك وعــينُ الله لم تَـنَـمِ

أيها الظالمُ! أنتَ تنامُ، والمظلومُ لا ينامُ، يدعو عليك في جوف الليل، واللهُ عزَّ وجلَّ الذي لا يغفلُ ولا ينامَ يستجيبُ له. والعاقلُ من اتعظ بغيره.

• فها هو موسى عليه السلام المظلومُ يدعو على فرعونَ الظالِمِ فيقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس].

فاستجاب اللهُ لموسى عليه السلام بعد أربعين سنة فأغرق فرعون وملأهُ قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس:٨٩].

• وها هو رسولُنا محمدٌ ﷺ يدعو على أئمة الكفر من قريشٍ عندما وضعوا سلا الجزورِ على رأسهِ وهو ساجدٌ. فيقول ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**» ثَلَاثًا ثم قال: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ**

(١) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (٣٧١٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٣٠)].

رَبِيعَةَ، وَالْـوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» فاستجابَ اللهُ لرسولِهِ في هؤلاءِ الظَّلَمةِ يقولُ ابن مسعودٍ : (فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْـحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْـقَلِيبِ، قَلِيبِ بَدْرٍ)[1].

- وها هو سعدُ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه يدعو على الرجلِ الذي ظلمه وافترى عليه كذباً. فيقول: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً؛ فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْـفِتَنِ) فاستجابَ الله لسعدٍ في هذا الظالمِ، فطالَ عُمُرُهُ، وطال فقرُه، وأخذ يتعرضُ للجواري في الطرق يغمزُهنَّ. وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ : شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ[2].
- وها هو سعيدُ بن زيدٍ رضي الله عنه دعا على المرأةِ التي ظلمته وادَّعت أنه أخذ أرضها، فقال: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً؛ فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا) فاستجاب اللهُ له، فما ماتت حتى ذهب بصرُها، ثم بينا هي تمشي في أرضِها إذْ وقَعتْ في حفرةٍ فماتت[3].

فاستيقظ من غفلتِك، وتوقَّفْ عن ظلمِكَ أيها الظالمُ! فالمظلومُ منتبهٌ يدعو عليك، وعينُ الله لم تنمِ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٣٤)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٥٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٦١٠).

ثالثاً: الظالمُ بُشِّرَ بالنارِ لأنهُ أجرمَ في حقِّ مجتمعهِ

وذلك لأنهُ عرَّض مجتمعَهُ للهلاكِ والدمارِ قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود][1].

ما هو موقفُنا نحوَ الظالمِ والمظلوم؟

يقول ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»[2].

وقال ﷺ: «**أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَنْ يُضْرَبُ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً، فَجُلِدَ جَلْدَةً وَاحِدَةً، فَامْتَلأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ قَالَ: عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي؟ قَالُوا: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٥٢).

(٣) **حسن لغيره**: رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣١٨٥) [«صحيح الترغيب» (٢٢٣٤)].

ولذلك يقولُ البراءُ بن عازبٍ ﷺ: (أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِسَبْعٍ) وذكر منها: (وَنَصْرِ الْـمَظْلُومِ)[1].

ومرَّ رسولُ الله ﷺ بناسٍ من الأنصارِ وهم جلوسٍ في الطريق فقال: «**إِنْ كُنْتُمْ لاَ بُدَّ فَاعِلِينَ، فَرُدُّوا السَّلاَمَ، وَأَعِينُوا الْـمَظْلُومَ، وَاهْدُوا السَّبِيلَ**»[2].

فعلى المسلم أن ينصرَ المظلوم حتى يأخذَ حقَّهُ، وعلى المسلم أن يمنعَ الظالمَ عن ظلمه. قال ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**»[3].

لأن الظلمَ:

١- يجلبُ غضبَ الربِّ وسَخَطَه، ويتسلطُ على الظالم بشتى أنواعِ العذابِ.

٢- يُخرِبُ الديارَ، وبسببه تنهارُ دولٌ.

٣- سببٌ للهزيمةِ والفقر.

فكونوا يا عبادَ الله من الظلمِ والظلَمة على حذرٍ فالظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامةِ.

اللهمَّ إنا نعوذُ بك أن نَظلِمَ أو نُظلَم

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣٩)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٢) **صحيح لشواهده**: رواه الترمذي (٢٧٢٦)، وأحمد (٤/ ٢٨٢)، وأبو يعلى (١٧١٧)، والطيالسي (٧٤٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٥٠١)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وأحمد (١/ ٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٣١٧)].

٢٧

الذي يؤذي المسلمين بلسانه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر].

ويقول سبحانه: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور].

موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع واحدٍ من المُبَشَّرين بالنار، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إن مات على التوحيد. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنّه: **الذي يؤذي المسلمين بلسانه.**

جاءتِ الأدلةُ في الكتابِ والسنةِ تُبَشِّرُ الذي يؤذي المسلمين بلسانه بالنار، ومنها:

- قولُه تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**»[1].

• وقال ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ ما فِيهَا يهوي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِق والمغربِ**»[2].

• ولما قال معاذٌ رضي الله عنه يَا نَبِيَّ اللهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ الْسِنَتِهِمْ**»[3].

كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ**»[4] ويقول ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ**» -أي: تَذِلُّ له وتخضعُ- «**فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٩)، والحاكم (٧٣٠٥)، وابن حبان (٥٧٦٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٦٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) واللفظ لمسلم.

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٦٦)].

(٤) **إسناد جيد**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٨٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٣٤)].

(٥) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، والطيالسي (٢٣٢٣)، وأبو يعلى (١١٨٥)، وعبد بن حميد (٩٧٩)، [«صحيح الترغيب»(٢٨٧١)].

لماذا بُشِّرَ الذي يؤذي المسلمين بلسانه بالنارِ؟

أولاً: لأنَهُ أكلَ لحومَ الأبرياءِ بلسانه

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

ورسولُ الله ﷺ يقول: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لاَ تَغْتَابُوا الْـمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»(١).

• ويقولُ جابرٌ ﷺ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيحُ جِيفَةٍ مُنْتِنَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْـمُؤْمِنِينَ»(٢).

• وقال ﷺ: «لَـمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَـهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»(٣).

• وعن أبي بَكْرَةَ ﷺ قالَ: بينما أنا أُماشي رسولَ الله ﷺ وهو آخذٌ بيَدي،

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٠)، وأبو يعلى (٧٤٢٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٤٠)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٣/ ٣٥١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٤٠)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٤٨٧٨)، والطبراني في «الأوسط» (٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٣٩)].

ورجُلٌ عن يسارِه، فإذا نحنُ بقبرين أمامنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»(١).

والذين يؤذون المسلمين بالغيبةِ في هذا الزمان كثيرون أتدرون ما الغيبةُ يا عبادَ الله؟ يقول ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(٢).

وعن عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا -قَالَ بعضُ الرواة: تَعْنِي قَصِيرَةً- فَقَالَ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»(٣).

ثانياً: لأنَّهُ فَرَّقَ وأفسَدَ بينَ الأحبةِ بلسانه

والتفريقُ والإفسادُ بينَ الأحبةِ يكونُ بالنميمةِ، والنميمةُ هي نقلُ الكلام بين الاثنين للتَّفريقِ والإفسادِ بينهما، والذي يقومُ بهذا العملِ الخبيثِ هو النمام. والنميمةُ حرامٌ، والنمامُ مجرمٌ.

لأنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٥٢)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٩).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٣٤)].

وقال ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ نَمَّامٌ»[1].

وقال ﷺ عندما مرَّ بقبرين: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»[2] وقال ﷺ: «**خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْـمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْـمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ**»[3] وفي رواية: «**الْـمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ**»[4].

ثالثاً: لأنَّهُ كفَّرَ المسلمين بلسانِهِ

وتكفيرُ المسلم الذي يقولُ لا إله إلا الله بالكبيرة، عقيدةٌ فاسدةٌ لأن الذي يُكفّرُ المسلمَ بلسانه يقعُ في مصيبتين.

المصيبة الأولى: أنه يستحلُّ دَمَهُ، وهذا حرامٌ.

يقولُ ﷺ: «**كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[5]، وقال ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»[6].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦١)، ومسلم (٢٩٢).

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٤/ ٢٢٧)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢٢٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤١٨٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٢٤)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٦/ ٤٥٩)، والبخاري في«الأدب المفرد» (٣٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٦٧/ ٤٢٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٢٥)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

المصيبة الثانية: أنه حكمَ على المسلمِ بالخلودِ في النارِ، وهذا من أعظم البغي.

يقول أبو هريرةَ رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كَانَ رَجُلاَنِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَآخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْـعِبَادَةِ، فَكَانَ لاَ يَزَالُ الْـمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ** -أي: المذنبُ- **خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ** -أي: المجتهدُ-: **وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللهُ الْـجَنَّةَ، فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْـعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْـمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْـجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ**»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ[1] دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ[2].

رابعاً: لأنهُ قال على اللهِ بغيرِ علم، وأفتى في دينِ اللهِ بغيرِ علم

والقولُ على الله بغير علم حرامٌ، والفتوى في دين الله بغير علم حرامٌ. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾**﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ**

(١) أوبقت: أهلكت.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٠١) واللفظ له، وأحمد (٢/ ٣٢٣)، وابن حبان (٥٧١٢)، [«صحيح الجامع» (٤٤٥٥)].

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْـعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْـعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْـعِلْمَ بِقَبْضِ الْـعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[1].

خامساً: لأنهُ قلَبَ الحقائق، وضَيَّعَ الحقوق بالكذب وشهادة الزور

والكذبُ وشهادةُ الزورِ حرامٌ، بل هما من أكبرِ الكبائرِ قال ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَالْـكَذِبَ، فَإِنَّ الْـكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْـفُجُورِ، وَإِنَّ الْـفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْـكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»[2].

وقال ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْـكَبَائِرِ**» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**الإِشْرَاكُ باللهِ، وَعُقُوقُ الْـوَالِدَيْنِ**» وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ؛ فَقَالَ: «**أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**» فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ[3].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج].

ويقول سبحانه: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٦٨٠٥) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٩٧٦).

كيف تُصلحُ لسانكَ لتنجوَ من عذابِ النارِ؟

أولاً: بالصمت

قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْـيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1].

وقال ﷺ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»[2].

والصمتُ عن الكلام فيما لا خيرَ فيه لا يقدرُ عليه إلا الرجال، ولذلك قال ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَـحْيَيْهِ** -أي: اللسان- **وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ** -أي: الفرج- **أَضْمَنْ لَهُ الْـجَنَّةَ**»[3].

- فهذا الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يأخذُ بِلِسَانِهِ وَيَقُولُ: (هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْـمَوَارِدَ)[4].
- وهذا ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما يأخذُ بلسانهِ ويقول: (ويحك! قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، أَوِ أمسِكْ عَنِ شَرٍّ تَسْلَمْ، وإلا واللهِ ستَنْدَم)[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥٠١)، وأحمد (٢/ ١٥٩)، والدارمي (٢٧١٣)، والطبراني في «الأوسط» (١٩٣٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧٤)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٤) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (١١٨٤١)، ومالك في «الموطأ» (١٧٨٨)، والبزار (٨٤)، وأبويعلى (٥)، [«المشكاة» (٥٨)].

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٨)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٩٠).

• وهذا عبدُالله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه يقولُ: (وَالله الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ، مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ)[1].

ثانياً: بإمساكِ اللسانِ عن الخوضِ فيما لا ينفعُ

قال تعالى: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** (١١٤)﴾ [النساء].

• وعن عقبةَ بن عامرٍ رضي الله عنه قال: قلتُ: يَا رَسُولَ الله! مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»[2].

• وعن سفيانَ بنِ عبدِالله رضي الله عنه قال: قلتُ: يَا رَسُولَ الله! حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: «**قُلْ رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! مَا أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا**»[3].

ولما سألَ معاذٌ رضي الله عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن عملٍ يُدخلهُ الجنةَ ويباعِدُهُ عن النارِ قال له صلى الله عليه وسلم: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ! وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ**» وبعدَ أن

(١) **صحيح موقوفا**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨٧٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٥٨)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٧٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٩)، والبيهقي في «الشعب» (٧٨٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤١)].

(٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، وابن حبان (٥٦٩٩)، والحاكم (٧٨٧٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٦٢)].

أخبرَه بأركانِ الإسلامِ ودلَّه على أبوابِ الخير قال ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ**[1] **ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»[2].

ثالثاً: أن يرطِّبَ المسلمُ لسانَهُ بذكر الله

جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ يقول: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ -أي: أتمسكُ به- قَالَ ﷺ: «**لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**»[3].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿... وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

ويقول سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢].

ويقول سبحانه في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»[4].

ويقول ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْـمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْـعَظِيمِ**»[5].

---

(١) مِلاك: بالكسر والفتح للميم: قِوامُ الشيء ونظامه، وما يعتمد عليه فيه.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٦٦)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٨٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٢٦٨)، والحاكم (١٨٢٢)، [«صحيح الترغيب» (١٤٩١)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥) .

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) .

٢٨

قاطعُ الرحم

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع واحدٍ من المُبَشَّرين بالنار، ولكن لا يخلدُ فيها إذا مات على التوحيد. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنّه: **قاطع الرحم**.

قاطعُ الرحم مجرمٌ في حقِّ نفسه، ومجرمٌ في حقِّ رحمِهِ، وقطيعةُ الأرحام ظاهرةٌ خطيرةٌ انتشرت في هذا الزمان بسبب البُخلِ والشُّحِّ وحُبِّ المالِ؛ فهذا أخٌ قطعَ أخاهُ، وهذا أخٌ قطعَ أختَه، وهذا رجلٌ قطعَ عمَّهُ وعمَّتَهُ، وخالَه وخالَتَهُ من أجل الدنيا الفانية.

• والنبيُّ ﷺ حذَّرَ من ذلك فقال: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٦٩٨)، وأحمد (٢/ ١٩١)، وابن حبان (٥١٧٦)، والحاكم (١٥١٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٠٤)].

• وقال ﷺ: «**مَا مِنْ ذِي رَحِمٍ يَأْتِي رَحِمَهُ، فَيَسْأَلُهُ فَضْلا أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ فَيَبْخَلُ عَلَيْهِ؛ إلا أُخْرِجَ لَهُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ مِنْ جَهَنَّمَ حَيَّةٌ يُقَالُ لَهَا: شُجَاعٌ يَتَلَمَّظُ، فَيُطَوَّقُ بِهِ**»(١).

اللهُ أكبرُ! هذا العذابُ لمن جاءَهُ ذو رحم يطلبُ فضلاً -أي: شيئاً زائداً- فما بالكم بمن جاءَهُ رحِمُهُ يطلبُ حَقَّه من الميراثِ -مثلاً- فيمنعُه؟!

• وقال ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْـعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا -مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ- مِنَ الْـبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»(٢).

فاتق اللهَ يا قاطعَ الرحمِ في رَحِمِكَ، واعلم أن الصدقةَ على الرَّحمِ أجرُها مُضاعفٌ وعظيمٌ عندَ الله.

• قال ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْـمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»(٣).

• وقال ﷺ لزينبَ امرأةِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنهما عندما سألَتْهُ عن الصدقةِ على زوجِها، وأيتامٍ في حجرِها؟ «**لَهَا أَجْرَانِ؛ أَجْرُ الْـقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**»(٤).

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣٤٣)، وفي «الأوسط» (٥٥٩٣)، [«صحيح الترغيب» (٨٩٦)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٧)].

(٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٦٥٨)، وأحمد (٤/ ٢١٤)، والطبراني في «الكبير» (٦٢٠٦)، والبيهقي في «الكبرى» (٤/ ١٧٤) [«صحيح الترغيب» (٨٩٢)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠) واللفظ للبخاري.

• ولما قال أبو طلحة رضي الله عنه يَا رَسُولَ الله! إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]. وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ الله حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ الله! فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَفِي بَنِي عَمِّهِ[1].

• يا قاطعَ الرحمِ! اعلمْ أنك ملعونٌ منَ الله، ومقطوعٌ عن كلِّ خير.

• قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد].

• ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

• وقال ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»[2].

• وقال ﷺ: «**قَالَ اللهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ! وَهِيَ الرَّحِمُ؛ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا؛ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٥).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (١٦٩٤)، والترمذي (١٩٠٧)، وأحمد (١/ ١٩٤)، وابن حبان (٤٤٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٢٨)].

• وقال ﷺ: «إِنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ[1] مِنَ الرَّحْمَنِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْـقِيَامَةِ تَقُولُ: أَيْ رَبِّ! إِنِّي ظُلِمْتُ! إِنِّي أُسِيءَ إِلَيَّ! إِنِّي قُطِعْتُ!! قَالَ: فَيُجِيبُهَا رَبُّهَا: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، وَأَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ؟!»[2].

يا قاطعَ الرحم!

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العـرضِ عُريانـا ... مُسْتَوحشاً قلـقَ الأحـشاءِ حيرانـاً
والنارُ تلهَبُ من غيظٍ ومـن حَنَـقٍ ... على العُصاةِ وربُّ العرشِ غـضبانا
اقرأ كتابَـك يـا عبـدِي عـلى مَهَـلٍ ... فهل ترى فيه حرفـاً غـيرَ مـا كانـا
لمـــا قـــرأتَ ولم تنكـــرْ قراءتَـــه ... إقرارَ مـن عـرفَ الأشـياءَ عِرفانـا
نادى الجليـلُ خـذوهُ يـا ملائكتـي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنارِ عطـشانا
المجرمــونَ غــداً في النــارِ يلتهبــوا ... والمؤمنــونَ في دارِ الخلــدِ ســكانا

• يا قاطع الرحم! اعملْ ما شئتَ فعملُكَ مردودٌ عليك.

• قال ﷺ: «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْـجُمُعَةِ ، فَلاَ يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ»[3].

• وقال ﷺ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ» -أي: أعمال العباد- «فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ» -أي: على الله تعالى- «فَيَغْفِرُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْـيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لاَ يُشْرِكُ

(١) (شِـُجنةٌ من الرحمن) : أي: مشتقة من اسم الرحمن، وتلفظُ بكسرِ الشين وضمها.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٢/ ٣٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥)، والبزار (٨٤٠٤)، والحاكم (٧٢٨٧)، وابن حبان (٤٤٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٠)].

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٤٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦١)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٨)].

بِاللهِ شَيْئًا إِلاَّ امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[1] أي أخِّرا هذين حتى يصطلحا وفي رواية: «**اتركوا**».

فاتقِ اللهَ يا قاطعَ الرحمِ في رَحِمكَ، واعلم أن اللهَ لا يتقبل إلا من المتقين. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة]. ويقول سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء:١]. -أي:واتقوا الأرحام أن تقطعوها-.

وقال ﷺ: «**اتَّقُوا اللهَ وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ**»[2].

• يا قاطعَ الرحمِ! اعملْ ما شئتَ، فقطيعةُ الرحم ستوصلك إلى أخبث المنازل. يقول ﷺ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ**» ومنهم: «**وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ**[3] **فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»[4].

يا قاطعَ الرحم! اعملْ ما شئتَ فأنت محرومٌ مِن خصالِ الخيرِ، ومحرومٌ من

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٥).

(٢) **حسن**: رواه البيهقي في «الشعب» (٧٥٧٧)، وابن عساكر (٥٦/ ٣١٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٦٩)].

(٣) يخبط: أي يصرفه في الباطل على غير هدى.

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٦)].

أحبِّ الأعمالِ إلى الله وأفضلِها.

• عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِخِصَالٍ مِنَ الْـخَيْرِ: (أَوْصَانِي بِأَنْ لَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْـمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْـحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَوْصَانِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله فَإِنَّهَا كنز من كنوز الجنة)[1].

• عن رجلٍ من خثعمَ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله؟؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِالله**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِمِ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! ثمَّ مَهْ؟ قال: «**ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» قال: قلت: يا رسول الله! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَبْغَضُ إِلَى الله؟ قَالَ: «**الْإِشْرَاكُ بِالله**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الْأَمْرُ بِالْـمُنْكَرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْـمَعْرُوفِ**»[2].

• وعن عقبةَ بن عامرٍ رضي الله عنه قال: ... ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ الله ﷺ فَابْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ؟ فَقَالَ: «**يَا عُقْبَةُ! صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٥٩)، والطبراني في «الأوسط» (٧٧٣٩)، وابن حبان (٤٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٣٤٣٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٢٥)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٦٨٣٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٢٢)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٤/ ١٤٨)، وهنّاد في «الزهد» (١٠١٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٦)].

• يا قاطعَ الرحم! ابشرْ بالفقر وخرابِ الديارِ إذا لم تتبْ.

• قال ﷺ: «**إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْـبَيْتِ لِيَكُونُوا فَجَرَةً فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا، وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَتَوَاصَلُونَ فَيَحْتَاجُونَ**»(١).

• وقال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ**(٢) **فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٣).

• وقال ﷺ: «**صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْـخُلُقِ وَحُسْنُ الْـجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ**»(٤).

• يا قاطع الرحم! أنت مبشَّرٌ بالنارِ محرومٌ من الجنة.

• قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

• وقال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ قَاطِعٌ يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ**»(٥).

• وقال ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْـجَنَّةَ**»(٦).

• وقال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ**» وذكر منهم: «**وَقَاطِعُ الرَّحِمِ**»(٧).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان (٤٤٠)، [«صحيح الجامع» (٥٧٠٥)].

(٢) (ينسأ له في أثره) : أي: يزاد له في عمره.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، [«صحيح الترغيب» (٥٧٠٥)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦) واللفظ له.

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١٩٠)، والبزار (١٢٦٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٢)].

(٧) **صحيح لغيره**: رواه ابن حبان (٥٣٤٦)، والحاكم (٧٢٣٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٩)].

• يا قاطعَ الرحم! أنسيتَ أن صِلةَ الرحِم من ديننا ومن عقيدتِنا.

• قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[1].

• وقال ﷺ: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»[2].

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[3].

• وقال ﷺ: «**بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ**»[4].

• ووصَّى النبيّ ﷺ بصلة الرحمِ عند موتِهِ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «**أَرْحَامَكُمْ! أَرْحَامَكُمْ!**»[5].

• وأولُ شيءٍ أمرَ به النبيُّ ﷺ عندما وصلَ إلى المدينةِ مهاجراً من مكةَ، صِلةُ الأرحامِ.

يقول عبدالله بُن سلام رضي الله عنه: لما قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ انجفلَ الناسُ عليه -أي: أقبلوا عليه- وكنت فيمن انجفل، فلما رأيتُه عرفتُ أنَّ وجهه ليس بوجهِ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦١٣٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٩٩١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٨).

(٤) **صحيح**: رواه هنّاد في «الزهد» (١٠١١)، وابن المبارك في «البر والصلة» (١١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧٦٠٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٧٧)].

(٥) **صحيح**: رواه ابن حبان (٤٣٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٧٣٦)].

كذاب. فكان أولَ شيءٍ سمعتُه يقول: «**يَاأَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْـجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[(١)].

• يا قاطعَ الرحم! اعلمْ أنَّ الواصلَ لرحمِهِ لا يخزيه اللهُ أبداً، واللهُ معه يحفظُهُ وينصرُهُ ويوفقُهُ ويُنجيهِ من ميتةِ السُّوءِ، لما رجعَ رسولُ الله ﷺ منَ الغار بعد أن جاءَهُ جبريلُ لأوَّلِ مرةٍ، رجعَ يرجُفُ فؤادُهُ، فدخل على خديجةَ رضي الله عنها فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِخَدِيجَةَ: «**أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**» فَأَخْبَرَهَا الْـخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: (كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْـحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْـكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْـمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْـحَقِّ)[(٢)].

فيا قاطعَ الرحم! صِلْ رحمَكَ ولو بالسلام، ولو بالابتسامة، ولو بالصدقة في السرِّ، فإن صدقةَ السرِّ تُطفئُ غضبَ الرب وهي من المعروف الذي أمر اللهُ به.

قال ﷺ: «**صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْـعُمُرِ، وَفِعْلُ الْـخَيْرَاتِ يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ**»[(٣)].

نسألُ اللهَ أن يجعلَنا وإياكم من الواصلين أرحامَهم

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤١٠)، [«صحيح الترغيب» (٩٤٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠).

(٣) **صحيح**: رواه الحارث في «مسنده» (٣٠٢) بغية، البيهقي في «الشعب» (٣١٦٨)، [«صحيح الجامع» (٣٧٦٠)].

٢٩

آكلُ مالِ اليتيم

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية].

موعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع واحدٍ من المُبَشَّرين بالنارِ، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إنْ ماتَ على التوحيد. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنهُ: **آكل مالِ اليتيم.**

• **اليتيم شرعاً:** هو الصغيرُ الذي فقدَ أباه، والصغيرُ إذا فَقَدَ أباهُ فقد فَقَدَ الحنانَ والعطف والرحمةَ والابتسامةَ، وأصبح ضعيفاً، والاعتداءُ على حقِّ هذا اليتيم الضعيف جريمةٌ نكراءُ، والاعتداءُ على مالِهِ سببٌ لدخولِ النارِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ**»[1].

وقال ﷺ لأبي ذرٍ رضي الله عنه: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ**»[2].

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٠٤)، وأحمد (٢/ ٤٣٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠١٥)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٥).

وفي روايةٍ قال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**»[1].

• فآكلُ مالِ اليتيم مجرمٌ؛ أجْرَمَ في حقِّ ربِّهِ، وأجرمَ في حقِّ نفسِهِ، وأجرمَ في حقِّ اليتيم.

فأما إجرامُهُ في حقِّ ربِّهِ.

• أنهُ تعدَّى حدودَ الله؛ ومن يتعدَّ حدودَ الله فقد ظلمَ نفسَه. قال تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾**﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

فاللهُ عزَّ وجلَّ جعلَ لليتيم حقاً في المالِ العام فقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال:٤١].

وقال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر:٧].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٦).

وجعلَ اللهُ لليتيم حقاً في المالِ الخاص. فقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [البقرة].

وأمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بحفظ مال اليتيم. فقال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ [النساء].

وقد حَفِظَ اللهُ مالَ اليتيم، فأرسلَ الخَضِرَ وموسى عليهما السلام لبناءِ الجدارِ لحفظ كنزهما. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف].

• وقد حذَّرَ اللهُ في كتابهِ من الاقترابِ من مالِ اليتيم. فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ إلى أن قالَ ربُّ العزةِ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأنعام].

عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قالَ: (لَـمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا

بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الإسراء:٣٤]. و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء] انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ، فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضُلُ الشَّيْءَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ -أي اليتيم- فَيُحْبَسُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ [البقرة:٢٢٠] فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِمْ)[1] .

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء:٦] يَقُولُ: إِنْ كَانَ غَنِيًّا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْتَقْرِضْ مِنْهُ، فَإِذَا وَجَدَ مَيْسَرَةً فَلْيُعْطِهِ مَا اسْتَقْرَضَ مِنْهُ؛ فَذَلِكَ أَكْلُهُ بِالْمَعْرُوفِ[2] .

• وقد جعلَ اللهُ حقَّ اليتيمِ بعدَ حقِّ الأرحام، وقبلَ حقِّ الفقراءِ والمساكين، فقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [النساء:٣٦].

• وجعلَ الله الإحسانَ إلى اليتيم من البرِّ الذي هو عنوانُ الإيمانِ والتقوى فقال

(١) حسن: رواه أبو داود (٢٨٧١)، والبيهقي في «الكبرى» (٦/ ٤٦٥)، والحاكم (٢٤٩٩)، [«صحيح وضعيف أبو داود»].

(٢) «تفسير الطبري» (٦/ ٤١٤) .

تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ إلى أن قال ربُّ العزة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

ولذلك كان عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَعَلَى خِوَانِهِ -وهو ما يوضع عليه الطعام- يَتِيمٌ[1].

وقال داودُ عليه السلام: (كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ)[2].

وبعدَ كلِّ هذا يأتي هذا المجرمُ ويعتدي على مالِ اليتيمِ ويتعدَّى حدودَ الله.

• وأما إجرامُهُ في حقِّ نفسِه:

آكِلُ مالِ اليتيمِ المتعدي لحدودِ الله أجرمَ في حقِّ نفسِهِ وذلك:

أولاً: أنه حرمَ نفسَهُ من أجرِ كفالةِ اليتيمِ والإحسانِ إليه والرفقِ به.

كيف لا؟

• ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**أَنَا وَكَافِلُ الْـيَتِيمِ فِي الْـجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْـوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٩٩)، [«صحيح الأدب المفرد» (١٠٢)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في«الأدب المفرد» (١٣٨)، والبيهقي في «الشعب» (١١٠٣٩)، [«صحيح الأدب المفرد» (١٠٣)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٣٠٤).

وقال ﷺ: «كَافِلُ الْـيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْـجَنَّةِ»[1].

ويقولُ أبو الدرداء رضي الله عنه أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ يشكو قسوةَ قَلبِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَدْنِ الْـيَتِيمَ إِلَيْكَ، وَامْسَحْ بِرَأْسِهِ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ، وَتَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِكَ»[2].

• والنفقةُ على اليتيمِ أجرُها عظيمٌ، وعلى اليتيمِ القريبِ أعظمُ أجراً.

لَـمَّا وعظَ النبيُّ ﷺ النساءَ فقال لهنَّ: «تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ» سألت زينبُ -امرأة عبدِ الله بن مسعود- النبيَّ ﷺ بواسطةِ بلالٍ رضي الله عنه: أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ على زوجي وأَيْتَامٍ لي فِي حَجْرِي مِنْ الصَّدَقَةِ؟ قال: «نَعَمْ! وَلَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْـقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»[3].

ثانياً: أنهُ أوقعَ نفسَهُ في الكبائرِ والموبقاتِ السبعِ التي حَذَّرَ منها النبيُّ ﷺ

قال ﷺ: «اجْتَنِبُوا الْـكَبَائِرَ السَّبْعَ» فذكرها، وعدَّ منها: «وَأَكْلُ مَالِ الْـيَتِيمِ»[4].

وقال ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ» فذكرها وعدَّ منها «وَأَكْلُ مَالِ الْـيَتِيمِ»[5].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٨٣).

(٢) **حسن**: رواه الخرائطى فى «مكارم الأخلاق» (٦٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٤)، والبيهقى في «الشعب» (١٠١٧٤)، وابن عساكر (٤٧/ ١٥٣). [«السلسلة الصحيحة» (٨٥٤)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠) واللفظ للبخاري.

(٤) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (٥٦٣٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٤٤)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

ولذلك قال ﷺ لأبي ذرٍ رضي الله عنه مُحَذِّراً: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ...**»(1).

ثالثاً: أنهُ حرمَ نفسَهُ من رحمةِ الله

قال ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(2)، وقال ﷺ: «**مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ**»(3).

رابعاً: أنهُ عَرَّضَ نفسَهُ لعذابِ النارِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء].

وأما إجرامُهُ في حقِّ اليتيم

فإنه أهانَهُ وقهرهُ واعتدى على مالهِ وأحْزَنَهُ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ [الضحى].

وشَدَّدَ ربُّنا جل وعلا في النهي عن إهانةِ اليتيم وقهرِهِ، وجعلَها من شيمِ الكافرين المكذبين بيوم الدين. فقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٦).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (١٩٢٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٥٦)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

وقال تعالى مُتوَعِّداً هؤلاء: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ في كتابهِ يحثُّ على إطعامِ اليتيم، ويمدحُ الذين يُطعمونَ اليتامى، ويَعِدُهُمْ بالنجاةِ من شرِّ يومِ القيامة، ويعدُهم الجنة.

قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان].

وجاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! أيُّ الناسِ أحبُّ إلى الله؟ وأيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله؟ فقال ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى الله سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْـمَسْجِدِ -يَعْنِي مَسْجِدَ الْـمَدِينَةِ- شَهْرًا...**»[1].

وأنت يا آكلَ مال اليتيم! بدلَ أنْ تُدخلَ السرورَ على قلبِ اليتيمِ، وتُطْعِمَهُ من طعامِك أكلتَ مالَهُ، وأحْزَنْتَهُ وقَهرْتَهُ؟!

(١) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٠٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٢٣)].



تاركُ الصلاةِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع واحدٍ من المبشّرين بالنارِ، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إن مات على التوحيد. أتدرون من هوَ يا عبادَ الله؟ إنه: **تارك الصلاةَ**

• تاركُ الصلاةِ، إمَّا أنهُ تركَها جحوداً لها أو إنكاراً لِفَرْضِيَّتِها، فهذا كافرٌ خارجٌ عن ملةِ الإسلام. وإِمَّا أنه تركها تكاسُلاً أو انشغالاً بالدنيا الفانية، فهذا مرتكبٌ لكبيرة من الكبائر، وهو على خطر عظيم لقولِه ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ تبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْـعِبَادِ، مَنْ أَتَى بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الله عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ**»[1].

وكلامُنا سيكونُ عن تاركِ الصلاةِ تكاسُلاً وانشغالاً بالدنيا الفانية، الذي يُقِرُّ بفرضيةِ الصلاةِ، ولكنه يصلي يوماً، ويتركُ آخرَ، أو يصلي يومَ الجمعةِ ويتركُ باقيَ الأسبوع، أو يصلي شهرَ رمضان ويتركُ باقي السنة. فهذا مجرمٌ في حقِّ رَبِّه، ومجرمٌ

(١) **صحيح لغيره**: رواه النسائي (٤٦١) بلفظ قريب، وأحمد (٥/ ٣١٩)، والدارمي (١٦١٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٧٠)].

في حقِّ نبيِّه ﷺ ومجرمٌ في حق صلاتِه ومجرمٌ في حَقِّ نفسه، لأنهُ عَرَّضَ نفسَهُ للعذابِ الأليم، وبُشِّرَ بالنارِ وبئسَ المصير.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون].

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر].

أتدري يا تاركَ الصلاةِ! ما سقر؟

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر].

ويقولُ سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾.

وانطلاقاً من قولِهِ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

فهذه رسالةٌ أُقَدِّمُها لتاركِ الصلاةِ؛ فيها تحذيرٌ وتذكير، ليهلك مَنْ هلكَ عن بينة، ويَحيى من حيَّ عن بينة.

• يا تاركَ الصلاةِ! أنسيتَ أنَّ الصلاةَ هي الركنُ الثاني من أركانِ الإسلام، وهي عمودُ الدين، وأولُ ما فُرِضَ من العبادات ليلةَ المعراج مباشرةً من غيرِ واسطةٍ. قال ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[1].

وقال ﷺ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**»[2].

وقال أنسٌ رضي الله عنه: «**فُرِضَتِ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ، ثُمَّ نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسًا، ثُمَّ نُودِيَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهَذِهِ الْخَمْسِ خَمْسِينَ**»[3].

فالصلاةُ يا تاركَ الصلاةِ، خمسٌ في العملِ، وخمسون في الأجرِ.

• يا تاركَ الصلاةِ! ما أخسرَكَ، وما أقطعَكَ، أنسيتَ أنَّ الصلاةَ تجارةٌ رابحةٌ، وأنها هي الصلةُ بينَ العبدِ وربِّه؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، وأحمد (٥/ ٢٣٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٦٦)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣)، والترمذي (٢١٣)، واللفظ له.

وقال ربُّ العزةِ في الحديثِ القدسيِّ: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْـعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي (وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي) فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»[1].

وقال ﷺ: «**الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْـعَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ**»[2].

• يا تاركَ الصلاة! بَرِئتْ منك الذمة -أي: لا عهدَ لك عندَ الله-. قال ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه: «**لَا تُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ، وَلَا تَتْرُكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا، فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ**»[3].

وعن كعبِ بنِ عُجْرَة رضي الله عنه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ سَبْعَةُ نَفَرٍ: أَرْبَعَةٌ مَنْ مَوَالِينَا وَثَلَاثَةٌ مِنْ عَرَبِنَا، مُسْنِدِينَ ظُهُورَنَا إِلَى مَسْجِدِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» قُلْنَا: جَلَسْنَا نَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ. قَالَ: فَأَرَمَّ[4] قَلِيلًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ؟**» قُلْنَا: لَا. قَالَ: «**فَإِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٩٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٦٢٦).

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٠٣٤)، [«المشكاة» (١٧)].

(٤) فأرمّ: أي سكت.

لِوَقْتِهَا، وَحَافَظَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا، فَلَهُ عَلَيَّ عَهْدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُصَلِّهَا لِوَقْتِهَا، وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، وَضَيَّعَهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا، فَلَا عَهْدَ لَهُ عَلَيَّ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ غَفَرْتُ لَهُ»[1].

• يا تاركَ الصلاةِ! حَرَمتَ نفسَك من النورِ، وعِشْتَ في الظلماتِ، وقطعتَ نفسَك عن كلِّ خير. أنسيتَ يا تاركَ الصلاةِ أنَّ الصلاةَ نور؟ أنسيتَ يا تاركَ الصلاةِ أن الصلاةَ كُلُّها خير وأنها من خير الأعمال؟

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد:١٢].

وقال ﷺ: «**بَشِّرِ الْـمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْـمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

وقال ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْـحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْـمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْـحَمْدُ لله تَمْلَآنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ...**»[3].

وقال ﷺ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْملوا، وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ**»[4].

• يا تارك الصلاة! ألمْ تعلمْ أنه قدِ استحوذَ عليكَ الشيطانُ، قال ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلَا بَدْوٍ، لَا يُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ، إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ...**»[5].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٤/ ٢٤٤)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٦٤)، [«صحيح الترغيب» (٤٠١)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٢٣)، وأبو داود (٥٦١)، [«صحيح الترغيب» (٣١٥)].

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣).

(٤) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٢٧٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٦)، والدارمي (٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (١٤٤٤)، [«صحيح الترغيب» (١٩٧)].

(٥) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، [«صحيح الترغيب» (٤٢٧)].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

• يا تاركَ الصلاةِ! ما أوسخكَ! أنسيتَ أنَّ الصلاةَ تُطَهِّرُ صاحبَها من أوساخ المعاصي والذنوب، ومنَ الأخلاقِ السيئةِ.

قال ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ[1] شَيْءٌ؟**» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «**فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْـخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْـخَطَايَا**»[2].

وقال ﷺ: «**الصلواتُ الخمسُ كفارةٌ لما بينها**» ثم قال: «**أرأيتَ لو أنَّ رجلاً كان يَعْتمِلُ، وكان بينَ منزلِه وبينَ مُعْتَمَلِهِ خمسةُ أنهارٍ، فإذا أتى مُعْتَمَلَهُ[3] عملَ فيه ما شاءَ اللهُ، فأصابه الوَسَخُ أو العَرَقُ، فكلما مرَّ بنهرٍ اغتسلَ، ما كانَ ذلكَ يُبْقي من دَرَنِهِ؟ فكذلك الصلاةُ، كلما عملَ خَطيئةً فدعا واستغفرَ، غُفِرَ له ما كان قبلَها**»[4].

وقال ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْـخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْـوُضُوءِ عَلَى الْـمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْـخُطَا إِلَى الْـمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»[5].

---

(١) الدَّرن: الوسخ.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(٣) معتمله: محل عمله.

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (٥٤٤٤)، وفي «الأوسط» (١٩٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٥٥)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥١).

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ وهذه صفاتٌ قبيحةٌ ذميمةٌ تُطهرُها الصلاة، ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج].

• يا تاركَ الصلاةِ! ما أغفلَك! أنسيتَ أنَّ أولَ شيءٍ ستحاسَبُ عليه يومَ القيامةِ من عملك الصلاةُ. قال ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ**»[1].

أتدري يا عبدَ الله! لماذا أفلحَ وأنجحَ من صَلحتْ صلاتُهُ؟ لأنهُ سيَرِثُ الجنة. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾.

قال تعالى في أول صفاتهم: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾، وقال تعالى في آخر صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون].

أتدري يا تاركَ الصلاةِ! لماذا خابَ وخسر مَن فسدت صلاتُه؟ لأنهُ سيُؤْخَذُ به إلى النار. قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، [«صحيح الترغيب» (٥٤٠)].

يا تاركَ الصلاة! استيقِظْ من غفلتِك، فالعاقلُ من اتعظَ بغيره، فهذا رجلٌ يُصلي، ولكنه صلى صلاةً واحدةً بغير طُهُورٍ، فانظر ماذا فُعِلَ به في قبره.

قال ﷺ: «**أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله أَنْ يُضْرَبَ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً، فَجُلِدَ جَلْدَةً وَاحِدَةً، فَامْتَلأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ قَالَ: عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي؟، قَالُوا: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ**»[1].

فما بالُكَ أنتَ يا تاركَ الصلاة، ماذا سيُفْعَلُ بك؟

يا من تركتمُ الصلاةَ، وانشغلتم بالدنيا الفانية! أما تقرؤون قولَ الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم].

أنسيتمُ الموتَ؟ أنسيتمُ القبرَ؟ أنسيتمُ الحشر؟ أنسيتمُ الوقوفَ بينَ يديِ اللهِ؟ أم صدق فيكم قول القائل:

أمـا والله لـو عَلِـمَ الأنـامُ ... لمـا خُلقـوا لمـا هجعـوا ونـاموا

لقـد خُلقـوا لأمـرٍ لـو رأتـهُ ... عيـون قلـوبهم تـاهوا وهـاموا

ممـاتٌ ثـم قـبرٌ ثـم حـشرٌ ... وتـوبيخٌ وأهـوالٌ عظـامُ

ليـوم الحـشر قـد عملـت رجـالٌ ... فـصلوا مـن مخافتـه وصـاموا

ونحـن إذا أُمرنـا أو نُهينـا ... كأهـل الكهـف أيقـاظٌ نيـام

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣١٨٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٣٤)].

• يا تاركَ الصلاة! أنسيتَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«الْـعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»**(1).

• يا تاركَ الصلاةَ! أنسيتَ أنك تُهْلِكُ نفسَك بتركِك للصلاة، كالذي يحترقُ بالنار.

قال ﷺ: **«تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْـفَجْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْـعَصْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْـمَغْرِبَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْـعِشَاءَ غَسَلَتْهَا ، ثُمَّ تَنَامُونَ فَلَا يُكْتَبُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا»**(2).

وقال ﷺ: **«إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكًا يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ: يَا بَنِي آدَمَ! قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمُ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَى أَنْفُسِكِمْ فَأَطْفِئُوهَا»**(3).

• يا تارك الصلاة! أنسيتَ أنَّ اللهَ أمرَ بإقامةِ الصلاة فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. وأمر بالمحافظة عليها فقال تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة]. ومدحَ المحافظين عليها في بيوت الله فقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ

(1) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والنسائي (٤٦٣)، وأحمد (٥/ ٣٤٦)، [«صحيح الترغيب» (٥٦٤)].

(2) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٢٢٤)، وفي «الصغير» (١٢١)،[«صحيح الترغيب» (٣٥٧)].

(3) **حسن لغيره**: **رواه الطبراني في** «الأوسط» (٩٤٥٢)، وفي «الصغير» (١١٣٥) واللفظ له، [«صحيح الترغيب» (٣٥٨)].

فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة].

ورسولُ الله ﷺ يَحُثُّ على المحافظةِ على الصلاةِ في بيوتِ الله فيقول ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْـوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَصَلَّاهَا مَعَ الْإِمَامِ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**»[1].

ويقولُ ﷺ: «**إِسْبَاغُ الْـوُضُوءِ فِي الْـمَكَارِهِ، وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْـمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ يَغْسِلُ الْـخَطَايَا غَسْلًا**»[2].

وإليكَ حالَ الصحابةِ ﷺ مع الصلاة في بيوتِ الله لعلك يا تاركَ الصلاة تنتبهُ من غفلتِك قبل فواتِ الأوان.

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ -أي في المساجد- فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٦٧)، وابن خزيمة (١٤٨٩) واللفظ له، والبزار (٤٣٧)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٠)].

(٢) **صحيح**: رواه عبد بن حميد (٩٢)، وأبو يعلى (٤٨٨)، والبزار (٥٢٨)، والحاكم (٤٥٦)، [«صحيح الترغيب» (١٩١)].

سُنَنَ الْـهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مَنْ سُنَنَ الْـهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْـمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[1].

وفي روايةٍ قال ابنُ مسعودٍ: (إِنْ رَسُولَ الله ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْـهُدَى، وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْـهُدَى الصَّلَاةَ فِي الْـمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ)[2].

والصحابةُ يا تاركَ الصلاةِ! حافظوا على الصلاةِ في بيوتِ الله، لأنهم علموا وأيقنوا أنَّ الصلاةَ سببٌ للنصرِ على الأعداءِ، والتمكينِ في الأرضِ، ونزولِ الرَّحمات من ربِّ السماوات.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ**»[3].

ويقول سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

(٣) **صحيح**: رواه النسائي (٣١٧٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٣٤٥)، [«صحيح الترغيب» (٦)].

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة].

فاتق اللهَ في نفسِكَ يا تاركَ الصلاة! وتُبْ إلى اللهِ بالمحافظةِ على الصلاةِ في وقتِها في بيوتِ اللهِ قبلَ أن ينزلَ بك الموتُ. فتقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ يقال لك: ﴿كَلَّآ﴾ [المؤمنون]. فتندمُ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ.

اللهم اجعلنا من المحافظين على الصلاةِ في وقتها في جماعة في بيوت الله

٣١

مانعُ الزكاة

عبادَ الله! يقولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج].

موعُدنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- معَ واحدٍ من المُبَشَّرين بالنار، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إنْ ماتَ على التوحيد. أتدرونَ من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **مانعُ الزكاة.**

• مانعُ الزكاةِ، إما أنهُ تركَها جحوداً لها أو إنكاراً لفرضيتها، فهذا كافرٌ خارجٌ عن ملةِ الإسلام، وإما أنهُ تركَها بُخلاً وشحاً مع إقرارِهِ بفرْضِيَتها، فهذا مرتكبٌ لكبيرةٍ من الكبائر، وهو على خطرٍ عظيمٍ، وهذا يظهرُ من قوله ﷺ في عذابِ مانعِ الزكاةِ في أرضِ المحشرِ أنه يُكوى بمالِهِ حتى يُقضى بين العباد: «**فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْـجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**»[1].

وكلامُنا سيكونُ عن مانعِ الزكاةِ بخلاً وشحاً معَ إقرارِه بفرضيتها، كما هو حالُ كثيرٍ منَ المسلمينَ إلا مَنْ رحم ربي.

• ومانعُ الزكاةِ مجرمٌ في حَقِّ ربِّه، مجرمٌ في حَقِّ نفسِه، مجرمٌ في حقِّ مجتمعِه، مجرمٌ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٨٧).

في حقِّ الفقراءِ والمساكين، ولذلك بَشَّرَهُ اللهُ في كتابهِ، ورسولُ الله ﷺ في سنتِه بالنارِ والعذابِ الأليم.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

وقد فسَّرَ لنا رسولُ الله ﷺ هذه الآية فقال: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**»[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران].

وقد فسرَ لنا رسولُ الله ﷺ هذه الآية فقالَ: «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ -يَعْنِي**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٨٧).

شِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الْآيَةَ»[1].

• وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَانِعُ الزَّكَاةِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ فِي النَّارِ**»[2].

• وعن الأحنفِ بن قيسٍ قالَ: جلستُ إلى ملأٍ من قريشٍ، فجاءِ رجلٌ خَشِنُ الشعرِ والثيابِ والهيئةِ، حتى قامَ عليهم فسَلَّمَ، ثم قال: «**بَشِّرِ الْـكَانِزِينَ بِرَضْفٍ**[3] **يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ**[4] **كَتِفِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيِهِ يَتَزَلْزَلُ**[5]»[6].

وهذا الرجلُ هو أبو ذرٍّ رضي الله عنه، وهذا الذي قالهُ سَمِعَهُ من رسول الله ﷺ.

• عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ الله ﷺ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا، وَفِي يَدِ ابْنَتِهَا مَسْكَتَانِ غَلِيظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهَا «**أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا؟**». قَالَتْ: لاَ. قَالَ: «**أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بِهِمَا يَوْمَ الْـقِيَامَةِ سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ؟**». قَالَ: فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْـقَتْهُمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَتْ: هُمَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ»[7].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٠٣).

(٢) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في «الصغير» (٩٣٥)، [«صحيح الترغيب» (٧٦٢)].

(٣) برَضْفٍ: والرَضْفُ هو الحجارةُ المحمَّاة.

(٤) نُغْض: والنُّغْض هو أعلى الكتف.

(٥) يتزلزل: يضطرب ويتحرك.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٠٧)، ومسلم (٩٩٢).

(٧) **حسن**: رواه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي (٢٤٧٩)، [«صحيح الترغيب» (٧٦٨)].

• وعن عائشة رضي الله عنها زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَرَأَى فِي يَدِي فَتَخاتٌ مِنْ ورِقٍ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟**» فَقُلْتُ: صَنَعْتُهُنَّ أَتَزَيَّنُ لَكَ فِيهِنَّ يَا رَسُولَ الله. فَقَالَ: «**أَتُؤَدِّينَ زَكَاتَهُنَّ؟**» فَقُلْتُ: لَا، أَوْ مَا شَاءَ الله مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «**هِيَ حَسْبُكِ مِنَ النَّارِ**»(1).

• وعن ثوبانَ قال: جَاءَتِ هندُ بْنَتُ هُبَيْرَةَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَفِي يَدِهَا فَتْخٌ من ذهبٍ -أَيْ خَوَاتِيمُ ضِخَامٌ- فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَضْرِبُ يَدَهَا، فَدَخَلَتْ عَلَى فَاطِمَةَ تَشْكُو إِلَيْهَا الَّذِي صَنَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَانْتَزَعَتْ فَاطِمَةُ سِلْسِلَةً فِي عُنُقِهَا مِنْ ذَهَبٍ قَالَتْ: هَذِهِ أَهْدَاهَا إِلَيَّ أَبُو حَسَنٍ فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَالسِّلْسِلَةُ فِي يَدِهَا، فَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ! أَيَغُرُّكِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: ابْنَةُ رَسُولِ الله، وَفِي يَدِكِ سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ؟!**» ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يَقْعُدْ، فَأَرْسَلَتْ فَاطِمَةُ بِالسِّلْسِلَةِ إِلَى السُّوقِ فَبَاعَتْهَا، وَاشْتَرَتْ بِثَمَنِهَا غُلَامًا فَأَعْتَقَتْهُ، فَحُدِّثَ بِذَلِكَ النبيُّ ﷺ فقالَ: «**الْحَمْدُ لله الَّذِي أَنْجى فَاطِمَةَ مِنَ النَّارِ**»(2).

فهذه أدلةٌ من الكتابِ والسنةِ تدلُّ على أنَّ مانعَ الزكاةِ مُبشَّرٌ بالنارِ، وتدلُّ أيضاً على وجوبِ زكاةِ الحُليِّ منَ الذهبِ والفضة إذا بلغَ النصابَ وحالَ عليه الحولُ، سواءٌ كان للزينةِ أو للادخار.

---

(1) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٦٥) واللفظ له، والبيهقي في «الكبرى» (٤/ ١٣٩)، والحاكم (١٤٣٧)، [«صحيح الترغيب» (٧٦٩)].

(2) **صحيح**: رواه النسائي (٥١٤٠)، وأحمد (٥/ ٢٧٩)، والطيالسي (١٠٨٣)،الحاكم (٤٧٢٩)، [«صحيح الترغيب» (٧٧١)].

• وانطلاقاً من قولِه ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[1]. فهذه رسالةٌ نوجِّهها إلى مانعِ الزكاة فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾.

• يا مانعَ الزكاةِ أنتَ مجرمٌ في حقِّ ربِّكَ، لأنك تعَدَّيْتَ حدودَ الله، واللهُ عزَّوجلَّ يقولُ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١].

أنسيتَ يا مانعَ الزكاةِ أنَّ الله أمرَ بالزكاة؟ فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣].

أنسيت يا مانعَ الزكاةِ أنَّ الله فرضَ عليكَ الزكاةَ؟ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾. إلى أن قال ربُّ العزة: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة].

وقال ﷺ لمعاذ بنِ جبل رضي الله عنه حين بعثَهُ إلى اليمن: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله،**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»(١).

• يا مانع الزكاة! أنتَ مجرمٌ في حَقِّ مجتمعك. لأنهُ بسببك وبسببِ أمثالكَ حلَّ الفقرُ بالمجتمع. قال ﷺ: «**مَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا ابْتَلَاهُمُ اللهُ بِالسِّنِينَ**»(٢).

وبسببكَ وبسببِ أمثالِكَ حُرِمَ المجتمعُ القطرَ من السماء. قال ﷺ: «**وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ، إِلَّا حَبَسَ اللهُ عَنْهُمُ الْـقَطْرَ**»(٣).

وقال ﷺ: «**وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْـقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْـبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا**»(٤).

وبسببكَ يا مانعَ الزكاة وبسببِ أمثالِكَ حُرِمتِ الأمةُ النصرَ والتمكينَ في الأرضِ، وحُرِمتِ الرَّحَماتِ من ربِّ الأرضِ والسمواتِ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٥٧٧)، وتمام في «فوائده» (٩٤٠)، [«صحيح الترغيب» (٧٦٣)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه البزار (٤٤٦٣)، والحاكم (٢٥٧٧)، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٤٠)، [«صحيح الترغيب» (٧٦٣)].

(٤) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والبزار (٦١٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٧١)، والحاكم (٨٦٢٣)، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٤٢)، [«صحيح الترغيب» (٧٦٤)].

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٧١].

• يا مانعَ الزكاةِ! أنتَ مجرمٌ في حقِّ نفسك.

أولاً: لأنك حَرَمْتَ نفسَك من التجارة الرابحة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر].

ثانياً: لأنكَ حَرَمْتَ نَفْسَك من زيادةِ مالِك. فالمالُ الذي يُزَكَّى، وينفَقُ منهُ يزيدُهُ اللهُ.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة].

ويقول ربُّ العزة في الحديثِ القدسيِّ: «**يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

ويقولُ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[1].

ويقول ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**»[2].

كيف لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾.

وإخراجُ الزكاةِ من أعظمِ الشكرِ، ومنعُ الزكاةِ من كفرانِ النعم.

ثالثاً: لأنك لم تُطَهِّرْ نفسَك من مرضِ الشُّحِّ والبخل، ولم تُطَهِّرْ مالك. فالله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٦﴾ [التغابن].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١﴾ [الليل].

وقال ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٨).

رابعاً: لأنكَ حرمتَ نفسكَ من الفلاحِ ودخولِ الجنةِ. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾. إلى أن قالَ ربُّ العزةِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون].

• وقال تعالى في وصفِ أهل الجنة: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج]. إلى أن قال ربُّ العزة: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج].

• وقال أعرابيٌّ: يَا رَسُولَ الله! أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْـجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**»(١).

• وعن أبي أمامةَ قال: سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ: «**اتَّقُوا الله رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**»(٢).

• يا مانعَ الزكاة! اتق اللهَ في نفسِكَ، فإنَّ المالَ الذي معك هو مالُ الله. قال تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور:٣٣].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٨٢)، ومسلم (١٣) واللفظ له.

(٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٥١)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٦٤)، والحاكم (١٤٣٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٦٧)].

• يا مانعَ الزكاة! اتق الله في نفسِكَ، واعلمْ أن بُخلَكَ ضررُهُ عليك. قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد].

• يا مانعَ الزكاة! اتقِ الله في نفسِك فقد افْتُتِنْتَ بالمالِ فضيعتَ الصلاةَ، ومنعتَ الزكاةَ. واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].

ورسولُ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**»(١).

ورسولُ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ -أي: من المال- لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»(٢).

• يا مانعَ الزكاة! اتقِ الله فقد عَرَّضْتَ نفسَكَ لِسخَط الله. قال ﷺ: «**إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٥)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٩٥)، وابن حبان (٣٢٢٣)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٥٣)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢١٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٠٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٣٩)].

إِلَيْهِمْ مَلَكًا» فبخل الأبرصُ والأقرعُ وكذبا ولم يبخلِ الأعمى ولم يكذب«**فَقَالَ** -أي المَلَكُ للأعمى-: **أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ**»[1].

• يا مانع الزكاة! اتق اللهَ فقد نزلتَ ببُخلِكَ ومنعِكَ للزكاة إلى أخبثِ المنازلِ. قال ﷺ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ**» وذكر منهم: «**وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْـمَنَازِلِ**»[2].

اللهمَّ طهِّرْ نُفوسَنا مِنَ الشُّحِّ والبُخْلِ وحَبِّبْ إِلَيْنَا الإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِكَ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٦)].

٣٢

المتعدي لحدود الله

أولاً: الذي يعملُ عملَ قومِ لوط

عبادَ الله! يقولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر].

موعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- معَ واحدٍ من المُبَشّرين بالنار، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إنْ ماتَ على التوحيد. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **المتعدي لحدودِ الله**.

• إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى خلقَ الخلقَ، وأوضحَ لهم السبيلَ، وأنارَ لهم الطريقَ، ويَسَّرَ لهم سبيلَ طاعتِه وتوحيدِه ومعرفتِه، وهذه هي الفطرةُ السليمةُ التي فطرَ الله الناسَ عليها.

قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم].

• وحدَّ اللهُ لعبادِهِ حدوداً وحَذَّرَهم أنْ يعتدُوها فقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

• وحذَّر! اللهُ سبحانهُ عبادَهُ من عداوةِ الشيطان، وأخْبَرهم أن الشيطانَ أقسمَ بعزةِ الله! أن يُزينَ لهم في الأرض لِيُغْوِيهم ويُضِلّهم ويَفْتِنَهم، ويجعلهم يتَعدَّوْنَ حدودَ الله، ويقولوا على الله بغير علم، ويحرِّموا ما أحلَّ الله.

فقال تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص:٨٢].

وقال تعالى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر].

وحَذَّرَ اللهُ عبادَهُ من هذا العدو. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف:٢٧].

وبَيَّنَ سبحانه في الحديث القدسيِّ أنَّ الشياطينَ هي التي حَوَّلَتِ الناسَ عن الفطرةِ السليمةِ، والطريقِ المستقيمِ، وجعلتهم يتعدَّونَ حدودَ الله. فقال رَبُّ العزة:

«إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»[1].

• ومن هؤلاء الذين أضلَّهمُ الشيطانُ وَمَسَخَ فطرتَهم، وجعلهم يتعدون حدودَ الله:

أولاً: الذي يعملُ عملَ قومِ لوطٍ

• قومُ لوطٍ؛ قومٌ من أخبثِ الناسِ، ومن أشَدِّهِمُ انحرافاً في العقيدة والسلوك. قال تعالى في وصفهم على لسان نبيِّهم لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف]. -أي: في جمعكم بين الشركِ وبين هذه الفاحشةِ المنكرة-.

وقال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء]. -أي: تجاوزتُم حدودَ الله-.

وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل]. -أي: سفهاءُ لا عقولَ لكم-.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٨-٢٩]. -أي: تقطعونَ الطريقَ؛ فتقتلونَ المارَّةَ وتأخذونَ أموالَهم، وتفعلونَ الفاحشةَ في ناديكم-

• ولقد دَفَعَتْهُمْ هذه الطبائعُ الخبيثةُ، وهذه الفِطَرُ المنتكسَةُ إلى أنْ قالوا لنبيِّهم لوطٍ عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء]. وقالوا أيضاً: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت].

• ولما رأى لوطٌ عليه السلام من قومِه ما رأى، وسمعَ منهم ما سمع، وظنَّ أنهم لا يستجيبون لدعوتِه دعا الله عزَّ وجلَّ أن ينصرَهُ عليهم، وأن يُنْجِيَه وأهلَه من عملهم. قال تعالى عن لوطٍ عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشعراء].

فاستجابَ اللهُ له فنجاهُ وأهلَه، وأهلكَ قومَه. قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود].

ولم يُعرَفْ في التاريخِ البشريِّ أنَّ أُمَّةً عذّبهمُ اللهُ بمثلِ عذابِ قومِ لوط، فقد جمعَ الله عليهم أنواعاً كثيرةً من العذاب؛ ليعتبرَ من أرادَ أن يعتبرَ، ويتعظَ من أراد أن يتعظَ، ويتذكرَ من أراد أن يتذكر.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات].

أمةَ الإسلام! ولقد خافَ رسولُ الله ﷺ على أمتِهِ من عملِ قومِ لوط. فقال ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ**»[1].

وقد وقعَ ما خافهُ النبيُّ ﷺ، وانْتَشَرَتْ هذه الفاحشةُ بين الناسِ إلا مَنْ رحِمَ ربي. ولقد بلغَ الأمرُ ببعضِ البلادِ التي تدينُ بغيرِ الإسلامِ أن تُعْقَدَ عقودُ زواجٍ بينَ رجالٍ ورجال!! ويُعلَنَ ذلك في وكالاتِ الأنباءِ العالمية، بلا خجلٍ ولا استحياء، وتنتشرُ صورُ الزواجِ في الصحفِ عن أولِ زواج يتمُّ بينَ رجلٍ ورجل!!

والأعجبُ والأغربُ من ذلكَ أن بعضَ الدولِ التي تنتسبُ إلى الإسلامِ تعلو فيها اليومَ صيحاتٌ تنادي بما يسمونهُ بـ (حقُّ الجنسِ الثالث) أو ما يسمى: بالزواج المِثْلي.

ورسولُ الله ﷺ يقول: «**لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلاً أَوْ امْرَأَةً فِي الدُّبُرِ**»[2].

(١) **حسن**: رواه الترمذي (١٤٥٧)، وابن ماجه (٢٥٦٣)، وأحمد (٣/ ٣٨٢)، وأبو يعلى (٢١٢٨)، والحاكم (٨٠٥٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٤١٧)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٠٠١)، وأبو يعلى (٢٣٧٨)، وابن حبان (٤٤١٨)، [«صحيح الجامع» (٧٨٠١)].

ويقولُ ﷺ: «**مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْـفَاعِلَ وَالْـمَفْعُولَ بِهِ**»[1].

ويقول ﷺ: «**مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ**»[2].

بل قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، ولَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، ولَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ**»[3].

الذي يعملُ عمل قوم لوطٍ مجرمٌ في حَقِّ نفسِه، ومجرمٌ في حقِّ زوجته ومجرمٌ في حقِّ مجتمعه.

أما إجرامُهُ في حقِّ نفسهِ:

١- عَرَّضَ نفسَهُ للعنةِ اللهِ (لعن اللهُ من عَمِلَ عملَ قوم لوط).

٢- عَرَّضَ نفسهُ للإصابةِ بالأمراض الخطيرة، كمرض الإيدز.

قال ﷺ: «**لَمْ تَظْهَرِ الْـفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ؛ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا؛ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا...**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٥٦١)، وأبو داود (٤٤٦٢)، وأحمد (١/ ٣٠٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٢٢)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٣٢)، [«صحيح الجامع» (٥٨٩١)].

(٣) **حسن صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٧٢٩٧)، وأحمد (١/ ٣٠٩)، وابن حبان (٤٤١٧)، والطبراني في «الكبير» (١١٥٤٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٤٦٢)].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٧١)، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٤٢)، [«صحيح الترغيب» (١٧٦١)].

٣- أنهُ تنازلَ عن رجولتِهِ ليصبحَ مُخنَّثاً. قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْـمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ**»[١].

٤- عَرَّضَ نفسَهُ لإقامةِ الحدِّ عليه. قال ﷺ: «**فَاقْتُلُوا الْـفَاعِلَ وَالْـمَفْعُولَ بِهِ**»[٢].

أما إجرامُهُ في حقِّ زوجته:

١- لأنهُ بفعلِهِ لفاحشةِ اللواطِ مع الرجالِ ينصرفُ عن زوجتِهِ، فَيُقَصِّرُ في حقِّها من الإحصانِ، فيدفعُها بذلك إلى فاحشةِ الزنا أو غيرها. وكمْ مِن امرأةٍ اضْطَّرَها زوجُها إلى الزنا لانصرافِهِ عنها بتلكَ الفاحشةِ مع وفورِ جمالِها وكمالِها[٣].

٢- لأنهُ بفعلِهِ لفاحشةِ اللواطِ استغنى الرجالُ بالرجالِ، والنساءُ بالنساءِ. سأل عليُّ بنُ جعفرٍ محمدَ بنَ عليٍّ: عَذّبَ اللهُ نساءَ قومِ لوطٍ بعملِ رجالِها؟ قال: اللهُ أعدَلُ من ذلك! استغنى النساءُ بالنساءِ، والرجالُ بالرجال[٤].

٣- لأنه قد تدفعُه هذه الفاحشةُ إلى أن يأتيَ زوجتَه في دُبُرها، فَيُعَرِّضُ نفسَهُ لغضب الله وسَخَطِهِ.

- قال ﷺ: «**هِيَ اللُّوطِيَّةُ الصُّغْرَى يَعْنِي الرَّجُلَ يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا**»[٥].

---

(١) **صحيح**: رواه عبد الرزاق (٢٦٤٨٩)، وتمام في «فوائده» (١٢٠٩)، [«صحيح الجامع» (٥١٠٣)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٥٦١)، وأبو داود (٤٤٦٢)، وأحمد (١/ ٣٠٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٢٢)].

(٣) انظر: «تيسير اللطيف المنان» الشيخ السعدي (ص١٧١).

(٤) «تفسير المنار» (٨/ ٥٢٢).

(٥) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ١٨٢) واللفظ له، والطبراني في «الأوسط» (٥٣٣٤)، وفي «مسند الشاميين» (٢٧٣٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٢٥)].

• وقال ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا»[1].

• وقال ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا»[2].

• وقال ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، أَوْ أَتَى حَائِضًا أَوْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[3].

• وقال ﷺ: «إِتْيَانُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ حَرَامٌ»[4].

• وقال ﷺ: «إِنَّ الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ»[5].

أما إجرامُهُ في حقِّ مجتمعِه:

١- لأنه إذا استغنى الرجالُ بالرجالِ، والنساءُ بالنساءِ انقطعَ النسلُ، وإذا انقطعَ النسلُ ضاعَ المجتمعُ وخسرتِ الأمةِ.

٢- لأنه إذا انتشَرتْ فاحشةُ اللواطِ في المجتمع كثرت فيه الأمراضُ، والأمراض دمارٌ على المجتمعات.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٥٢)، وأبو يعلى (٢٣٧٨) واللفظ له، وابن حبان (٤٤١٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٢٤)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٢١٦٢) بلفظ: امرأته، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٦٦)، و أحمد (٢/ ٤٧٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٣٢)].

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٦٣٩) وأحمد (٢/ ٤٠٨)، والدارمي (١١٧٦)، ورواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥) كلاهما بلفظ مقارب، [«صحيح الترغيب» (٢٤٣٣)].

(٤) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٨٩٤٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٧٣)].

(٥) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٩٠١٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٩٩١) واللفظ له، [«صحيح الجامع» (١٦٩١)].

٣- لأنه إذا انتشرَتْ فاحشةُ اللواطِ في المجتمع حَلَّ بهم عذابُ الله، ولذلك أنكرَ لوطٌ عليه السلام على قومه ارتكابَهم لفاحشةِ اللواطِ معَ كفرهم، مما يبينُ أنه يجبُ على الدعاةِ وهم يدعونَ الكفارَ إلى الإسلامِ أن يُنكروا عليهمُ الفواحشَ التي تضرُّ بالمجتمعِ كفاحشةِ اللواط والزنا.

فاللهُ عزَّ وجلَّ أهلكَ قومَ لوطٍ بكفرِهم وفعلِهم لهذه الفاحشةِ، فالفواحشُ إذا انتشرتْ في مجتمعٍ نزلَ به الهلاكُ والعقابُ منَ الله.

قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام:٦]. وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقال ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ الله**»[1].

ولذلك حَرَّم اللهُ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطن. فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

فالذي يتعدى حدودَ الله بعملِ قومِ لوطٍ -أي: يقترفُ فاحشةَ اللواط- مجرمٌ في حقِّ نفسه، وفي حقِّ زوجتِهِ، وفي حقِّ مجتمعِهِ، ومتعدٍّ لحدودِ الله، ولذلك بُشِّرَ بالنّارِ.

أعاذنَا اللهُ وإيَّاكُمْ مِن الفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْها ومَا بطَن

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (٤٦٠)، والحاكم (٢٢٦١)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٤٣)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥٩)].

٣٣

المتعدي لحدود الله

ثانياً: المحلِّلُ والمحلَّلُ له

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع واحدٍ من المُبَشَّرين بالنار، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إذا مات على التوحيد. أتدرون من هو يا عباد الله؟! إنّه أيضاً: **المتعدي لحدود الله**.

• إن الله عزَّ وجلَّ خلقَ الخلق لعبادته. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]. وحدَّ لهم حدوداً، وبينها لهم أحسنَ بيانٍ قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة].

وحذَّرهم منْ أن يَقْربوها أو يتعَدَّوْها. قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة:٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ

جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

• ومن هؤلاء الذين تَعَدَّوا حدودَ اللهِ، وبشَّرهمُ اللهُ بالنارِ: **المحلِّلُ والمحَلَّلُ له.**

المحَلِّلُ: هو الذي يتزوجُ المطلَّقة ثلاثاً لتَحِلَّ لمطَلِّقِها.

المحلَّلُ له: هو الذي طلَّقَ امرأتَه ثلاثاً، فبانَتْ منه بَينونةً كبرى، فلا تحِلُّ له من بعدُ حتى تنكحَ زوجاً غيرَه، فيستعينُ بالمحَلِّل الذي يعقدُ على امرأتِهِ، ويخلو بها دون أنْ يطَأَها حتى يُحَلِّلَها، أو يَطَأَها لوقتٍ، فتصيرَ كنكاح المتعةِ، ونكاحُ المتعةِ هو أحدُ الأنكحةِ الباطلةِ التي نهى الشارعُ الحكيمُ عنها.

الإسلامُ دينٌ عظيمٌ، ما تركَ خيراً يُقَرِّبُنا من رضى الله والجنةِ إلا أَمَرَنا به، وحَثَّنا عليه، ومنَ الأمورِ التي أمرَ بها الإسلامُ وحَثَّ عليها: الزواجُ.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

وقال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ منكمُ الْـبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[1].

وقال ﷺ: «تَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، وَلَا تَكُونُوا كَرَهْبَانِيَّةِ النَّصَارَى»[2].

وقال ﷺ: «إِذَا تَزَوَّجَ الْـعَبْدُ فَقَدْ كَمُلَ نِصْفُ الدِّينِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي النِّصْفِ الْـبَاقِي»[3].

• فبالزواجِ تتكونُ الأسرةُ المسلمةُ، والأسرةُ هي اللَّبِنَةُ الأولى في المجتمع إذا صَلَحَتْ صَلَحَ المجتمعُ كُلُّه، وإذا فسدت فسَدَ المجتمعُ كلُّه، ولذا فقد أوْلى الإسلامُ الأسرةَ عنايةً كبيرةً، وفرض لها من الحقوقِ والواجباتِ ما يكْفُلُ استقرارها وسعادتها، واعتبر الأسرة مؤسسةً تقومُ على شركةٍ بين اثنين، المسؤولُ الأولُ فيها هو الرجلُ فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء:٣٤]. وقال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة:٢٢٨].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠) واللفظ له .

(٢) **حسن**: رواه الروياني في «مسنده» (١١٨٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٧٨)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٨٢)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٤)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٠٠) واللفظ له، [«صحيح الترغيب» (١٩١٦)].

• وحرصاً من الإسلام على بقاء هذه الأسرةِ واستقرارِها وسعادتِها، واستمرارِ المودةِ والرحمةِ بينَ الزوجينِ فقد أمرَ بما يلي:

أولاً: أمرَ الإسلامُ الرجلَ أن يختارَ صاحبةَ الدين، وأمرَ وليَّ الفتاةِ أن يختارَ لها صاحبَ الدين

قال ﷺ: «**تُنْكَحُ الـمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[1].

وقال ﷺ: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»[2].

فإذا التقى صاحبُ الدينِ بصاحبةِ الدينِ تكونتِ الأسرةُ على أساسٍ سليمٍ متين، وبمِثل هذه الأسرةِ يتكونُ المجتمعُ المسلمُ الذي يُريدُهُ الإسلامُ.

ثانياً: أمرَ الإسلامُ كُلاًّ من الزوجين أن يؤديَ ما عليه من الحقوق للآخر.

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وقال ﷺ: «**إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٦٦).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (١٠٨٤) بلفظ قريب، وابن ماجه (١٩٦٧)، والحاكم (٢٦٩٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٢٢)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (١١٦٣)، و ابن ماجه (١٨٥١)، [«صحيح الترغيب» (١٩٣٠)].

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِامْرَأَتِي كَمَا أُحِبُّ امْرَأَتِي أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي)[1].

• وحقُّ الزوجِ على زوجتهِ عظيمٌ جداً، يظهرُ ذلك من الأدلةِ التاليةِ:

قال ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْـمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»[2].

وقال ﷺ: «**إِذَا صَلَّتِ الْـمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْـجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْـجَنَّةِ شِئْتِ**»[3].

فتأملي أيتُها الزوجةُ المسلمةُ كيفَ جعلَ النبيُّ ﷺ طاعةَ الزوجِ من موجباتِ دخولِ الجنةِ، كالصلاةِ والصيامِ، فالزمي طاعته، واجتنبي معصيتَه، فإنَّ في معصيته غضبَ الربِّ سبحانه وتعالى.

قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا**»[4].

فالواجبُ عليكِ أيتها المسلمة أن تديني لزوجِكِ بالسمعِ والطاعةِ في كلِّ ما يأمُرُكِ به مما لا يخالفُ الشرعَ، واحْذري كُلَّ الحَذرِ من الإفراطِ في الطاعةِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٣٠١).

(٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (١١٥٩)، وابن حبان (٤١٦٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٤٧٥)، [«صحيح الترغيب» (١٩٤٠)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (١/ ١٩١)، والطبراني في «الأوسط» (٨٨٠٥)، [«صحيح الترغيب» (١٩٣٢)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٣٦).

حتى تطيعيه في المعصيةِ، فإنك إن فعلتِ كنتِ آثمة، لأنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

• وكما أنّ للزوجِ على الزوجةِ حقوقاً؛ فإنَّ للزوجةِ على الزوجِ حقوقاً أيضاً، يظهرُ ذلك من الأدلةِ التالية:

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وقال ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»[1].

وعن حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَا حَقُّ الْـمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ: «**أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبُ الْـوَجْهَ، وَلَا يُقَبِّحُ، وَلَا يَهْجُرُ إِلَّا فِي الْـبَيْتِ**»[2].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٥٨)، ومسلم (١٤٦٨) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٨٥٠)، والحاكم (٢٧٦٤)، وابن حبان (٤١٧٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٩٥)، [«صحيح الجامع» (٣١٤٩)].

ثالثاً: وحرصاً من الإسلامِ على سلامةِ الأسرةِ وبقائها وعدم تفكُّكِها فقد وضعَ العلاج لكلٍّ من الزوجين إذا وقع بينهما النشوز

فقد أرشدَ الله عزَّ وجلَّ الرجالَ إلى طرقِ علاجِ نشوزِ النساءِ، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء].

الإجراءُ الأولُ: الموعظةُ ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ -أي: يُذَكِّرُها بالله، ويُخوفُها من الله-

الإجراءُ الثاني: الهجرُ في المضاجع ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾.

الإجراءُ الثالث: الضربُ غيرُ المبرِّح ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾.

فقد أمرَ اللهُ تعالى في الآية بمراعاةِ الترتيب في تأديبِ المرأةِ، فإنْ خيفَ منها النشوزُ فَلْيَعِظْهَا، ولْيُخَوِّفْها الله وعقابَه، فإن أصرت هَجَرَها في المضجعِ، فإنْ أصرت ضربَها ضربًا غيرَ مُبرِّح، فإنْ أطاعت لم يَجُزْ له ضربُها.

قَالَ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: (يَعِظُهَا بِلِسَانِهِ، فَإِنِ انْتَهَتْ فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهَا، فَإِنْ أَبَتْ هَجَرَ مَضْجَعَهَا، فَإِنْ أَبَتْ ضَرَبَهَا، فَإِنْ لَمْ تَتَّعِظْ بِالضَّرْبِ بَعَثَ الْـحَكَمَيْنِ)[1].

• وقد أُبيحت هذه الإجراءاتُ لمعالجةِ أعراضِ النشوزِ قبل استفحالها

(١) «تفسير الرازي» (١٠/ ٧٢).

وأحيطتْ بالتحذير من سوءِ استعمالِها، وتولى الرسولُ ﷺ بفعلِه وقولِه علاجَ الغُلوِّ في استعمالِ هذه الإجراءاتِ.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ)[1].

وسألَ رجلٌ النبيَّ ﷺ فقالَ: مَا حَقُّ الْـمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ: «**أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبَ الْـوَجْهَ، وَلَا يُقَبِّحَ، وَلَا يَهْجُرَ إِلَّا فِي الْـبَيْتِ**»[2].

• والغايةُ من هذه الإجراءاتِ -الوعظُ والهجرُ والضربُ- هي حملُ المرأةِ على الطاعةِ والاستجابةِ، علماً بأنَّ المضيَّ في هذهِ الإجراءاتِ بعد تحقيق الطاعة بغيٌ وتحكمٌ وظلمٌ، ولذلك ختمَ اللهُ تعالى الآية بقوله: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء].

• وكما أرشدَ اللهُ تعالى الرجالَ إلى طرقِ علاجِ نشوزِ النساءِ، فقد أرشدَ النساءَ إلى طرقِ علاجِ نشوزِ الرجالِ:

قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٨٥٠)، وابن حبان (٤١٧٥)، والحاكم (٢٧٦٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٩٥)، [«صحيح الجامع» (٣١٤٩)].

فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء].

فإذا خشيت المرأةُ أن تصبحَ مهجورةً مَجْفُوَّةً عندَ زوجها، وأن تؤدي هذه الجفوةُ وهذا الهجرُ إلى الطلاقِ، وإلى الإعراضِ الذي يتركُها كالمعلَّقةِ، لا هي زوجةٌ ولا هي مطلقةٌ، فلا حرج عليها أن تتنازلَ عن بعض حقوقِها بكامل اختيارِها، وهذا هو الصلحُ الذي قال اللهُ تعالى فيه ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. أي خيرٌ من الشقاقِ والجفوةِ والنشوزِ والطلاقِ.

وهذا ما فَعَلتهُ زوجُ النبيِّ ﷺ سودةُ بنتُ زمعةَ رضي الله عنها حين أَسَنَّتْ وخافت أن يُفارِقها رسولُ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله يومي لعائشةَ؛ فقبل ذلك رسولُ الله ﷺ منها، وفي ذلك أنزلَ اللهُ تعالى فيها وفي أشباهِها قوله: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا ....﴾. الآية.

• فإن لم تنجحْ كُلُّ هذه الإجراءاتِ في علاجِ ما بينَ الزوجين وقبل أن يقعَ الشقاقُ المؤدي إلى انهيارِ الأسرةِ، فلا بدَّ من اللجوءِ إلى الحكمين كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء].

رابعاً: فإذا لم تنجحْ كُلُّ طرقِ العلاجِ السابقةِ فلا بدَّ من اللجوءِ إلى العلاجِ الأقوى والأخير؛ ألا وهو الطلاق

والمتأملُ في أحكامِ الطلاقِ يتأكدُ له مدى حرصِ الإسلام على مؤسسةِ البيتِ،

ورغبتهِ في بقاء الشركةِ بينَ الزوجين، ذلكَ أنَّ الإسلامَ حين أباحَ الطلاقَ لم يأذنْ في إيقاعِهِ في أيِّ وقتٍ بل أمرَ بإيقاعه في حال طُهرِ المرأةِ طهراً لم يَمَسَّها فيه، ومعنى ذلك أنَّ الرجلَ إذا عزمَ على الطلاق في أيِّ لحظةٍ لا بدَّ أن يعرفَ هل المرأةُ حائضٌ أم طاهرٌ؟ وإذا كانت طاهراً فهل باشرَها في هذا الطهر أم لا؟ وهذا كُلُّه إبعادٌ له عن الطلاق، وحَثٌّ على التروي والتأني في أخذ القرار حتى لا يندمَ بعد ذلك، لأنَّ المرأة إما طاهرٌ أو حائضٌ، وفي الطُّهرِ لا يخلو من مَسَاسٍ، فعليه أنْ ينتظرَ حتى تحيضَ ثم تطهرَ ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق].

فإذا عزَمَ على الطلاقِ في الوقتِ الذي أذِنَ له فيه، فإنَّ الإسلامَ لم يأْذنْ له في بتِّ العلاقةِ الزوجيةِ مرةً واحدةً، وإنما قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة:٢٢٩]. أي الطلاقُ الذي يملك الرجلُ بعده الرجعةَ مرتان ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الثالثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٠].

• والناظرُ في أدلةِ الطلاقِ من الكتابِ والسنةِ يتبينُ لهُ أنَّ الطلاقَ ينقسمُ إلى أقسامٍ منها:

أولاً: من حيثُ اللفظُ

ينقسمُ الطلاقُ من حيثُ اللفظُ إلى صريحٍ وكنايةٍ:

أما الصريحُ: فهو الذي يتبادرُ إلى الفَهمِ من ظاهر اللفظِ ولا يَحتملُ غيرَه، مثل: أنتِ طالقٌ، وهذا يقعُ به الطلاقُ هازلاً كانَ أو لاعباً.

عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ، وَالطَّلَاقُ، وَالرَّجْعَةُ**»[1].

والكنايةُ: ما يحتملُ الطلاق وغيرَه، مثلُ إلحقي بأهلِك ونحوه، وهذا لا يقعُ به الطلاقُ إلا بالنيةِ، فإنْ نوى طلاقًا وقعَ، وإنْ لم ينو لم يقع.

ثانياً: من حيثُ التعليقُ والتنجيزُ، وهو أيضاً قسمان: مُنْجَزٌ ومُعلَّق.

فالمُنجزُ: هو الذي قصدَ به من أصدَرَه وقوعَ الطلاقِ في الحالِ: كأن يقولَ الزوجُ لزوجته: أنتِ طالق. وحكمُ هذا الطلاقِ أنه يقعُ في الحالِ، متى صدرَ من أهله، وصادفَ محَلاً له.

وأما المعلَّقُ: فهو ما جَعلَ الزوجُ فيه حصولَ الطلاقِ معلقاً على شرطٍ، مثلُ: أن يقولَ لزوجته: إن ذهبتِ إلى مكانِ كذا فأنتِ طالقٌ، وإن لم تفعلي كذا فأنتِ طالقٌ، ونحوُ ذلك من الألفاظِ. وحكمُ هذا الطلاقِ أنه إنْ نوى الطلاقَ وأرادَهُ وقصدَ وقُوعَه إنْ خَالَفَتْه فقد وقعَ الطلاقُ، وإن كان يريدُ حملَها على الفعلِ أو التركِ ولا ينوي الطلاقَ ولا يريدُه، بل يكرَهُه كما يكرَهُ الكفرَ بعد الإيمان، وكما يكرَهُ أن يُقذَفَ في النارِ، فإنْ خالفتْه لم يقعِ الطلاقُ وعليه كفارةُ يمين.

ثالثاً: من حيثُ السنةُ والبدعةُ: وهو أيضاً قسمان: سُنِّيٌّ وبِدْعِيٌّ.

فالطلاقُ السُّنيُّ: أن يُطلِّق الرجلُ امرأتَه طلقةً واحدةً في طُهْرٍ لم يمسَّها فيه.

(١) **حسن**: رواه الترمذي (١١٨٤)، وابن ماجه (٢٠٣٩)، [«صحيح الجامع» (٣٠٢٧)].

وأما الطلاقُ البدعيُّ: فهو المخالفُ للمشروع، كأنْ يُطلِّقَها وهي حائضٌ، أو في طُهْرٍ جامَعها فيه، أو أنْ يجمعَ الطَّلْقَاتِ الثلاثَ بلفظٍ واحدٍ أو في مجلسٍ واحد. كأن يقول: أنتِ طالقٌ ثلاثاً، أو أنتِ طالقٌ، أنتِ طالقٌ، أنتِ طالقٌ، وهذا الطلاقُ حرامٌ، وفاعلُه آثم. إنْ كانَ عالماً بحرمته. فإن طلَّقها وهي حائضٌ فقد وقعت طلقةٌ، وإن كانتْ رجعيةً فهو مأمورٌ شرعاً أن يُراجِعَها ثم يُمْسِكها حتى تطهرَ، ثم تحيضَ ثم تطهرَ، ثم إنْ شاءَ أمسكَ بعدَ ذلك وإن شاء طلق قبل المساسِ كما أمرَ النبيُّ ﷺ ابنَ عمر. وأما إن طلقَها ثلاثاً بلفظٍ واحدٍ أو في مجلسٍ واحدٍ، فإنما هي طلقةٌ واحدةٌ.

رابعاً: من حيثُ الرَّجعةُ وعَدَمُها: وهو قسمان: رجعيٌّ وبائنٌ:

فالرجعيُّ: هو طلاقُ المدخولِ بها للمرةِ الأولى أو الثانيةِ، والمطلقةُ طلاقاً رجعياً هي زوجةٌ ما دامت في عِدَّتِها، لها السُّكنى والنفقة، ولزوجها حقُّ مراجعتِها في أيِّ وقتٍ شاءَ ما دامت في عِدتها، ولا يُشترطُ رضاها ولا إذنُ وليِّها لقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ [البقرة:٢٢٨].

والطلاقُ البائنُ قسمان: البائنُ بينونةً صُغرى، والبائنُ بينونةً كبرى:

فالبينونةُ الصغرى: هي المطلقةُ قبلَ الدخولِ، والمطلقةُ بعدَ الدخولِ طلاقاً رجعياً إذا لم يراجِعْها زوجُها أثناءَ العدةِ. فالمطلقةُ قبلَ الدخولِ لا عِدَّةَ عليها ولذا تَبِينُ من زوجها بينونةً صُغرى بمجردِ إيقاعِ الطلاق.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب].

والمطلقةُ بعدَ الدخولِ إذا انقضتْ عدَّتُها بانتْ من زوجها بينونةً صغرى، ومعنى البينونةِ الصُغرى أنَّ المرأةَ البائنَ أحقُّ بنفسِها منْ زوجها، فإذا أرادَ زوجُها أن يَخْطِبَها فهو كغيرِهِ منَ الخُطَّاب، إن وافقتْ عليه فلابدَّ من المهرِ والعقدِ، وإن لم تُوافِقْ عليه فلها ذلك.

والبينونةُ الكبرى: هي المطلقةُ للمرةِ الثالثةِ، فلا تجوزُ مراجعَتُها أثناءَ العِدَّةِ ولا بعدَها حتى تنكِحَ زوجاً غيره كما قال سبحانه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٠].

والمرادُ بهذا النكاحِ النكاحُ الشرعيُّ الذي ينكِحُ من أجلِه الناسُ، فإن نُكحت المطلقةُ ثلاثاً ثم ماتَ زوجُها، أو لم تستقرَّ حياتُها فطلَّقها جازَ لمطلِّقِها الأولِ أنْ ينكحَها بعد انقضاءِ عِدَّتِها بمهرٍ وعقدٍ جديدين.

ولا بُدَّ في النكاحِ الثاني من المباشرةِ، فإنْ نُكحَتْ المطلقةُ ثلاثاً نكاحاً شرعياً يُرادُ به الدَّوامُ والثباتُ وحالَ بينها وبين زوجِها حائِلٌ ومنعه مانعٌ أن يُفضى إليها وتُفضي إليه فَطُلِّقت لم تَحِلَّ بهذا النكاحِ لمطلِّقِها الأول.

• عن عائشة قالت: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن رجلٍ طلَّقَ امرأتَهُ فتزوجت زوجاً غيرَهُ فدخل بها ثم طلقها قبل أن يُواقِعَها أتحلُّ للأولِ؟!

فقال رسولُ الله ﷺ: «**لَا حَتَّى يَذُوقَ الْآخَرُ عُسَيْلَتَهَا، وَتَذُوقَ عُسَيْلَتَهُ**»[1].

• وعن عليٍّ قالَ: لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ الْـمُحَلِّلَ، وَالْـمُحَلَّلَ لَهُ[2].

• وعن عقبةَ بنِ عامرٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْـمُسْتَعَارِ**»، قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «**هُوَ الْـمُحَلِّلُ، لَعَنَ اللهُ الْـمُحَلِّلَ، وَالْـمُحَلَّلَ لَهُ**»[3].

فإن أرادَ رجلٌ أن يفعلَ خيراً بالمطلقةِ ثلاثاً ومُطلِّقِها وأولادِها فعزَم على نكاحِها وطلاقِها وأسَرَّها في نفسِه ولم يُبدِها لغيرِه فإنَّ هذا النكاحَ أيضاً باطلٌ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ نَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَمَّنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فَتَزَوَّجَهَا أَخٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ مُؤَامَرَةٍ مِنْهُ لِيُحِلَّهَا لِأَخِيهِ، هَلْ تَحِلُّ لِلْأَوَّلِ؟ قَالَ: لَا إِلَّا نِكَاحَ رَغْبَةٍ، كُنَّا نَعُدُّ هَذَا سِفَاحًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ)[4].

• أيها المُحَلِّلُ! أيها التيسُ المستعارُ من حظيرةِ أهلِ الفسقِ والمجونِ! أجبْ على هذه الأسئلةِ لتعلمَ أنك تَعَدَّيتَ حدودَ الله.

• هل زواجُكَ هذا يدخلُ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٦١)، ومسلم (١٤٣٣) واللفظ للنسائي.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٠٧٦)، وابن ماجه (١٩٣٥)، [«صحيح الجامع» (٥١٠١)].

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٩٦٣)، والروياني (٢٢٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٩٩/ ٨٢٥)، [«صحيح الجامع» (٢٥٩٦)].

(٤) **صحيح**: رواه الحاكم (٢٨٠٦)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٠٨)، [«الإرواء» (١٨٩٨)].

أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم]. أم هلْ يدخلُ في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء].

• هل يفرحُ الناسُ والأقاربُ بزواجك هذا كما يفرحُ أهلُ الزوجين؟

• هل يُعلَنُ زواجُكَ هذا ويُضْرَبُ له بالدُّفِّ كما يُفعَلُ بالزواجِ المشروعِ؟

• هل يُقالُ لكَ عندَ الزواجِ وبعدَ الزواج: بارك اللهُ لك، وبارك عليك، وجمعَ بينكما في خير، أم تلعنُكَ القلوبُ والألسنةُ؟

• هل سمعتَ أنَّ صحابياً واحداً فعلَ فعلتك؟

• هل سمعتَ أيها التيسُ المستعارُ -أنت ومن استعارك- أنَّ نكاحَ المُحلِّلِ لم يُبَحْ في ملةٍ من المللِ قَطُّ؟

أظنُّ أيها التيسُ المستعار -أنتَ ومن استعارَك- أنكما عَرَّضْتُما أنفسَكما لغضبِ الله ولعنةِ الله. كيف لا؟ وابنُ مسعود رضي الله عنه يقول: (لَعَنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ لَهُ)[1].

(١) **صحيح**: رواه الدارمي (٢٢٥٨)، [«المشكاة» (٣٢٩٦)].

٣٤

آكل أموالِ الناسِ بالباطل

أولاً: الراشي والمرتشي

عبادَ الله! يقولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ [الكهف].

ويقولُ سبحانه: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤﴾ [الرحمن].

موعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع واحدٍ من المبشّرين بالنارِ، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إنْ ماتَ على التوحيد. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **آكل أموالِ الناسِ بالباطلِ**.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ [النساء].

والذين يأكلونَ أموالَ الناسِ بالباطلِ كثيرون، ولكنَّ كلامَنا في هذا اليومِ فقط سيكونُ عن: **الراشي والمرتشي**.

والراشي: هو الذي يدفعُ مبلغاً من المالِ، أو يُقدِّمُ هديةً أو مكافأةً أو إكراميةً للموظفِ المسؤولِ.

والمرتشي: هو الموظفُ الذي يأخذُ المالَ أو الهديةَ أو الإكرامية، سواءٌ أخذَها مباشرةً، أو وُضعَتْ له في داخلِ المعاملة، أو بواسطةِ شخصٍ ثالث.

والرِّشوة: هي كُلّ ما أخذه المرتشي من الراشي سواءٌ كان قليلاً أو كثيراً.

لماذا بُشِّرَ الراشي والمرتشي بالنار؟

أولاً: لأنهما أجرما في حقِّ اللهِ

وذلك لأنهما تعَدَّيا حدودَ الله والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

ثانياً: لأنهما أجرما في حقِّ الأمةِ الإسلامية

وذلك باعتدائهما على الأموالِ العامة والخاصة بالرشوةِ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة].

إنَّ الأمةَ المسلمةَ أمةٌ واحدةٌ ذاتُ جسدٍ واحدٍ كما قال ﷺ: «**مَثَلُ الْـمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْـجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْـجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْـحُمَّى**»[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

لا ينفكُّ الفردُ عن أمتِه، ولا تستغني الأمةُ عن فردٍ من أفرادها؛ فمصلحةُ الفردِ هي مصلحةُ الأمةِ، ومصلحةُ الأمة هي مصلحةُ كُلِّ فردٍ، فلا يقدحُ الفردُ في أمتِه، لأنَّ هذا القدحَ قدحٌ في ذاته، ولذلك قال ﷺ: «**مَنْ قَالَ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**»[1].

ولا تقدحُ الأمةُ فرداً من أفرادها لأنَّ هذا القدحَ يضرُّها هي، وتتجلى هذه الوحدةُ بينَ الأمةِ وأفرادِها.

• في مثل قولِه تعالى: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ**﴾ [النور:٦١].

والداخلُ إنما يُسلِّمُ على أهلِ البيتِ، ولكنَّ الله تعالى قال: ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ**﴾. لأنَّ الداخلَ وأهلَ البيتِ من نفسٍ واحدةٍ، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [الأعراف:١٨٩].

ومن أمةٍ واحدةٍ فهم وحدةٌ واحدةٌ، فإذا سلَّمَ الداخلُ عليهم فكأنَّه سلَّم على نفسه.

• وقولُه تعالى: ﴿**وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ [الحجرات:١١]. أي: لا تعيبوها وتذمُّوها.

والإنسانُ لا يعيبُ نفسَهُ، ولكنَّهُ إذا عابَ أيَّ فردٍ من أفرادِ أمتِه فقد عابَ نفسَهُ، لأنهُ والمعيبَ جزءٌ من أمةٍ واحدة، يعيبُ كُلَّ فردٍ فيها ما يَعيبُ فرداً منها.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٣).

• وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩]. وقتلُ الإنسانِ نفسَهُ نادرُ الوقوعِ، ولكنَّ المرادَ النهيُ عن قتلِ النفسِ التي حرَّمَ اللهُ قتلَها، ولكنَّه سبحانه عبَّر عنها بالنفسِ لأنَّ النفسَ المقتولةَ أختُ القاتلِ هي وهو سواءٌ، فيجبُ أنْ يُحافِظَ عليها ويحترمَ حُرْمَتَها كما يحافظُ على نفسِهِ ويصونُها.

من أجلِ ذلكَ جاءَ النهيُ في الآيةِ الكريمةِ عن الاعتداءِ على أموال الناسِ بلفظ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨]. لأنَّ كُلَّ مالِ فردٍ في الأمةِ له حُرمةٌ، فيجبُ أن يُصانَ ويُحترمَ ولا يُعتدى عليه، لأنَّ مالَ الأفرادِ هو مالُ الأمةِ، تتحقَّقُ به المصالحُ العامةُ، فهو كالمالِ العامِّ للأمةِ تماماً، ومن الخطأ الاعتداءُ على المالِ العامِّ بالنهبِ والسلبِ والاختلاسِ بحجةِ أنهُ مالٌ لا صاحبَ له، فهذا فهمٌ خاطئٌ مَرَدُّهُ إلى الجهلِ بالحقيقةِ والواقعِ، فالمالُ العامُّ ملكُ الأمةِ كُلِّها، ومُلكُ كُلِّ فردٍ فيها، فيجبُ على مَن وُكِلَ إليه المالُ العامُّ أن يكون أميناً عليه وأن يرعاهُ ويصونهُ، فإنْ ضيَّعَهُ فقد خانَ الأمانةَ، واللهُ سائلهُ عما استرعاهُ يومَ القيامة، والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ**[1] **فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

فلا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، والباطلُ ضِدُّ الحقِّ، فمن أكلَ مالَ الغيرِ بغير حقٍّ فقد أكلَ الباطلَ. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩].

---

(١) **يتخوصون**: أي يتصرفون في مال الله بما لا يرضي الله.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣١١٨).

وقد توعَّدَ اللهُ عزَّ وجلَّ مَنْ أكلَ أموالَ الناسِ بالباطلِ بالنارِ والعذاب الأليم. قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء].

• ولما نهى اللهُ تعالى عبادَه المؤمنين عن أكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ نهياً عاماً خصَّ بعد ذلك الرِّشوةَ بالنهيِ تنبيهاً على شدةِ خطرِها، وعظيمِ ضررها على الأمةِ الإسلامية. فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة].

والمعنى: لا تُلْقوا ببعضِ الأموالِ إلى حُكَّامِ السوءِ كالقاضي المرتشي، والضابط المرتشي، والموظفِ المرتشي على وجه الرِّشوةِ ليعينوكم على أكلِ أموالِ الناسِ بالباطل.

فالرِّشوةُ إذا انتشرت في الأمة:

حلَّ فيها الغِشُّ محلَّ النُصح، والخيانةُ محلَّ الأمانةِ، والخوفُ محلَّ الأمنِ، والظلمُ محلَّ العدلِ. فكم ضيَّعتِ الرِّشوةُ من حقوقٍ؟! وكم أهدَرَتْ من كرامةٍ؟! وكم من لئيم وضيعٍ رَفَعَتْهُ الرِّشوة؟! وكم من كريمٍ رفيعِ المكانةِ أهانَتهُ الرِّشوة؟! فهي داءٌ وبيلٌ، ومرضٌ خطيرٌ إذا انتشر في الأمة دَمَّرها وأهلكَها، فالرِّشوةُ جريمةٌ في حقِّ الأمة[1].

---

(١) انظر كتاب: «دين الفطرة» لشيخنا فضيلة الشيخ: عبدالعظيم بن بدوي -حفظه الله- بشيء من الاختصار والتصرف.

ثالثاً: لأنهما أجرما في حقِّ أنفسهما

وذلك لأنهما عَرَّضا أنفسَهما للعنةِ الله. قال ﷺ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْـمُرْتَشِي**»[1]. وعَرَّضا أنفسَهما لعذابِ النارِ قال ﷺ: «**إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ**[2] **فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ**»[3].

وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[4]. فهذه رسالةٌ أوجِّهها إلى الراشي والمرتشي الذين يأكلون أموالَ الناسِ بالباطلِ، فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢].

• أيها المرتشي! اتقِ الله في نفسِك وأهلِكَ، فإنَّ المالَ الذي تأخذُهُ منَ الرِّشوة سحتٌ وحرامٌ، والله عزَّ وجلَّ ذمَّ اليهودَ بأكلِهم السحت فقال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢].

والنبي ﷺ يقولُ: «**كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ**»[5].

ويرحمُ اللهُ نساءَ السلفِ الصالح، كانتِ المرأةُ إذا خرجَ زوجها للعمل أخذت بِمَنْكِبِهِ وقالت له: اتقِ الله فينا، ولا تأتِنا بمالٍ من حرامٍ؛ فإنا نصبرُ على الجوعِ في الدنيا، ولا نصبرُ على عذابِ النارِ يومَ القيامة.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٣١٣)، وأحمد (٢/ ١٩٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٢١١)].

(٢) يتخوصون: أي يتصرفون في مال الله بما لا يرضي الله.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣١١٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

(٥) **صحيح**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣١)، والبيهقي في «الشعب» (٥٣٧٥)، [«صحيح الجامع» (٤٥١٩)].

• أيها المرتشي! اتقِ اللهَ في نفسك، واعلمْ أنَّ المالَ الذي تجمعُه من الرشوة مالٌ حرام لأنك تأكلُ أموالَ الناسِ بالباطل، فهذا المال الذي أخذتَهُ من الرشوة إذا أنفقتَهُ على نفسِكَ وأولادِك لم يبارَكْ لك فيه. وإن تصدقت به لم يُقبلْ منكَ، وإن تركته خلفكَ بعدَ الموتِ كان زادَكَ إلى النارِ.

• أيها المرتشي! أنسيتَ أنك موقوفٌ بينَ يديِ الجبار يومَ القيامة ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات]. لِتُسأَلَ عن هذا المالِ من أين اكتسبتَه وفيما أنفقته؟ قال ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعَةٍ**» وذكر منها: «**وعن مالِه مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ**»(١).

فماذا تقولُ لربكَ يومَ القيامة عن هذا المالِ الذي جمعتَهُ من الرِّشوة؟!

• أيها المرتشي! اتقِ اللهَ في نفسِكَ، فقد حَرَمْتَ نفسَكَ من إجابةِ الدعاء بأكلِك للحرام. قال ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْـمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْـمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾﴾** [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]. **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْـحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»(٢).

---

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو يعلى (٧٤٣٤)، والدارمي (٥٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (٢١٩١) واللفظ له، [«صحيح الترغيب» (٣٥٩٢)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٥).

• أيها المرتشي! الرِّشوةُ رشوةٌ وَإنْ سمَّوْها لك هديةً أو إكراميةً، وهي حرامٌ لأنها قُدِّمت لك بسببِ الوظيفة ولذلك قال ﷺ: «**هَدَايَا الْـعُمَّالِ غُلُولٌ**»[1].

وعن عبدالله بن بُريدةَ عن أبيه عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَنَ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ**»[2].

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسْدِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أُهْدِيَ لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْـمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعَرُ**»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ، هَلْ بَلَّغْتُ؟**» مَرَّتَيْنِ[3].

• وأما الراشي الذي يدفعُ الرِّشوةَ للموظفِ نقولُ له: أيها الراشي! اتق الله في نفسِك فقد عَرَّضْتَ نفسَك للعنةِ الله وعذابِ الله، وتعاونتَ مع الموظفِ على الإثم والعدوانِ، واشتركتم في خيانةِ الأمانةِ التي ائتُمنَ الموظفُ عليها فالله عزَّ

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٤٢٤)، والبزار (٣٧٢٣)، والبيهقي في «السنن الصغير» (٣٢٦٦)، [«صحيح الجامع» (٧٠٢١)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٩٤٣)، وابن خزيمة (٢٣٦٩)، والحاكم (١٤٧٢)، [«صحيح الترغيب» (٧٧٩)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٣٦)، ومسلم (١٨٣٢).

وجلَّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)﴾ [الأنفال].

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)﴾ [الأنفال]. والرسولُ ﷺ يقول: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْـعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَالْـخِيَانَةِ وَالْـكَذِبِ**»[1].

وقال ﷺ: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ** -أي: خائن- **لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»[2].

• أيها الراشي! اتقِ الله في بلدِكَ التي تعيشُ فيها، فكم من رِشْوةٍ دُفِعَتْ للموظفين في المشاريعِ الخاصةِ بالدولة فانهارت وفَسَدتْ بسببِ الرشوة؟! وكم من موظفٍ دخلَ السجن بسببِ رشوتِكَ؟! وكم من موظفٍ أطعمتَهُ وأولادَهُ حراماً برشوتِك؟! وكم من إنسانٍ قُتِلَ بسببِ رشوتِكَ؟! وكم من أسرةٍ دُمِّرت بسبب رشوتك؟! وكم من باطلٍ أصبحَ حقاً بسبب رشوتِك؟! وكم من حقٍّ أصبحَ باطلاً بسبب رشوتك؟! وكم من إنسانٍ غيرِ مناسبٍ وُضعَ في المكانِ المناسبِ بسببِ رشوتِك؟!

فلعنةُ الله على الراشي والمرتشي.

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٩١٨)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣٥).

• وأخيراً نقولُ للراشي والمرتشي ولكلِّ مَنْ يأكلُ أموالَ الناسِ بالباطلِ: استحيوا من اللهِ حقَّ الحياءِ.

فعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ**» قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ للهِ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ الْـمَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ**»[1].

• وها همُ الصحابةُ رضي الله عنهم كانوا يَدَعونَ تسعةَ أعشارِ الحلالِ مخافةَ أن يقعوا في الحرام.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْـخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْـغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْـجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الْـكِهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ[2] فَقِيلَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ! كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ هَذِهِ اللُّقْمَةِ؟ قَالَ: لَوْ لَمْ تَخْرُجْ إِلَّا مَعَ نَفْسِي لَأَخْرَجْتُهَا ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ**»[3].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (١/ ٣٨٧)، [«صحيح الترغيب» (١٧٢٤)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٤٢) .

(٣) **صحيح**: الزيادة رواها أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣١)، [«صحيح الجامع» (٤٥١٩)].

٣٥

آكلُ أموالِ الناسِ بالباطلِ

ثانياً: السارق

عبادَ الله! يقولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن].

موعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع واحدٍ من المبشرين بالنار، ولكن لا يَخلَّدُ فيها إن ماتَ على التوحيد. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه أيضاً: **آكلُ أموال الناسِ بالباطلِ.**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء].

والذين يأكلون أموالَ الناسِ بالباطلِ كثيرون، ولكنَّ كلامَنا في هذا اليوم فقط سيكون عن: **السارق.**

• السارق مجرمٌ في حقِّ ربِّه لأنهُ عصى اللهَ ورسولَهُ وتعدَّى حدودَ الله. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

• والسرقةُ كثرت في هذه الأيام، حتى أنَّ السارِقَ اعتدى نهاراً جهاراً على أموالِ وسياراتِ المصلين ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

• وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١) فهذه رسالةٌ أوجهها إلى السارق فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ، ليهلِكَ من هلك عن بينةٍ ويحيى من حيّ عن بينةٍ.

• أيها السارقُ! أُذكرُك أن السَّرقةَ حرامٌ، حرمها اللهُ في كتابه، وحرَّمها رسولُ الله ﷺ في سنته، فهي حرامٌ إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة].

وقد بايع النبيُّ ﷺ النساءَ على ما في هذه الآية: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ﴾الآية وبايع النبيُّ ﷺ الرجالَ أيضاً على ما في هذه الآية.

عن عبادةَ بن الصامتِ رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «**أَتُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَسْرِقُوا وَقَرَأَ آيَةَ النِّسَاءِ** ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٩٤)، ومسلم (١٧٠٩) واللفظ للبخاري.

وقال ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْـخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[1].

فالسارقُ انقطع عنه نورُ الإيمانِ ولذلك تَراهُ يأتي إلى المسجد ويعتدي على أموالِ المصلين، ويعتدي على سياراتهم وكأنه لا يسمعُ ولا يعقلُ ولا يرى.

• وقال ﷺ: «**إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ: لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْـحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا**»[2]. فالسرقةُ حرامٌ، حرَّمها اللهُ ورسولُهُ فهي حرامٌ إلى يومِ القيامةِ، والسرقةُ من الجيران أشدُّ حُرمةً.

قال ﷺ يوماً لأصحابه: «**مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟**» قَالُوا: حَرَامٌ حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْـقِيَامَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ**» قَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟**» قَالُوا: حَرَامٌ حَرَّمَها اللهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْـقِيَامَةِ، قَالَ: «**لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ**»[3].

• أيها السارق! أُذكرُك أنك ظالمٌ لنفسِكَ، وظالمٌ للناسِ قال تعالى: ﴿**وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٣٣٩) واللفظ له، والطبراني في «الكبير» (٦٣١٦)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٥٩)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٨)، والبزار (٢١١٥) واللفظ له، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٣)، والطبراني في «الأوسط» (٦٣٣٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٤٩)].

تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ -أي: بعدما سرق- ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة].

ولما نادى المؤذنُ على إخوةِ يوسفَ: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠﴾. إلى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥﴾ [يوسف].

فالسارقُ ظالمٌ، والظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامةَ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾. ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود][1].

• أيها السارق! أذكرُك أنك من المفسدين في الأرضِ قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾ [يوسف].

والله عزَّ وجلَّ لا يحبُّ الفساد، ولا يحبُّ المفسدين، بل توعدَ المفسدين في الأرض بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة. فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) واللفظ للبخاري.

• أيها السارق! أُذكرُكَ بأنَّ حدَّ السرقةِ في الإسلامِ قطعُ اليد، فاليدُ الخبيثةُ التي تعتدي على أموالِ الناسِ وممتلكاتِهم لا بُدَّ أن تُقطَعَ لينزجرَ السارق، ويرتدعَ غيرُهُ.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة].

وقال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ؛ يَسْرِقُ الْـبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْـحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ**»(١).

وقال ﷺ: «**تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ فِي رُبْعِ دِينَارٍ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لَا تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا**»(٣).

والقولُ الراجحُ من أقوالِ أهلِ العلمِ أنهُ لا تُقطعُ يدُ السارقِ إلا إذا بلغَ المسروقُ رُبْعَ دينارٍ أو ما يساويه من الأثمان أو العروض فصاعداً. فمن سرق تُقطعُ يدُهُ مهما بلغَ عِزُّهُ وشرفُهُ.

• عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْـمَرْأَةِ الْـمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٧٩٠)، ومسلم (١٦٨٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٨٤).

كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْـحَدَّ، وَايْمُ اللهِ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[1].

• أيها السارق! أُذكرُكَ بيومِ القيامةِ، يومَ تُبلى السرائر، يومَ يفرُّ المرءُ من أخيه وأمِّه وأبيه، يوم تذهلُ كلُّ مرضعةٍ عما أرضعت، يومَ يأتي السارقُ الغالُّ -وهو السارقُ من الغنيمة- يحملُ ما سرقه وما غلَّ على رقبته.

يقول ﷺ: «**لَا أُلْـفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْـفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ...الحديث»**[2].

وبعد هذه الفضيحة في أرضِ المحشرِ، تدخلُ على ربِّك ليحاسبَكَ، تُكلمهُ ويُكلمُك، ليس بينك وبينه تُرجمان، فيسألُكَ عن مالِك من أينَ اكتسبتَه وفيما أنفقته.

يقول ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ:**» وذكر منها: «**وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟**»[3].

فماذا تقولُ أيها السارقُ لربِّكَ إذا سألكَ عن المالِ الذي جمعتَهُ من السرقةِ عامةً، ومن سرقةِ المصلينَ في المسجدِ خاصةً؟!

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

(٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٥٤)، وأبو يعلى (٧٤٣٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٥٩٢)].

أيها السارقُ!

مَثِّل وقوفَكَ يومَ العرضِ عُريانا ... مُسْتَوحشاً قلقَ الأحشاءِ حيرانا

والنارُ تلهَبُ من غيظٍ ومن حَنَقٍ ... على العُصاةِ وربُّ العرشِ غضبانا

اقرأ كتابَك يا عبدي على مَهَلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا

لما قرأتَ ولم تنكرْ قراءتَه ... إقرارَ من عرفَ الأشياءَ عِرفانا

نادى الجليلُ خذوهُ يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنارِ عطشانا

المجرمونَ غداً في النارِ يلتهبوا ... والمؤمنونَ في دارِ الخلدِ سكانا

• أيها السارقُ! أُذكرُكَ بأنه يومَ القيامة تُردُّ الحقوقُ إلى أصحابِها، فإذا نجوتَ من العقابِ في الدنيا فلن تنجوَ يومَ القيامةِ، إنما الحسنات والسيئات.

يقول ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْـحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْـقِيَامَةِ**»[1].

ويقول ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْـمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْـمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْـمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْـقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[2].

ويقول ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ، أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْـيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨١).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٤٩).

فيا أيها السارقُ! إذا طُرحت عليكَ السيئاتُ وطُرحْتَ في النارِ فهل تصبرُ على عذابِ النار؟

النارُ، التي يقولُ الله عنها: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة].

ويقول عنها أيضاً: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان].

ويقول عنها وعن أهلها أيضاً: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج].

ويقول عنها أيضاً: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر].

• أيها السارقُ! أُذكرُكَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ فتح أبوابَ التوبةِ على مصراعَيْها لك إذا أردتَ أن تتوبِ.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة].

وقال ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْـخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ**»[1].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

والتوبةُ النصوحُ التي يقبلها اللهُ عزَّ وجلَّ هي التي تتوافرُ فيها الشروطُ التالية:

الشرط الأول: الإخلاصُ في التوبة لله عزَّ وجلَّ.

الشرط الثاني: الإقلاعُ عن السرقة.

الشرط الثالث: الندمُ على فعلِها.

الشرط الرابع: العزمُ على أن لا تعودَ إلى السرقةِ مرةً ثانية.

الشرط الخامس: أن تتوبَ قبل الغرغرة.

الشرط السادس: أن تتوبَ قبلَ طلوع الشمس من مغربها.

الشرط السابع: الاستقامةُ على الأعمال الصالحة ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧) .

وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه].

الشرط الثامن: أن تَرُدَّ الحقوقَ إلى أصحابها قبل أن لا يكون درهمٌ ولا دينار.

فإن تبتَ أيها السارقُ توبةً نصوحاً بهذهِ الشروطِ، فأبشر بمغفرةِ الذنوب جميعاً. فالله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة].

نسألُ اللهَ العظيم أن يرزقَنا وإياكم توبةً نصوحاً قبل الموت

٣٦

المفسدُ في الأرض

عباد الله! يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩﴾ [الكهف].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ الله تعالى- مع واحدٍ من المبشرين بالنار، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إن مات على التوحيد. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: **المفسدُ في الأرض**.

- والله عزَّ وجلّ يقول: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]. والمفسدُ نقيضُ المصلح.

- واللهُ عزَّ وجلَّ يعلمُ المفسدَ من المصلح. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة:٢٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤٠﴾ [يونس].

- والله عزَّ وجلَّ لم يسوِّ بينَ المصلحِ والمفسدِ قال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾ [ص].

ولذلك فاللهُ عزَّ وجلَّ يحبُّ المصلحين ولا يحبُّ المفسدين قال تعالى: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص].

والله عزَّ وجلَّ يُنجِّي المصلحين ويهلك المفسدين. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود].

والله عزَّوجلَّ بَشَّر المفسدَ بالنارَ وبئس المصير قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

من هو المفسدُ في الأرض؟

المفسدون في الأرض كثيرون منهم على سبيل المثال:

أولاً: الكافرُ

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل].

ثانياً: المشركُ الذي جعلَ مع الله إلهاً آخر

قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء].

ثالثاً: المنافقُ الذي يبطنُ الكفرَ ويظهرُ الإسلام

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

رابعاً: فرعون

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾. إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

خامساً: قارون

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٦].

سادساً: اليهودُ، أئمة الفساد في الأرض

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة].

سابعاً: الساحر

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [يونس].

ثامناً: السارق

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يوسف].

تاسعاً: قاطعُ الرحم

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد].

عاشراً: المفسدون في الأرض بقوة السلاح

وهم العصاباتُ المختلفةُ التي تعتدي على أمنِ الناس وأموالِهم وأعراضِهم؛ كعصابةِ القتلِ، وعصابةِ خطفِ الأطفال، وعصابة اللصوصِ للسَّطو على البيوت والمحلاتِ والممتلكات، وعصابةِ خطفِ البناتِ الشابات للفجورِ بهن، وعصابةِ اغتيالِ الشخصياتِ البارزةِ، ابتغاءَ الفتنةِ واضطرابِ الأمن وغيرها من العصابات التي تفتكُ بأمن البلاد والعباد، لا يزجرُهم دينٌ ولا نظامٌ ولا رحمةٌ ولا خلقٌ وهذا النوعُ من الإفسادِ هو الذي أقصدهُ في كلامي في هذه الموعظة.

وَعقوبةُ هؤلاءِ العذابُ والخزيُ في الدنيا، وجهنمُ في الآخرة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة].

كيف تعاملَ رسولُ الله ﷺ مع هذه العصابات؟

يقولُ أَنَسٌ رضي الله عنه: إِنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ، قَدِمُوا على رسول الله ﷺ الْـمَدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدَقةِ فتشربوا من ألبانِها وأبوالِها**» ففعلوا، فَصَحُّوا، ثم مالوا على الرُّعاةِ فقتلوهم، وارتدوا عن الإسلام، وساقوا ذَوْدَ رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فَبَعَثَ فِي إِثْرِهِمْ، فأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ فِي الْـحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا[1].

• وهذا يسمى في الإسلام **بحدِ الحِرَابة**.

• وقد عرَّف الفقهاءُ الحِرَابة بأنها: خروجُ طائفةٍ مسلَّحةٍ في دارِ الإسلام -أي: في بلاد الإسلام-، لإحداثِ الفوضى وسفكِ الدماء، وسلب الأموالِ، وهتكِ الأعراضِ، وإهلاكِ الحرثِ والنسل، مُتحدِّيةً بذلك الدينَ والأخلاقَ والنظام[2].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٨٦)، ومسلم (١٦٧١) واللفظ له.

(٢) انظر كتاب: «إعلام ذوي الأفئدة» (ص٣٣٨) لشيخنا/ عبدالعظيم بن بدوي -حفظه الله-.

وقد عاقبَ اللهُ هذه العصابة التي تعتدي على أمنِ البلاد والعباد بأربعةِ أنواع من العقوبات:

الأولى: التَّقْتيلُ **الثانية**: التَّصليبُ

الثالثة: تقطيعُ الأيدي والأرجُلِ من خلاف. **الرابعة**: النَّفْيُ من الأرض.

يقول ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (إِذَا قَتَلُوا وَأَخَذُوا الْـمَال قُتِلُوا وَصُلِبُوا، وَإِذَا قَتَلُوا وَلَمْ يَأْخُذُوا الْـمَال قُتِلُوا وَلَمْ يُصْلَّبُوا، وَإِذَا أَخَذُوا الْـمَال وَلَمْ يَقْتُلُوا قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلهمْ مِنْ خِلَاف، وَإِذَا أَخَافُوا السَّبِيل وَلَمْ يَأْخُذُوا الْـمَال نُفُوا مِنْ الْأَرْض)[1].

وهكذا اشتملت هذه العقوباتُ على كلِّ ما فيه ذُلٌّ وهوانٌ للذين يحاربون اللهَ ورسولَهُ، ويعتدون على أمن البلاد والعباد، ولذلك قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾. -أي: ذلك الجزاءُ من القطع والقتلِ والصَّلْبِ والنَّفي ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾. -والخزيُ هنا الهوانُ والذُّلُّ والافتضاح- ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾، وظاهرُهُ أن معصية الحِرَابةِ مخالفةٌ للمعاصي غيرها، إذ جُمع فيها بين العقابِ في الدنيا والعقابِ في الآخرة تغليظاً لذنب الحِرَابة.

هذا هو عقابُ من اعتدى على أمن وأمان المسلمين في بلاد الإسلام، لتعلموا يا عباد الله أن نعمة الأمن والأمان من أجلِّ نعمِ الله تبارك وتعالى، فهي أمُّ النعم.

ولذلك سأل إبراهيمُ عليه السلام ربَّهُ نعمةَ الأمن لذُرِّيتِهِ قبل أن يسألَهُ الرِّزق لهم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٩١).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦].

وقد استجاب اللهُ عزَّ وجلَّ دعوةَ إبراهيم عليه السلام وجعل مكة حَرَماً آمناً، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت].

وامتن اللهُ على قريشٍ بنعمة الأمنِ وأمرَهم أن يشكروه عليها فقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش].

فلم يشكروه على هذه النعمةِ العظيمةِ وكفروا بالله، ولم يستجيبوا لرسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص].

فلما كفروا بنعمةِ الأمن وعصَوا ربهم حرَمَهم نِعمةُ عامةً، ونعمةَ الأمن خاصة. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل].

نعمةُ الأمنِ نعمةٌ عظيمةٌ جدًّا، لا يعرفُ قدرها إلا من فقدها، فهي أمُّ النعمِ جميعاً، ولذلك جاءت الأدلةُ في الكتاب والسنةِ تدلُّ على نعمة الأمن:

ففي كتاب الله:

١- يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

٢- يقول سبحانه مُمتناً على رسوله ﷺ بنعمةِ الأمن: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧].

وفي سنة رسول الله ﷺ:

١- قال ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بحذافيرِها**»[١].

فبدأ ﷺ بنعمة الأمن؛ لأنهُ لا لذة ولا تمتع بنعمةِ العافيةِ والطعامِ إلا بوجودِ نعمةِ الأمن والأمان.

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، [«صحيح الترغيب» (٨٣٣)].

٢- وقال ﷺ: «الْـمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[١].

أي: المسلم الكامل الإسلام من سلمَ الناسُ من أذاه؛ بيدِهِ أو بقولِه، ولا شك أن أذيَّةَ الناسِ بالقتل، والتفجيرِ، واحتجازهم كرهائن، وقتل أطفالِهم، والاعتداءِ على أموالهم، يدخلُ تحت هذا الحديث.

٣- وقال ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا»[٢] وفي لفظ: «مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ فَلَيْسَ مِنَّا»[٣].

ففي هذا الحديث يتبرأُ رسولُ الله ﷺ ممن حمل السلاح، وقطع الطريق، وأخافَ الآمنين.

٤- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، حدثنا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ، فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»[٤].

فنفيُ الحِلِّ هنا غايةٌ في الزجرِ عن الترويع والفزعِ، ودعوةٌ لرفع الرَّوْعِ والخوفِ عن الناسِ، فلا ينبغي للمسلم أن يُفزعَ أو يروِّع مُسلماً ولو بأخذِ أبسطِ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري(٧٠٧١)، ومسلم (١٠٠) .

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٩٩) .

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٠٤) واللفظ له، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٤٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٠٥)].

الأشياء منه كالحبلِ مثلاً، فكيف بالتفجير، والإرهابِ، وسَلبِ حياتِه منه، أو أطرافِهِ أو مالِهِ أو بيتِهِ أو عيالِه؟!

٥- وقال ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْـجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[١].

وقد سمى اللهُ تعالى في الآية الخارجين على الجماعةِ محاربين لله ورسولِهِ، وأمر بالوقوف في وجوههم بقوةٍ، للقضاء على فتنتهم، وقضى عليهم بأقسى أنواع العقوبة. فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة].

وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[٢].فهذه رسالةٌ أُوجهها إلى هذه العصابات التي تعتدي على أمن البلاد والعباد بقوة السلاح، فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ ليهلكَ من هلكَ عن بينةٍ ويحيى من حيّ عن بينة.

أولاً: أُذكرهم أن عذاب الآخرةِ أشدُّ من عذاب الدنيا.

- قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه].
- وقال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزمر].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

• وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت].

ثانياً: أُذكرُهم أن الله عزَّ وجلَّ عزيزٌ ذو انتقام، ينتقمُ من أعدائه في وقتٍ لا يخطر لهم على بال.

• قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢]. إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم].

• وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

• وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ ثُمَّ قَرَأَ**: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود][1].

ثالثاً: أُذكرُهم أن الله عزَّ وجلَّ التواب الرحيم بعبادهِ فتح أبوابَ التوبة أمامَ جميع العصاةِ ليتوبوا.

• ففتح أبوابَ التوبة أمام الكفار ليتوبوا فقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) واللفظ للبخاري.

• وفتح أبوابَ التوبة أمام المنافقين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦].

• وفتح أبواب التوبة أمام اليهود والنصارى بعدما قالوا ما قالوا في حقِّ الله. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة].

• وفتح أبوابَ التوبةَ أمامَ الظلمةِ فقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة].

• وفتح أبوابَ التوبة أمامَ أكلة الربا فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة].

• وفتح اللهُ أبوابَ التوبةِ أمامكم يا من حاربتم اللهَ ورسولَهُ، وسعيتم في الأرض فساداً، وروعتم الآمنين، واعْتَدَيتم على أموالهم وأعراضهم ودمائهم، وأهلكتم الحرث والنسل فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ

لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة].

ومن تاب من هؤلاءِ قبل القدرة عليهم والتمكُنِ منهم فهو دليلٌ على يقظةِ الضميرِ، والخوفِ من اللهِ، والعزمِ على استئنافِ حياةٍ نظيفةٍ بعيدةٍ عن الإفسادِ والمحاربةِ لله ورسوله، ولهذا شملهم عفْوُ اللهِ، وأسقط عنهم كلَّ حقٍّ من حقوقه إن كانوا قد ارتكبوا ما يستوجبُ العقوبة، أمّا حقوق العباد فإنها لا تسقط عنهم، وهناك من أهلِ العلمِ من قال: إن التوبة تُسقِطُ عنهم حقوق اللهِ، وحقوق الآدميِّين إلا ما كان قائماً بأيديهم بعينِهِ فيجب عليهم أن يردُّوهُ إلى أصحابه.

فهل من مُدكر؟! .... فهل من متعظ؟! ... فهل من تائب؟!!

٣٧

العاقُّ لوالديه

عباد الله! يقولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ الله تعالى- مع واحدٍ من المبشرين بالنارِ ولكن لا يخلد فيها إن ماتَ على التوحيد. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: **العاقُّ لوالديه**

• عقوقُ الأبناءِ للآباءِ كثُرَ في هذا الزمان العجيب الذي يحتفلُ فيه للأسف الشديد بعضُ المسلمين بعيدِ الأمِّ في السنة يوماً واحدً تقليداً للكفار، وابتداعاً في دين الله، وهذا في ميزانِ الإسلامِ عقوقٌ وليسَ من البرِّ في شيء.

• وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[١]. فهذه رسالةٌ أُوجهها إلى العاقِّ لوالديهِ فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ ليهلِكَ من هلك عن بينةٍ ويحيى من حي عن بينةٍ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

• أيها العاقُّ لوالديه! أنت مجرمٌ في حقِّ ربِّك، لأنك عصيتَ اللهَ ورسولَهُ ﷺ، وتعديت حدودهُ، واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

• فالله عزَّ وجلَّ أمرَك في كتابه ببرِّ الوالدين والإحسانِ إليهما، وأنتَ خالفتَ أمرَ اللهِ وقمت بعقوقهما. قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام:١٥١].

• واللهُ عزَّ وجلَّ وصاكَ بوالديك، وأنت أيها العاقُّ لم تعملْ بوصيته. قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يوصِيكم بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يوصِيكم بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يوصِيكم بِآبَائِكُمْ**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٦٦١)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٠) واللفظ له، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٦٦)].

• واللهُ عزَّ وجلَّ أمرَك بمصاحَبتهما في الدنيا بالحسنى والمعروف، وأنت أيها العاقُّ اعتديت عليهما. قال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥].

• جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبُوكَ**»(١).

• واللهُ عزَّ وجلَّ أمرك أن تخفضَ لهم الجناحَ، وتُلينَ لهم في القولِ، ولا تتأففَ أمامهما، وأنت أيها العاقُّ رفعتَ صوتك عليهما بالسبِّ والشتمِ واللعنِ وربما بالضرب.

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

• أيها العاقُّ لوالديه! أنت مجرمٌ في حقِّ والديك، لأن من حقِّ والديك عليك في حياتهما؛ البرَّ والإحسانَ إليهما، ودعوتَهما إلى الإسلامِ إن كانوا كفاراً، ودعوتَهما إلى التوبةِ إن كانوا عصاةً بالحكْمَةِ والموعظةِ الحسنةِ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨) .

ومن الأمثلة على ذلك أيها العاقُّ لتتعلم منهم:

١- إبراهيمُ عليه السلام مع والده آزرَ الكافرِ، أخبرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ عن إبراهيم عليه السلام كيف يحرصُ على هداية والده ويدعوه بالحسنى. قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم].

وهذا إسماعيلُ عليه السلام لما قال له ابوه إبراهيمُ عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات]. فتعلم البرَّ أيها العاقُّ لأبيك.

٢- يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: (كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ

فَصِرْتُ إِلَى الْـبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْـمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْـبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْـفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَبْشِرْ، قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا)[(١)].

• وكان أبو هريرةَ رضي الله عنه إذا دخلَ أرضَهُ صاحَ بأعلى صوتِه: (السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا أُمَّتَاهُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَتَقُولُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بُنَيَّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَيَقُولُ: رَحِمَكِ اللهُ كَمَا رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا، فَتَقُولُ: رَحِمَكَ اللهُ كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا)[(٢)]. فتعلمِ البرَّ أيها العاقُّ لأُمِّك!

ومن حقِّ والديك عليك أيها العاقّ، أن تَبِرَّهما بعد موتهما، ومن برِّ الوالدين بعد موتهما:

١- إكرامُ صديقهما وصلةُ إخوانهما.

قال ﷺ: «**أَبَرُّ الْـبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٩١).

(٢) رواه عبد الله بن المبارك في «البر والصلة» (٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢)، وابن أبي الدنيا في«مكارم الأخلاق» [«صحيح الأدب المفرد» (١٤)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ**»[1].

وضرب ابنُ عمرَ رضي الله عنهما أروعَ الأمثلة في برِّ أبيه بعد موته.

• زارَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما رجلاً في المدينة فقال له: أَتَدْرِي لِمَ أَتَيْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ** -أي أصحاب- **أَبِيهِ بَعْدَهُ**» وَإِنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَبِي -عُمَرَ- وَبَيْنَ أَبِيكَ إِخَاءٌ وَوُدٌّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ ذاك[2].

٢- ومن برِّهما بعد موتهما؛ التصدُّق عنهما.

• عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رضي الله عنه تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ الله! إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ، وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ الْـمِخْرَافَ -أي المثمر- صَدَقَةٌ عَلَيْهَا)[3].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا، وَلَمْ يُوصِ، فَهَلْ يُكَفِّرُ عَنْهُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»[4].

هذا هو البرُّ للوالدين في حياتهما وبعد مماتهما، وأنت أيها العاقُّ المحرومُ لم تبرَّ والديك لا في حياتهما ولا بعد مماتهما فأنت مجرمٌ في حقِّ والديك.

(١) **حسن**: رواه أبو يعلى (٥٦٦٩)، وابن حبان (٤٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٠٦)].

(٢) **حسن**: رواه أبو يعلى (٥٦٦٩)، وابن حبان (٤٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٠٦)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٥٦) (٢٧٦٢).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٣٠).

أيها العاقُّ لوالديهِ! أنت مجرمٌ في حقِّ نفسِك.

أولاً: لأنك عَرَّضْتَ نفسَكَ لِسَخَطِ الله. قال ﷺ: «**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْـوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْـوَالِدِ**»(1). فاعمل ما شئت أيها العاقُّ لوالديه، واعلمْ أنّ الله ساخطٌ عليك.

ثانياً: لأنك عَرَّضْتَ نفسَك للعنةِ الله. قال تعالى: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣)** ﴾ [محمد].

والعاقُّ لوالديه قاطعٌ للرحم. قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ**»(2). فاعمل ما شئت أيها العاقُّ لوالديه فأنتَ ملعونٌ.

ثالثاً: لأنك حرمتَ نفسَك من دخولِ الجنةِ معَ أولِ الداخلين.

قال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ قَاطِعٌ**»(3). وقال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ**» وذكر منهم: «**الْـعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ**»(4).

وجاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله! شهدتُ أن لا إله إلا الله،

---

(1) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢)، والحاكم (٧٢٤٩)، والطبراني في «الكبير» (١٤٣٦٧)، [«صحيح الجامع» (٣٥٠٦)].

(2) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٧٨).

(3) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(4) **حسن صحيح**: رواه النسائي (٢٥٦٢)، والبزار (٦٠٥٠)، وابن حبان (٧٣٤٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٥١١)].

وإنك رسولُ الله، وصليتُ الخَمْسَ، وَأَدَّيْتُ زكاةَ مالي، وصُمْتُ رمضان؟ فقال النبي ﷺ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا -وَنَصَبَ إِصْبَعَيْهِ- مَا لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْه**»[1]. فاعمل ما شئت أيها العاقُّ لوالديهِ فأنت محرومٌ.

رابعاً: لأنك عَرَّضْتَ نفسك للخَيبةِ والخسرانِ والذلِّ والعذاب.

• قال ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ**[2]**، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ**»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**»[3].

• **و صَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ**: «**آمِينَ آمِينَ آمِينَ**». ثم قال: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ**»[4].

• قال ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا -مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ- مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣٩/ ٥٢٣) ط. الرسالة، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٣٠٨)، وابن خزيمة (٢٢١٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٥١٥)].

(٢) رغم أنف: أي: ذل.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥١).

(٤) صحيح لغيره: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٤)، بلفظ قريب، والطبراني في«الكبير» (٢/ ٢٤٣/ ٢٠٢٢)، والبيهقي في «الشعب» (٣٣٥٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٩١)].

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٧)].

وأنت أيها العاقُّ لوالديك قاطعٌ لأعظمِ الرحمِ.

خامساً: لأنك مرتكبٌ لأكبر الكبائر، ولا يقبلُ اللهُ منكَ صرفاً ولا عدلاً.

• قال ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» -ثَلَاثًا- قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قال: «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»[1].

• وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ!**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «**يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»[2].

• وقال ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لا يَقْبَلُ اللهُ لَهُمْ صَرْفًا وَلا عَدْلا: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ وَمُكَذِّبٌ بالقدر**»[3].

سادساً: لأنك عرضتَ نفسَك لدعاءِ والديك عليك، ودعاءُ الوالدين مستجابٌ، قال ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ**»[4].

أيها العاقُّ لوالديهِ! استيقظ من غفلتِكَ قبل فواتِ الأوان، وَبِرَّ والديك:

١- فإن برَّ الوالدين من أحبِّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ بعد عبادتِه قال تعالى:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٨٢)، ومسلم (٩٠).

(٣) **حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٣)، والبيهقي في«القضاء والقدر»(٤٣٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٨) بلفظ: (لا يقبل الله منهم)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٤٤٨)، وأحمد (٢/٢٥٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٢٦)].

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء:٣٦].

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

فَقَدَّمَ النبيُّ ﷺ بِرَّ الوالدين على الجهادِ في سبيلِ الله كيف لا؟ وقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»(٢).

٢- برُّ الوالدين سببٌ لإجابة الدعاء.

عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**»(٣).

٣- برُّ الوالدين سببٌ لمغفرة الذنوب.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**» قَالَ: لاَ، قَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَبِرَّهَا**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٤٢).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٠٤)، وأحمد (٢/ ١٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٠٤)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: تُبْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ. فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ[1].

٤- برُّ الوالدين سببٌ لتفريج الكربات.

عن عبدالله بن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ؛ فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ[2] قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ...الحديث**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٩٩)].

(٢) (أغبق) : شرب العشي.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (١٠٠) واللفظ للبخاري.

فيا أيها العاقُّ لوالديك! تُبْ إلى الله قبل فوات الأوان، واقْبَلِ النصيحةَ ولا تردُّها، وأخيراً أُذكرُك بقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر]. وبقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة].

٣٨

المرأةُ المتبرجة

عباد الله! يقولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع واحدٍ من المبشرين بالنارِ، ولكن لا يُخَلَّدُ فيها إن مات على التوحيد. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟ إنها: **المرأةُ المتبرجة**.

• **التبرجُ هو**: إظهارُ المرأةِ زينتَها ومحاسِنَها للرجالِ الأجانب.

• والتبرجُ دليلٌ على ضَعفِ إيمانِ المرأةِ وقلَّةِ حيائِها، ولذلك تراها تتزينُ وتتبرجُ وتخرجُ إلى الشارع، وتختلطُ بالرجالِ الأجانبِ تبيعُ لحمَها رخيصاً لكلِّ من يَنظرُ إليها بلا حياءٍ من الناسِ ولا من الله.

ورسولُنا ﷺ يقول: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»[1]. وقال ﷺ: «**الْـحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦١٢٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣١٣) بلفظ قريب، والحاكم (٥٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٩٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧٣٣١)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٣٦)].

• والتبرجُ من أعمال الجاهلية الأولى قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

• والتبرجُ يُعَرِّضُ المرأةَ لِغَمْزِ ولمزِ المجرمين ومن في قَلبِهِ مرض. يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢].

فإذا كان الخضوعُ في القولِ يُعرِّضُ المرأة لطمعِ الذي في قلبه مرض، فكيف إذا تبرجتْ وتطيبت وتزينت وخرجت إلى الشارعِ تُدبرُ في صورةِ شيطان وتُقبلُ في صورة شيطان؟!

• والتبرجُ سببٌ من أسبابِ إشاعةِ الفاحشةِ بين الناس وذلك لأن التبرجَ هو الشرارةُ الأولى لفاحشة الزنا والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

• والتبرجُ تشبهٌ بالكافرات الفاجرات، والنبيُّ ﷺ يقول: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[1].

• والتبرجُ يورِدُ النيرانَ ويَحْرِمُ من الجنان، ولذلك بُشِّرتْ المتبرجةُ بالنارِ. قال ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ**

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٠٣١) عن ابن عمر، والبزار (٢٩٦٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٣٢٧) كلاهما عن حذيفة، [«صحيح الجامع» (٦١٤٩)].

الْـبُخْتِ الْـمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْـجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[1].

وقال ﷺ: «وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ»[2].

وقال ﷺ: «وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»[3].

وقال ﷺ: «إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْـجَنَّةِ النِّسَاءُ»[4].

• فالمرأةُ المتبرجةُ بُشِّرتْ بالنارِ لأنها عصتْ رَبَّها وتعدت حدودَهُ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

فاللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه أمر بالحجاب ونهى عن التبرج. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٦).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٧).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٨).

وقال تعالى محذراً من التبرج: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

وقال تعالى في حقِّ المرأةِ الكبيرةِ التي لا ترغبُ في الرجال: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور].

وبايع رسولُ الله ﷺ النساءَ أن لا يتبرجن.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: جَاءَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ تُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ: «**أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِالله شَيْئًا وَلَا تَسْرِقِي وَلَا تَزْنِي وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكِ وَلَا تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ وَلَا تَنُوحِي وَلَا تَبَرَّجِي تَبَرُّجَ الْـجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**»[1].

• وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[2] فهذه رسالةٌ أوجهُها إلى المرأة المتبرجة فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ ليهلِكَ من هلكَ عن بينةٍ ويحيى من حيّ عن بينة.

• أيتها المرأةُ المتبرجة أنتِ مجرمةٌ في حَقِّ نفسِكِ وذلك:

أولاً: لأنكِ عرَّضتِ نفسَكِ للعنة الله عزَّ وجلَّ.

قال ﷺ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْـبُخْتِ، الْـعَنُوهُنَّ؛ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ**»[3].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٢/ ١٩٦)، [«جلباب المرأة المسلمة» (ص١٢١)].

(٢) **صحيح** : رواه مسلم (٥٥) .

(٣) **صحيح** : رواه أحمد (٢/ ٢٢٣)، والطبراني في «الأوسط» (٩٣٣١) واللفظ له، والحاكم (٨٣٤٦)، وابن حبان (٥٧٥٣)، [«جلباب المرأة المسلمة» (ص١٢٥)].

ثانياً: لأنكِ عَرَّضْتِ نفسَكِ للهلاكِ والدمارِ

قال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْـجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ** -أي: هربَ- **مِنْ سَيِّدِهِ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ**»[(١)].

ثالثاً: لأنكِ عَرَّضتِ نفسَكِ لذنبٍ عظيمٍ وإثمٍ كبيرٍ.

قال ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، ثُمَّ خَرَجَتْ لِيُوجَدَ رِيحُهَا، فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**»[(٢)].

فكيف إذا تبرجت واستعطرت وتزينت واختلطت بالرجال الأجانب؟!! فالذنبُ أعظم والمصيبةُ أكبر

كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ يقول: «**الْـمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»[(٣)].

رابعاً: لأنكِ حرمتِ نفسَكِ من الزواج من صاحبِ الدينِ والخلقِ.

قال ﷺ: «**تُنْكَحُ الْـمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٠٦/ ٧٨٨) واللفظ له، والحاكم (٤١١)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٤٢)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٧٨٦)، والدارمي (٢٦٨٨)، وابن خزيمة (١٦٨١)، وابن حبان (٤٤٢٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٠١٩)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٧٣)، وابن خزيمة (١٦٨٦)، والطبراني في «الكبير» (١٠١١٥)، وابن حبان (١٦٨٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦)]

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

فالشبابُ أيتها المتبرجة يبحثون عن الزوجةِ صاحبةِ الدينِ التي لا تبيعُ لحمها رخيصاً في الشوارع.

• أيتها المتبرجة! أنتِ مجرمةٌ في حقِّ المجتمعِ المسلم الذي تعيشين فيه، وذلك لأنكِ فتنةٌ بل أنتِ من أَضَرِّ الفتن على الرجال.

يقول ﷺ محذراً من فتنة النساء: «**فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[1].

ويقول ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[2].

ويقول ﷺ: «**إِنَّ الْـمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ**»[3].

وعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَامَ حَجَّ وَهُوَ عَلَى الْـمِنْبَرِ، وَتَنَاوَلَ قُصَّةً[4] مِنْ شَعَرٍ كَانَتْ فِي يَدِ حَرَسِيٍّ[5]، يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْـمَدِينَةِ! أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَيَقُولُ: «**إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ**»[6].

فالمرأةُ المتبرجة فتنةٌ أينما ذهبت، فمن نظر إليها افتُتن، ومن خلا بها افتتن، ومن تحدث معها افتتن، فهي بمثابةِ الشرارةِ الأولى لفاحشة الزنا.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٠٣).

(٤) قُصَّةً: أي خصلة.

(٥) حَرَسِيٍّ: نسبة إلى الحرس وهم خدم الأمير.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٣٢)، ومسلم (٢١٢٧).

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

• أيتها المرأة المتبرجة! أنتِ مجرمةٌ في حقِّ ربِّكِ، ومجرمةٌ في حقِّ نفسِك، ومجرمةٌ في حقِّ المجتمع، فاتقي اللهَ في نفسِك، وتوبي إلى الله من التبرج وارتدي الجلبابِ الشرعيّ.

فإن الله عزَّ وجلَّ في كتابه بعدما حذَّرَ من التبرجِ وأمر بالجلباب الشرعي، أمر بالتوبة النصوح قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

• والجلبابُ الشرعيُّ الذي يحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ هو الجلبابُ الذي تتوفرُ فيه الشروطُ الثمانيةُ التالية:

الشرط الأول: استيعابُ جميع البدن

لقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٩].

ولقوله ﷺ: «الْـمَرْأَةُ عَوْرَةٌ»[1].

الشرط الثاني: أن يكون صفيقاً لا يَشِفُّ

لقوله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْـبُخْتِ، الْـعَنُوهُنَّ؛ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ»[2].

والمرأةُ الكاسية العارية هي المرأة التي تلبسُ الثيابَ الرقيقة التي تُظهرُ ما تحتها.

عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ أَبِي عَلْقَمَةَ عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ: رَأَيْتُ حَفْصَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ وَعَلَيْهَا خِمَارٌ رَقِيقٌ يَشِفُّ عَنْ جَيْبِهَا، فَشَقَّتْهُ عَائِشَةُ عَلَيْهَا وَقَالَتْ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي سُورَةِ النُّورِ؟! ثُمَّ دَعَتْ بخمار فكستها[3].

الشرطُ الثالث: أن يكون واسعاً فضفاضاً لا يصف

عن أسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنهما قال: كَسَانِي رَسُولُ الله ﷺ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً مِمَّا أَهْدَاهَا لَهُ دِحْيَةُ الْـكَلْبِيُّ، فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ: مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْـقُبْطِيَّةَ؟ قُلْتُ: كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ: مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً -وهي شعارٌ يلبس تحت الثوب- فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا[4].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٧٣)، وابن خزيمة (١٦٨٦)، والطبراني في «الكبير» (١٠١١٥)، وابن حبان (١٦٨٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦)]

(٢) **صحيح** : رواه أحمد (٢/ ٢٢٣)، والطبراني في «الأوسط» (٩٣٣١) واللفظ له، والحاكم (٨٣٤٦)، وابن حبان (٥٧٥٣)، [«جلباب المرأة المسلمة» (ص١٢٥)].

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٥٧)، [«جلباب المرأة المسلمة» (ص١٢٦)].

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٢٠٥)، والطبراني في «الكبير» (٣٧٦)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٣٤)، [«جلباب المرأة المسلمة» (ص١٣١)].

والحديث يدلُّ على أنهُ يجبُ على المرأة أن تسترَ بدنَها بثوبٍ لا يصفُه، فالمرأةُ التي تلبسُ البنطال متبرجةٌ لأن البنطالَ يصفُ ويحدِّدُ ويُجسِّمُ جسدَها.

الشرط الرابع: أن لا يكون زينةً في نفسه

لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.

ولقوله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ**» وذكر منهم ﷺ: «**وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ**»[1].

الشرط الخامسُ: أن لا يكون مُبَخَّراً ولا مطيباً

لقوله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، ثُمَّ خَرَجَتْ لِيُوجَدَ رِيحُهَا، فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**»[2].

ولقوله ﷺ: «**إِذَا خَرَجَتْ إِحْدَاكُنَّ إِلَى الْـمَسْجِدِ فَلَا تَقْرَبَنَّ طِيبًا**»[3].

الشرط السادس: أن لا يكونَ لباسَ شهرة

لقوله ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، ثُمَّ أَلْـهَبَ فِيهِ نَارًا**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٨) واللفظ له، والحاكم (٤١١)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٤٢)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٧٨٦)، والدارمي (٢٦٨٨)، وابن خزيمة (١٦٨١)، وابن حبان (٤٤٢٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٠١٩)].

(٣) **صحيح**: رواه النسائي (٥٢٦٢)، وأبو عوانة (١٤٤٩) واللفظ له، والطبراني في «الأوسط» (٨٧٢٧)، [«صحيح الجامع» (٥٠١)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (٣٦٠٧) واللفظ له، وأحمد (٢/ ٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٩٤٨٧)، وأبو يعلى (٥٦٩٨) كلهم دون: (ثُمَّ أَلْهَبَ فِيهِ نَارًا) [«صحيح الترغيب» (٢٠٨٩)].

الشرط السابع: أن لا يشبهَ لباسَ الرجال

عن أبي هريرة ﷺ قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْـمَرْأَةِ، وَالْـمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ)(١).

ولقوله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ، ولاَ مَنْ تَشَبَّهَ بِالنِّساءِ مِنَ الرِّجَالِ**»(٢).

وعن ابن عباس قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْـمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْـمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ)(٣).

الشرط الثامن: أن لا يشبهَ لباسَ الكافرات

لقوله ﷺ: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «**غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْـيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٠٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٠٩)، وابن حبان (٥٧٥٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٠٦٩)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٩٩)، والطبراني في «الكبير» (٤٣٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٢١)، [«صحيح الجامع» (٥٤٣٣)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٨٨٥).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٥٠)، وعبد بن حميد (٨٤٨)، والطبراني في «الكبير» (١٤١٠٩)، [«جلباب المرأة المسلمة» (ص٢٠٤)].

(٥) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٢٦١)، وأبو يعلى (٥٩٧٧)، والبزار (٧٩٤٢)، والطبراني في «الأوسط» (١٢٣٠)، وابن حبان (٥٤٧٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣٦)].

أيتُها المرأةُ التائبةُ من التبرجِ! أبشري بما يلي:

أولاً: بمحبة الله لك

فالله عزَّ وجلَّ يحِبُّ التائبين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

وإذا أحبَّ اللهُ عبدَهُ استجابَ له إذا دعاهُ، وغفرَ له إذا استغفرهُ، وأعطاهُ سُؤْلَهُ إذا سألهُ، وإذا أحبَّ اللهُ عَبدَهُ نادى جبريل: إني أُحبُّ فلاناً فأحبَّهُ، فيحبُّهُ جبريل، وينادي جبريلُ على أهل السماء: إن الله يحبُّ فلاناً فأحبوه، فيحبُّهُ أهلُ السماء، ثم توضَعُ محبتهُ في الأرض، وإذا أحبَّ اللهُ عبدَهُ لا يعذبهُ في النارِ.

قال ﷺ: «**وَاللهِ لَا يُلْقِي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ**»[1].

ثانياً: بمغفرة الذنوب وتبديل السيئات إلى حسنات

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

وقال ﷺ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»[2].

وَمِنْ كرم اللهِ وفضله على التائب أنه يُبدِّلُ سيئاتِهِ حسناتٍ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٠٤)، والحاكم (٧٣٤٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٤٠٧)].

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٠٦/ ٧٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٣/ ٣٩٨)، [«صحيح الجامع» (٦٨٠٣)].

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

ثالثاً: بدعاءِ الملائكةِ المقربين حملةِ العرشِ لكِ بالمغفرةِ والجنة

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر].

رابعاً: بالجنة والنعيم المقيم

وهل أُعدَّتِ الجنةُ إلا للتائبين إلى الله توبةً نصوحاً. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾. إلى أن قال رب العزة: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران].

٣٩

المعتزُ بغير الإسلام

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان].

مَوعدُنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع واحدٍ من المبشرين بالنار، ولكنْ لا يُخَلَّدُ فيها إن ماتَ على التوحيد.

أتدرون من هو يا عباد الله؟!

إنه: المعتزُّ بغيرِ الإسلامِ.

من اعتزَ بالإسلامِ وحده أعزَّهُ اللهُ وبُشرَ بالجنةَ، ومن اعتز بغيرِ الإسلامِ أذله الله وبُشرَ بالنار.

يقولُ أُبيُّ بنُ كعبٍ ﷺ: (انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ؛ فَمَنْ أَنْتَ؛ لَا أُمَّ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فلان -حتى عد تسعة- فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ فَقَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ابْنُ الْإِسْلَامِ**».

الله أكبر**!!** قال: أنا فلانُ ابنُ فلانٍ ذكرَ اسمَه واسمَ أبيه ثم انتسبَ إلى الإسلامِ**!**

أبي الإسـلامُ لاَ أبَ لِي سِـوَاهُ إذَا اعْتَـزُوا بقَـيْسٍ أو تمـيمِ**!**

قال ﷺ: «**فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى: أَنْ قُل لِهَذَيْنِ الْـمُنْتَسِبَيْنِ، أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْـمُنْتَمِي -أَوِ الْـمُنْتَسِبُ- إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ، فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْـمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الجنة، فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْـجَنَّةِ**»(١).

والناسُ قديماً وحديثاً يَحرِصونَ على طلبِ العزةِ وهي الشَّرفُ والرِّفعةُ والغَلَبةُ والـمَنَعَةُ، ولكنَّهم اختلفوا في طريقةِ الوصولِ إليها:

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة].

• فالكفارُ رَأَوْا أنَّ عزَّتَهم في اتخاذِهْم آلهةً غيرَ اللهِ من أوثانٍ وأشخاصٍ وأموالٍ ومناصبَ.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٢٨)، وعبد بن حميد (١٧٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٧٠)].

قالَ تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم].

وقالَ تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْأَخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص].

وقالَ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَاۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان].

فلما طلبَ الكُفّارُ العِزَّةَ من آلهتِهِمْ، أذلَّهُمُ اللهُ في الدُّنيا والآخرة.

قالَ تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة].

وقالَ تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج].

وقالَ تعالى مُوَبِّخًا للكافرِ الذي اعتزَّ بغيرِ الله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان].

• والـمنافقونَ مَرْضى القلوبِ طلَبوا العزةَ بمُوالاتهمْ للكفارِ.

• قالَ تعالى في وصفِ الـمُنافِقينَ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ -أي: أهلُ النِّفاق- ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ -أي: في موالاةِ الكفّارِ من اليهودِ والنَّصارى- ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

• واللهُ عزَّ وجلَّ أخبرَنا أن الـمنافقينَ بطلبِهمُ العِزَّةَ في موالاةِ الكفارِ، خَسِروا الدُّنيا والآخرةَ، وذلك هو الـخسرانُ الـمبينُ.

فقالَ تعالى لرسولِه ﷺ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

• وهذا عبدُالله بنُ أُبيٍّ بن سَلول زعيمُ الـمنافقينَ عندَما ابتغى العِزَّةَ بموالاتِهِ لكفارِ مكةَ، فأذلَّهُ اللهُ.

في غزوةِ بني الـمُصْطَلِقِ قالَ عبدُاللهِ بنُ سلولٍ: (لَئِنْ رَجَعْنَا إلى الـمدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ)[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٠١)، ومسلم (٢٧٧٢).

يعني -لعنه اللهُ- بالأعزِّ نفسَهُ، وبالأذلِّ رسولَ الله ﷺ ولما قفَلَ الناسُ راجعينَ إلى الـمدينةِ، وقفَ الصَّحابيُّ الـجليلُ عبدُالله بنُ عبدالله بن سلولٍ رضي الله عنه على بابِ الـمدينةِ واستلَّ سيفَهُ، فجعلَ الناسُ يَمُرُّونَ عليه، فلما جاءَ أبوهُ عبدُالله ابنُ أُبيِّ بنِ سَلولٍ قال له ابنُهُ: وراءَك! فقالَ: مالك؟ ويلَك!

فقال له ابنُهُ: واللهِ! لا تجوزُ مِنْ هاهنا -أي: لا تمرُّ- حتى يأذنَ لك رسولُ الله ﷺ، فإنّه ﷺ العزيزُ وأنتَ الذَّليلُ. وفي لفظٍ قال له: واللهِ! لا تدخلُ الـمدينةَ أبدًا حتى تقولَ: رسولُ الله ﷺ الأعزُّ وأنا الأذَلُّ.

فلما جاءَ رسولُ الله ﷺ -وكان إنما يَسيرُ ساقةً[(١)]- فشكا إليه عبدُالله بن أبيٍّ ابن سلولٍ ابنَهُ، فقال ابنُهُ عبدُالله رضي الله عنه: واللهِ! يا رسول اللهِ! لا يدخُلها حتى تأذَن له. فأذنَ لهُ رسولُ الله ﷺ.

فقالَ له ابنُهُ: أَمَا إذْ أذنَ لكَ رسولُ الله ﷺ فجُزِ الآن)[(٢)].

• أمَّا الـمؤمنونَ الصّادِقونَ الـموَحِّدونَ الذين رَضُوا باللهِ ربًّا وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولاً، عَلِموا وأيقنوا أنَّ العزةَ كُلَّها للهِ وبيدِ اللهِ، يُعطيها من يشاءُ من عبادِهِ، فطلبوها منَ اللهِ وحدَه.

قالَ تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

---

(١) ساقةً: أي خلف الـجيش يسوقه.

(٢) انظر: «ابن كثير» (٤/ ٤٩٢) عن محمد بن إسحاق.

وقالَ تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس:٦٥].

وقالَ تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر:١٠].

وقالَ تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) ﴾ [آل عمران].

كيفَ لا؟

واللهُ عزَّ وجلَّ هُوَ العزيزُ، فالعزيزُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ عزَّ وجلّ واسمٌ من أسمائِهِ الـحسنى.

قالَ تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [الـحشر].

• عِزّةٌ مقترنَةٌ بالحكمةِ

قالَ تعالى: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) ﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾ [آل عمران].

• عِزّةٌ مقترنةٌ بالرَّحمةِ

قالَ تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) ﴾ [الروم].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان].

• عِزَّةٌ مقترنةٌ بالقوةِ

قالَ تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

وقالَ تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

• عِزَّةٌ مقترنةٌ بالإنتقامِ

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم].

• عِزَّةٌ مقترنةٌ بالمغفرةِ

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر].

وقالَ تعالى: ﴿وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ [غافر].

• **عِزّةٌ مقترنةٌ بالحمدِ**

قالَ تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ].

وقالَ تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج].

فالعِزَّةُ للمؤمنِينَ وإن قُتِلُوا وحُرِّقُوا بأيدي الكافرين، والذِّلَّةُ للكافِرينَ وإن فَرِحُوا بقَتلِ وتحريقِ الـمؤمنِين.

• ففي غزوةِ أُحدٍ قَتَلَ الكفّارُ سَبعينَ صحابيًّا من خيرةِ الصَّحابةِ، ووقَفوا شامِتينَ في الـمسلِمِينَ، يقولُ زعيمُهم أبو سفيان: أُعْلُ هُبَلْ! فقال النبيُّ ﷺ لأصحابه: «**أجِيبُوهُ**» قالوا: ماذا نقولُ يا رسول الله!؟ قال: قولوا: «**اللهُ أعْلَى وأَجَلُّ**». قال أبو سفيان: لَنا العُزَّى ولا عُزّى لكم. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أجِيبُوهُ**» فقالُوا: مَاذَا نقولُ يا رسولَ الله؟ قال: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلاَنا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ**» قالَ أبو سفيان: يومٌ بيومِ بدرٍ والـحربُ سِجَالٌ.

قالَ عمرُ: (لا سواءٌ! قتلانا في الـجنةِ وقتلاكم في النّارِ)[1].

وَفي غزوةِ الأحزابِ أذلَّ اللهُ الكافرينَ، وأعزَّ اللهُ الـمؤمنين.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٣٩).

قالَ تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ [الأحزاب:٩].

وقالَ تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

وفي فتحِ مكَّةَ، دخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ بعشرةِ آلافِ مقاتلٍ ففتحَها بغيرِ قتالٍ، وأخذَ النَّبيُّ ﷺ بعصاهُ يكسِرُ الآلهةَ الـمزعومةَ التي اعتزَّ بها الكفارُ، وهو يقول ﷺ:

﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾﴾[الإسراء].

﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ].

نعَم والله! ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الـمنافقون].

• واعتزَّ سلفُنا الصّالـحُ؛ الصَّحابةُ ﷺ ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ بالإسلام، فأعزهمُ اللهُ بالإسلامِ، ومن الأمثلةِ على ذلك:

المثالُ الأول: عن طارقِ بنِ شهابٍ قال:

(خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَنَزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْـمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ! أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ

خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ[1]!

فقالَ عمر: أَوَّهْ! لَوْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللهُ)[2].

وفي روايةٍ لَهُ:

(يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ! تَلْقَاكَ الْجُنُودُ وَبَطَارِقَةُ الشَّامِ وَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ هَذَا؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّا قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ، فَلَنْ نَبْتَغِيَ الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ)[3].

الـمثال الثاني: عن أنسٍ رضي الله عنه قالَ: غابَ عَمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ رضي الله عنه عن قتالِ بدرٍ فقال: يا رسولَ الله! غِبتُ عَنْ أوّلِ قِتَالٍ قاتلتَ الـمشركينَ، لَئِنْ أشهدِني اللهُ قتالَ الـمشركينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ، فلَـمّا كانَ يومُ أُحُدٍ انكشفَ الـمسلمونَ فقال: اللهمَّ إنِّي أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ -يعني أصحابَه-، وأبرأُ إليكَ مِمّا صَنَعَ هؤلاءِ -يعني الـمشركين-، ثُمَّ تقدَّمَ فاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، فقال: يَا سعدَ ابنَ معاذٍ، الـجنّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ! إِنِّي أجِدُ رِيحَها من دونِ أُحُد.

فقالَ سعدُ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يا رسولَ الله! مَا صَنَعَ؟ قال أنسٌ: فوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وثمانينَ ضربةً بالسيفِ، أو طعنةً برمحٍ، أو رَمْيةً بسهمٍ. ووجدْناهُ قد قُتلَ، ومثَّلَ به الـمشركونَ، فما عرفهُ أحدٌ إلاّ أُختُهُ بِبَنانِهِ -إِصْبَعِه-.

---

(١) استشرفوك: أي رأوك على هذا الـحال وأنت أمير الـمؤمنين.

(٢) **صحيح موقوفاً**: رواه الحاكم (٢٠٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٩٣)].

(٣) **صحيح**: رواه الدينوري «المجالسة وجواهر العلم» (٤١٨)، وابن أبي شيبة (٣٣٨٤٧)، والحاكم (٢٠٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٢)].

قالَ أنسٌ: كنا نرى أو نَظُنُّ أنّ هذه الآية نزلَتْ فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب] (1).

المثال الثالث: عن أبي هريرةَ ﷺ قال: «بَعَثَ النبيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَان بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلاً نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ الـمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ فَتَبِعُوا آثارَهُمْ حتَّى لَحِقُوهُمْ، فَلَـمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ -رَابِيةٍ مُشْرِفَةٍ- وَجاءَ القَوْمُ فأحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمُ العَهْدُ وَالـمِيثَاقُ، إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا ألاَّ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلاً، فقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللهمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَقاتَلُوهم حتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ، ورَجُلٌ آخرُ، فأعْطُوهُم العَهْدَ وَالـمِيثَاقِ، فلَـمَّا أعْطُوهُمُ العهدَ والـميثاقَ، نزلوا إليهم، فَلَـمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ، حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الذي مَعْهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبُهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الـحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ الذي قَتَلَ الـحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّى إذا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، اسْتَعَارَ مُوسَى من بعضِ بَنَاتِ

---

(1) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

الـحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ، قالت: فَغَفِلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي، فَدَرَجَ إليهِ -أي فَمَشَى إِلِيْهِ- حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ على فَخِذِهِ، فلَـمَّا رأيتُهُ فَزِعت فَزْعَةً عَرَفَ ذَلِكَ مِني وفي يَدَهِ الـموسى، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ -إن شاء الله تعالَى-، وكَانتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ، وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالـحديدِ، وما كانَ إلاَّ رِزْقٌ رَزَقَهُ الله، فخَرَجُوا بهِ مِنَ الـحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فَقَال: دَعُوني أصلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهم فقال: لَوْلاَ أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الـمَوْتِ لَزِدْتُ، فكَانَ أولَ مَنْ سَنَّ الرّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ هُوَ.

ثم قال: اللهمَّ أَحْصِهِمْ[1] عَدَدًا، ثم قال:

وَلَـسْتُ أُبَـالِي حِـينَ أُقْتَـلُ مُـسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي الله مَـصْرَعِي

وذَلِـكَ في ذَاتِ الإِلَــهِ وإِنْ يَـشأْ ... يُبَارِك عَـلَى أَوْصَـالِ شِـلْوٍ مُمَـزَّعِ[2]

ثم قام إليهِ عُقْبَةُ بنُ الـحارثِ فَقَتَلَهُ[3].

فالـمُسلِمُ عزيزٌ بإسلامِه وإن قَتَلَهُ الكفارُ، والكافرُ ذليلٌ بكفرِهِ وإن تحَكّمَ في رقابِ الـمسلمين. فاحرص يا عبدَ الله على أن تموت على الإسلام الذي جاءَ به محمدٌ ﷺ، ولا تُبالِ حينَ تُقتَلُ مسلماً بأي طريقةٍ تُقْتلُ، وفي أيِّ مكانٍ تُرمى.

(١) أحْصِهِمْ عدداً: أي أهْلِكْهم بحيث لا تبقى من عددهم أحداً.

(٢) على أوصال شِلوٍ مُمَزَّعٍ: أي على أعضاء جسدٍ مُقَطّع.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٤٥).

أمة الإسلام! لقد أعزَّنا اللهُ بالإسلام، فلا عِزّةَ لنا إلا بهِ؛ أتدرون لمَ يا عبادَ الله؟

أولاً: لأنَّ الإسلامَ هو الدينُ الحقُّ الذي ارتضاه اللهُ ديناً للبشريةِ إلى أن يرثَ الأرضَ ومن عليها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

أفي شكٍّ أنتم يا أمةَ الإسلامِ من دينكم لتبحَثوا عن أسبابِ العزةِ في غيرِه؟!

واللهُ عز وجل يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

أي: خاسرُ الدنيا والآخرة، وذلكَ هو الخسرانُ المبينُ.

ثانياً: لأنَّ الإسلامَ هو دينُ الأنبياءِ جميعاً من لَدُنْ آدمَ إلى محمّدٍ ﷺ.

فهذا نوحٌ عليه السلام جاءَ قومَه بالإسلامِ وَأعلن أنه من المسلمين.

قال تعالى -على لسان نوح-: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس].

وهذا إبراهيمُ عليه السلام -أبو الأنبياء- جاءَ قومَه بالإسلامِ، وكانَ من المسلمين، كان حنيفاً مسلماً وما كانَ من المشركينَ.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة].

وهذا يوسفُ عليه السلام دعا ذلكَ الدعاءَ المعروفَ الذي طلبَ فيه منَ الله عز وجل أن يتوفاه على الإسلامِ فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

وهذا موسى عليه السلام جاءَ بالإسلامِ، وكانَ من المسلمينَ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس].

وهذا عيسى عليه السلام جاءَ بالإسلامِ، وكانَ من المسلمينَ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران].

وهذا محمّدٌ ﷺ خاتَمُ الأنبياءِ وسيدُ المرسلينَ جاءَ بالإسلامِ وكانَ خيرَ المسلمينَ وخيرَ الناسِ أجمعين.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر].

فالأنبياءُ جميعاً جاءوا بالإسلامِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال النبيُّ ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

ثالثاً: لأنَّ المستقبلَ للإسلامِ. والذي وعدَ بذلكَ هو اللهُ عز وجل في كتابِه، ورسولُنا ﷺ في سنتِه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾ [النور].

ورسولُنا الكريمُ ﷺ بَشَّرنا في سنتهِ أنَّ المستقبلَ للإسلامِ.

يقولُ خبَّابُ بنُ الأَرَتِّ رضي الله عنه: شَكَوْنا إلى رسولِ الله ﷺ وهو متوسِّدٌ بردةً له في ظلِّ الكعبةِ فقلنا: ألا تستنصرُ لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرّجُلُ فيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرضِ فيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوْضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشطُ بأَمْشَاطِ الحَديدِ، مَا دُونَ لَحمِهِ وعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأمرُ**» -أي: هذا الدين- «**حَتّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَموتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنّكُمْ تَسْتَعْجِلُون**»[1].

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٦٩٤٣).

وقال ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ والدِّينِ وَالرِّفْعَةِ وَالنّصرِ والتّمكينِ في الأَرض**»[1].

وقال ﷺ: «**إنَّ الله زَوَى لـيَ الأرْضَ**» -أي: ضمَّ لي الأرضَ- «**فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَها، وَإِنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»[2].

وقال ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأمرُ**» -أي: هذا الدين- «**مَا بَلَغَ اللَّيلُ وَالنَّهارُ، وَلا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ بِهِ الإسلامَ وَذُلاًّ يُذِلُّ بهِ الكُفْرَ** »[3].

وقال ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السّاعةُ حَتَّى يُقاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهم المُسلمونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ اليهُودِيُّ وَرَاءَ الحَجَرِ أو الشّجَرِ**» -وفي هذا دليل على جبنهم- «**فَيَقولُ الحَجرُ أَوْ الشّجرُ: يَا مُسْلمُ! يَا عبدَالله! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتعالَ فاقتُلْه إلا الغَرْقَدَ**[4]**، فَإِنّهُ مْن شَجَرِ اليَهُودِ**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٧٨٦٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٣٣٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، والحاكم (٨٣٢٦)، والطبراني في «الكبير» (١٢٨٠)، وفي «مسند الشاميين» (٩٥١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦١٥٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ١٨١)، [«السلسلة الصحيحة» (٣)].

(٤) **الغرقد**: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وقال أبو حنيفة الدينوري إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ له.

وقِفُوا معي هنا يا عبادَ الله! وتأملوا كيفَ أن الحجرَ والشجرَ ينادي ويقولُ: يا مسلمُ! يا عبدَالله! فهو لن يناديَ أتباعَ الوطنيةِ، ولا أنصارَ الحزبيَّةِ، إنما ينادي العبادَ الموحِّدين، يقول: يا مسلمُ! فَلْتعلموا أنَّ النصرَ والظهورَ والغلَبَةَ للإسلام، فاعتزوا بإسلامكم.

رابعاً: لأنَّ الإسلامَ وحدَه هو الذي يجمعُنا وهو الذي يوحِّدنا، وهو الذي يجعلُ الكلمةَ واحدةً والجماعةَ واحدةً والصفَّ واحداً، والهدفَ واحداً، الإسلامُ يُجمعُ ولا يُفرقُ، يجمعُ المسلمين الوحيُ ويفرّقُهم الفكرُ، يجمعهم الكتابُ والسنةُ ويفرّقُهم مناهجُ البشرِ غيرُ المعصومةِ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «**الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**الْـمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**»[(٢)].

فالقوةُ والمَنَعَةُ والوَحَدةُ لا تحصلُ إلا بالرجوعِ إلى الإسلامِ.

قال ﷺ: «**مَثَلُ الْـمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْـجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْـجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْـحُمَّى**»[(٣)].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥)واللفظ للبخاري.

(٣) **متفق عليه**:**رواه** البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

فالمودةُ والرحمةُ والتماسكُ والقوةُ والعزةُ، لا تكونُ إلا بالإسلامِ فقط، فالواجبُ على المسلمين في هذا الوقتِ وفي كُلِّ وقتٍ أن يتركوا المعاصيَ، وأن يتركوا البِدَعَ، وأن يبتعدوا عنِ الشركِ بالله عز وجل، وأن يعودوا إلى الإسلامِ عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً فقد بيّنَ لنا رسولُ الله ﷺ الداءَ والدواءَ.

فقال ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(1) أي: حتى تعودوا إلى الإسلام الذي جاءَ به محمّدٌ ﷺ، فيكونُ مرجعُكم الوحيدُ هو: القرآنُ والسنةُ، ويكونُ المنهجُ الذي تسلكونه هو منهجُ الصحابةِ رضي الله عنهم.

فهاهم الصحابةَ رضي الله عنهم اعتزوا بالإسلام فقط حتى في لحظات الشدة، فثبتهم اللهُ ونصرهم وزادهم إيماناً.

ففي غزوةِ أُحد عندما بعثَ الكفارُ تهديداً للمسلمين يخبرنا الله عز وجل فيقول: ﴿**ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾**﴾ [آل عمران].

---

(1) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٣١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٨)، [«صحيح الترغيب» (١٣٨٩)].

وفي غزوةِ الأحزاب، عندما جاء الأحزابُ من كل مكانٍ للقضاء على الإسلام والمسلمين في المدينة.

يقول الله عز وجل عن الصحابة رضي الله عنهم الذي اعتزوا بالإسلام: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

٤٠

إمامُ الضلالةِ

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه].

المبشرون بالنارِ قسمان:

القسم الأول: المبشرون بالنار ويخلدون فيها ولا يخرجون منها أبداً، كالكافرِ والمشرك شركاً أكبر.

القسم الثاني: المبشرون بالنارِ ولكن لا يخلدون فيها إن ماتوا على التوحيد.

وموعدُنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع واحدٍ من المبشرين بالنار، ولكن لا يخلدُ فيها إن مات على التوحيد.

أتدرون من هو يا عباد الله؟!

إنه: إمامُ الضلالةِ.

أتعرفونه يا أمة الإسلام؟!

إنهُ الذي يأمر بالمنكر وينهى عن المعروفِ.

يقول ﷺ عنه: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْـحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْـمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْـمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْـمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْـمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[1].

إمامُ الضلالة هو خطيبُ الفتن الذي يأمرُ الناسَ بالبرِّ وينسى نفسه، الذي يخالف بفعله قولَه.

يقول ﷺ في هذا الصنف من البشر: «**رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَنْ هؤلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ؛ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْـبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْـكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ**»[2].

وقال ﷺ فيهم أيضاً: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِقَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الْـخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، أَحْسَبُهُ قَالَ: الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٩٨)، ومسلم (٢٩٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣٩)، وابن حبان (٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٤٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٢٧)].

(٣) **صحيح**: رواه البزار (٧٢٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤٩٦٦)، [«صحيح الترغيب» (١٢٥)].

نقولُ لخطيب السوء، لإمام الضلالة:

يــا أيهــا الرجــلُ المعلــمُ غــيرَهُ	هــلا لنفــسكَ كــان ذا التعلــيمُ
تصفُ الدواءَ لذي السَّقامِ من الـضَّنا	كــيما يَــصِحَّ بــه وأنــتَ ســقيمُ
ابــدأْ بنفــسِكَ فانْهَهَــا عــن غيِّهــا	فــإذا انتهــتْ عنــه فأنــت حكــيمُ
لا تنْــهَ عــنْ خلــقٍ وتــأتيَ مثلَــهُ	عــارٌ عليــك إذا فعلــتَ عظــيمُ

أئمةُ الضلال دعاةٌ على أبواب جهنم.

قال حذيفةُ: يا رسول الله! وهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نَعَمْ! دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا؟ قَالَ:«**نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»(١).

وفي رواية: «**رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**»(٢).

يُخبرنا رسولُ الله ﷺ متى يظهرُ أئمةُ الضلالِ في الأمة فيقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(٣).

وأخبرنا ﷺ عن خطرِ أَئِمَّةِ الضلالِ على الأمةِ الإسلامية، يقولُ أبوذرٍ رضي الله عنه: كُنْتُ مُخَاصِرَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

عَلَى أُمَّتِي مِنْ الدَّجَّالِ» فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ شَيْءٍ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنْ الدَّجَّالِ؟ قَالَ: «**الْأَئِمَّةَ الْـمُضِلِّينَ**»[1].

فأئمةُ الضلالِ أخطرُ على الأمة من المسيح الدجال، وخطرهم يظهرُ من الفتنِ التي تنزلُ بالأمة، ومن القتل الذي يحدثُ في الأمة، ومن الضلالِ الذي ينتشرُ في الأمة.

وقد جمع رسولُ الله ﷺ بين قبض العلم وظهور الجهلِ والهرج، فقال ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ**» والهرج: القتل[2].

فإمامُ الضلالةِ خطرٌ على الأمةِ، وخطرٌ على الدين، ولذلك بُشِّرَ بالنارِ.

ما هي الجرائمُ التي ارتكبها إمامُ الضلالة حتى بُشِّرَ بالنارِ؟

أولاً: لأنهُ أجرم في حَقِّ نفسه.

ثانياً: لأنهُ أجرم في حَقِّ الناس.

ثالثاً: لأنهُ أجرم في حَقِّ الأمة الإسلاميةِ.

أولاً: إمامُ الضلالة مجرمٌ في حقِّ نفسه، وذلك:

أولاً: لأنه يَتَعَلَّمُ لِغَيْرِ اللهِ، فهو يريدُ بِعِلْمِهِ ا لدنيا الفانيةَ، يريدُ أَنْ يُشارُ إليه بالبَنانِ، يريدُ أن يَتَصَدَّرَ المجالسَ، ولذلك تراه هو الذي يُلَمَّعُ عَبْرَ القنواتِ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٤٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٩٨٩)] واللفظ لأحمد.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري(٧٠٢٦)، ومسلم (٢٦٧٢).

الفضائيةِ «الستالايت»، وهو الذي يُفْتي الناسَ، فتراه يُحَلِّلُ ما حَرَّمَ اللهُ ويُحَرِّمُ ما حَلَّلَ اللهُ، وَيُرْضي أذواقَ الناسِ ورغباتِهِمْ، فهو إنَّما أراد بعلمِهِ الدنيا، ولم يُرِدْ بِهِ وَجْهَ اللهِ فهو مجرِمٌ في حَقِّ نفسِهِ لأنه حَرَمَ نفسَه الجنةَ، وعَرَّضَ نفسَهُ لِسَخَطِ اللهِ.

يقولُ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1] أي: رِيحَهَا ، ويقول ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، وَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، أَدْخَلَهُ اللهُ جَهَنَّمَ**»[2]. وقد ضَرَبَ الله مثلاً في كتابِهِ للعالِمِ الضَّالِّ الذي يَتَعَلَّمُ علمَ الدين مِنْ أجلِ الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ -أي: أرادَ بعلمِهِ هذه الدنيا الفانيةَ- ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

ثانياً: العالِمُ المُضِلُّ مجرِمٌ في حَقِّ نَفْسِهِ، لأنه لم ينتفِعْ بهذا العلمِ الذي يحمِلُهُ فهو إنما تَعَلَّمَهُ للدنيا. وقد أخبَرَنا اللهُ عز وجل عن هؤلاءِ الذينَ يُعَلِّمونَ الناسَ،

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٢٥٢)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وأحمد (٢/ ٣٣٨)، وأبو يعلى (٦٣٧٣)، [«صحيح الترغيب» (١٠٥)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٢٦٠) عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط»(٥٧٠٨) عن أنس، [«صحيح الترغيب»(١١٠)].

ولكنهم لم يَنْفَعوا أَنْفُسَهُمْ بِعِلْمِهِمْ أنهم لا عقلَ لَهُمْ، فقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة].

ويقول ﷺ: «**مَثَلُ الْـعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْـخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ**»[1] .

وضربَ اللهُ مثلاً لهذا العالِمِ الضالِّ الذي لم ينتفِعْ بعِلْمِهِ فقال سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة] فَمَثَلُ العالِمِ الذي تَعَلَّمَ علمَ الدينِ ولم ينتفِعْ بهِ كمثل الحمارِ يحملُ الأسفارَ على ظَهْرِهِ، ولا ينتفِعُ بما فيها من علمٍ.

ثالثاً: العالِمُ المُضِلُّ مجرِمٌ في حَقِّ نَفْسِهِ، لأنه يخالفُ ما يقولُ: قال ﷺ عن هذا الصنف عندما ألقي في النار: «**بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْـمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْـمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[2].

ثانياً: إمامُ الضلالة مجرمٌ في حقِّ الناس:

لأنهُ يُفتي بغيرِ عِلْمٍ فَيُضَلِّلُ الناسَ، أما تسمعونَهُمْ وفي كُلِّ يومٍ يظهرُ أَحَدُهُمْ على الناسِ عَبْرَ القنواتِ الفضائيةِ فَيُفْتي لهم بِحِلِّ الرِّبا! ويُفْتي لهم بِحِلِّ الغناءِ والموسيقى! وَيُفْتي لهم بِحِلِّ النظرِ إلى المرأةِ الأجنبيةِ! وَيُفْتي لهم بِحِلِّ العملِ في

(١) **إسناد جيد**: رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣١٤)، والطبراني في «الكبير» (١٦٨١)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٧٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٩٨)، ومسلم (٢٩٨٩) .

البنوكِ الرِّبَوية! فهو يفتحُ أبوابَ الشَّرِّ على الأمةِ الإسلاميةِ وعلى الناسِ كُلِّهِمْ، فهو ضَالٌّ مُضِلٌّ للناسِ، وصدَق فيه قولُ النبيِّ ﷺ: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[1].

• والفتوى بِغَيْرِ علمٍ جريمةٌ، والقولُ على اللهِ بغيرِ علمٍ جريمةٌ شنعاءُ وذلك:

أولاً: لأَنَّ القَوْلَ على اللهِ بغيرِ عِلْمٍ حرامٌ، بل هُوَ مِنْ أصولِ المُحَرَّماتِ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

ثانياً: لأنَّ القَوْلَ على اللهِ بغيرِ علمٍ يكونُ باتباعِ أمرٍ منَ الشيطانِ، فالذي يُفْتي بغيرِ عِلْمٍ، ويُحِلُّ ما حَرَّمَ اللهُ قد اسْتَحْوَذَ عليه الشيطانُ وعصى الرحمنَ، يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة]. مَنِ الذي يَأْمُرُكَ أن تقولَ على الله بغيرِ علمٍ؟ مَنِ الذي يَدْفَعُكَ أن تتكلَّمَ وتُفتي بغير علمٍ؟ إنه الشيطانُ؟

ثالثاً: لأنَّ القولَ على اللهِ بغيرِ علمٍ ظُلْمٌ مِنْ أَعْظَمِ أنواعِ الظلمِ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

رابعاً: لأَنَّ القَوْلَ على اللهِ بغيرِ علمٍ إثمٌ ووزرٌ يحمِلُهُ المُفْتي على ظهرِه، ويحمِلُ أوزارَ مَنْ أَضَلَّهمُ يومَ القيامةِ، قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل]، واللهُ عز وجل في كتابِهِ حَذَّرَ مِنَ الفتوى بغيرِ علمٍ، وحَذَّرَ منَ القولِ على الله بغيرِ علمٍ، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يونس]، نقولُ لهذا العالِمِ الضَّالِّ المُضِلِّ: آللهُ أذِنَ لكَ؟ ما هوَ دليلُكَ على هذا الذي أَحْلَلْتَهُ للناسِ؟

• أَنسيَ هؤلاءِ الذين يُفتونَ الناسَ بغيرِ علمٍ ماذا سَيَفْعَلُ اللهُ بهم يومَ القيامةِ؟! لَقَدْ أَخْبَرَنا اللهُ عز وجل في كتابِهِ أنه سَيُسَوِّد وجوهَهُمْ يومَ القيامةِ، قالَ تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزُّمَر]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل].

ورسولُنا ﷺ كذلكَ يُحَذِّرُ مِنَ القولِ على الله بغيرِ علمٍ، وَيُحَذِّرُ مَنَ الفَتْوى بغيرِ علمٍ، يُخْبِرُنا جابر رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا فِى سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِى رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِى التَّيَمُّمِ؟

فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْـمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْـعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ**»[(1)] .

الفتوى بغيرِ علمٍ تَقْتُلُ، الفتوى بغيرِ علمٍ تَضُرُّ، وكَمْ من إنسانٍ قُتِلَ بسببِ فتوى من عالمٍ مُضِل؟! **وَكَمْ من إنسانٍ تَوَرَّطَ في أكلِ الربا بسببِ ما يقرأُ وما يَسْمعُ عَبرْ «الستالايت» من علماءِ السوءِ الذين يُفْتونَ بِأَنَّ الرِّبا حَلالاً!** وَكَمْ من إنسانٍ وَقَعَ في الزنا بسببِ ما سَمِعَ مِنَ الغناءِ الذي جَعَلَهُ علماءُ السوءِ حلالٌ؟! كما أَفْتَوا بِأَنَّ الاختلاطَ والتبرجَ حلالٌ فانتشَرَ بسببِ فتواهُمْ هذهِ الزنا؟! «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ** ، لقد قالَ ﷺ: «**أَلاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْـعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ** . وقال ﷺ: «**مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ، وَمَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِي غَيْرِهِ فَقَدْ خَانَهُ**»[(2)] .

• والصحابةُ ﭫ كانوا يخافونَ من الفتوى، ومِنَ القولِ على اللهِ بغيرِ علمٍ، يقولُ ابنُ مسعودٍ ﭬ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا اللهَ، مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَسلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ: لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللهُ

---

(١) **حسن لغيره**: رواه أبو داود (٣٣٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١/ ٢٢٧)، والدارقطني (٧٢٩)، [«المشكاة» (٦)] عن جابر، وهو **صحيح**: رواه ابن ماجه (٥٧٢)، وأبو داود (٣٣٧)، وأحمد (١/ ٣٣٠)، والدارمي (٧٧٩)، وأبو يعلى (٢٤٢٠)، وابن حبان (١٣١٤)، والطبراني في «الكبير» (١١٤٧٢)، [«صحيح الجامع» (٤٣٦٣)] عن ابن عباس.

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٣٦٥٧)، والحاكم (٣٥٠)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١١٦)، [«صحيح الجامع» (٦٠٦٨)].

أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص])[1].

• وسُئِلَ أحدُهُمْ سُؤالاً فقال: لا أَعْلَمُ. فقيلَ له: ألا تستحْيي أَنْ تقولَ لا أعلمُ؟ قال: لكنَّ الملائكةَ لم تستحِ حينَ قالَتْ: ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢][2].

• وهذا ابنُ عُمَرَ سُئِلَ يوماً عَنْ مسألَةٍ فقالَ: لا أعلَمُ، ثُمَّ خَرَجَ فَرِحاً يَفْرُكُ يَدَيْهِ ويقول: سُئِلَ ابنُ عُمَرَ فقال: (لا أعلَمُ). نعم، فَرِحَ لأنه انتصَرَ على نفسِهِ، لأنَّ الشيطانَ يأمُرُكَ ويدفَعُكَ لنفيِ الجَهْلِ عن نَفْسِكَ، والنفسُ الأمارةُ بالسوءِ أيضاً تَدْفَعُكَ إلى أن تُفْتيَ بغيرِ علمٍ، فإذا انتَصَرْتَ على شيطانِكَ وعلى نفسِكَ، وقُلْتَ فيما لا تَعْلَمُ: اللهُ أعلم، كانَ ذلكَ خيراً لك عند رَبِّكَ.

أما الذين يُفْتُونَ بغيرِ عِلمٍ، ويُحِلُّونَ ما حَرَّمَ الله في كُلِّ يومٍ، حتى خرجوا على الناسِ بدينٍ جديدٍ، ليسَ فيه مِنَ الإسلامِ إلا الاسمُ فأولئكَ نقولُ لَهُمْ: يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين].

أَيُّها العالِمُ المُضِلُّ، هَلْ تَشُكُّ بأنكَ سَتَقِفُ بينَ يَدَيِ الله عز وجل؟ ويسألُك عن عِلْمِكَ وعَنْ فتواكَ؟! اتقِ اللهَ أيها العالِمُ المُضِلُّ! وقبلَ أَنْ تُفْتِيَ في مسألةٍ ما،

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٩٨).

(٢) أورده ابن عبد البر في «جامع البيان وفضله» (١٥٥٧) عن الشعبي.

إِعْرِضْ نَفْسَكَ وفتواكَ على الجَنَّةِ والنارِ، فإن وَجَدْتَ الفتوى تُقَرِّبُكَ من الجنةِ فتكلم، وإنْ وَجَدْتَ الفتوى تُقَرِّبُكَ مِنْ سَخَطِ الله والنارِ فَأَمْسِكْ وقل: اللهُ أعلَمُ.

ثالثاً: إمام الضلالةِ مجرمٌ في حقِّ الأمة

لأنه يفتحُ أبوابَ الشَّرِّ على مِصْراعَيْها على الأمةِ بفتاويهِ المخالِفَةِ للكتابِ والسنةِ.

وبالمثالِ يتضحُ البيانُ:

الله سبحانه وتعالى حَرَّمَ الشركَ، وأَخْبَرَنا أنه يَغْفِرُ الذنوبَ جميعاً عدا الشركَ، وحَرَّم اللهُ عز وجل سلوكَ الطرقِ التي توصِلُ إلى الشركِ، وأغلَقَ الإسلامُ الأبوابَ التي مِنْ خلالِها يَصِلُ الناسُ إلى الشركِ، فَحَرَّمَ الإسلامُ أَنْ تَحْلِفَ بغيرِ الله، وَحَرَّمَ الإسلامُ أن تذبَحَ لغيرِ الله، وحَرَّمَ الإسلامُ أن تذهبَ إلى العرافينَ والسَّحَرَةِ والكَهَنَةِ، وحَرَّمَ الإسلامُ أن تطوفَ بغيرِ الكعبةِ، وَحَرَّمَ الإسلامُ أن تطوفَ بقبورِ الأولياءِ والصالحينَ، وَحَرَّمَ الإسلامُ أن تتوسَّلَ بالأمواتِ إلى الله. كُلُّ ذلكَ حتى لا تَصِلَ إلى الشركِ الأكبرِ وَتَتَورَّطَ فيه، ومَعَ ذلكَ يأْتي هذا العالِمُ الضَّالُّ، ويفتحُ هذه الأبوابَ على مِصْراعَيها، فيُحِلُّ للناسِ أن يَذْهَبوا إلى السَّحَرَة والدجالين ويقولُ: لا بأسَ: فيُحِلُّ للناسِ أن يَتَوسَّلوا بالأمواتِ إلى الله، ويُحِلُّ للناسِ أن يَذْبَحوا للأولياءِ والصالحينَ، وأن يَحْلفوا بغيرِ اللهِ وهكذا أوقَعَ الناسَ في الشِّرْكِ.

مثال آخر:

حَرَّمَ اللهُ عز وجل الزنا، وحَرَّمَ أن نقتربَ منه، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء]. فَحَرَّمَ اللهُ سلوكَ الطرقِ التي توصِلُ

إلى الزنا، وأغلَقَ الأبوابَ التي تؤدي إليهِ، فجاءَ الإسلامُ يُحَرِّمُ النظَر إلى المرأةِ الأجنبيةِ، ويُحَرِّمُ الخَلْوَةَ بالمرأةِ الأجنبيةِ، ويُحَرِّمُ التبرُّجَ، ويُحَرِّمُ مصافَحَةَ المرأةِ الأجنبيةِ، وَيُحَرِّمُ على المرأةِ أن تَتَزَيَّنَ وهي تَخْرُجُ إلى الشارعِ، وحَرَّمَ على المرأةِ أيضاً أن تَتَعَطَّرَ وتخرُجَ فَتَمُرَّ بالرجالِ، كُلُّ ذلكَ حتى لا يقَعَ الزنا، ثُمَّ يأتي هذا العالِمُ الضَّالُّ ويَفْتَحُ هذه الأبوابَ على مِصْراعَيها فيقول: لا مانعَ للشابِّ أن يَدْرُسَ وَيَجْلِسَ بجوارِ الفتاةِ في الجامعةِ،فَأَحَلَّ الاختلاطَ الذي حَرَّمَهُ الإسلامُ!! ويقولُ أحدُهُمْ: لا مانِعَ للرجلِ أَنْ ينظرَ إلى المَرْأَةِ الجميلةِ في الشارِعِ لِيَتَفَكَّرَ من خلالِها في خَلْقِ الله، ولا مانعَ من النظرِ إلى صورِ النساءِ!!

انظروا يا عبادَ الله! كيفَ أَفْتى بجوازِ النظرِ إلى المرأةِ الأجنبيةِ ثم قالَ: لا مانِعَ للمرأةِ أن تَتَزَيَّنَ وتَخْرُجَ إلى الشارعِ بِشَرْطِ أن تُغَطِّيَ شَعْرَها!! وقالوا: لا مانعَ من شراءِ آلاتِ الغناءِ والموسيقى فلا دليلَ على تحريمِها!! مَعَ أَنَّ الغناءَ والموسيقى بريدُ الزنا فهم بذلك فَتَحُوا أبوابَ الشَّرِّ على مِصْراعَيها، ووقعَ كثيرٌ من الناسِ في الزنا بسببِ فتوى هذا العالِمِ الضَّالِّ.

ومثالٌ آخر: الربا حَرَّمَهُ اللهُ وأَعْلَنَ الحربَ على فاعِلِه، ولا يوجَدُ في كتابِ الله إعلانٌ للحَرْبِ مِنَ الله عز وجل على عاصٍ مِنَ العُصاةِ إلا على آكل الربا، ولَعَنَ الإسلامُ آكلَ الربا وموكِلَهُ وشاهِدَيْهِ ومَنِ اقتَرَبَ منه، ومَع ذلكَ يَخْرُجُ هذا العالِمُ الجاهلُ عَبْرَ القنواتِ الفضائيةِ على الناسِ وَيُفْتي بجوازِ أكلِ الرِّبا، وجوازِ التعاملِ مَعَ البنوكِ الرِّبَويةِ، وجوازِ العملِ وَوَضْعِ الأَموالِ في البنوكِ الرِّبَويةِ، فهو ضَالٌّ مُضِلٌّ للناس، ومنكم مَنْ وَقَعَ وَتَوَرَّطَ في الربا بسببِ هذه الفتاوى، ثم ندمَ في وقتٍ لا يَنْفَعُ فيه الندمُ، وقد حَذَّرْتُكُمْ سابقاً واللهُ سبحانه وتعالى يشهدُ على ذلكَ.

ومثالُ آخَرُ:

الخمرُ حَرَّمَها الله، ولَعَنَ شارِبَها، وحامِلَها، وعاصِرَها، والمحمولَة إليه، وَكُلُّ مَنِ اقترَبَ من الخمرِ فهو ملعونٌ، ومَعَ ذلكَ نرى إنساناً مِمَّنْ يَدَّعونَ العلمَ يفتي الناسَ بحرمةِ شُرْبِ الخمرِ فقط، وبأنه لا مانعَ مِنْ أَنْ تَحْمِلَها، ولا مانعَ أن تبيعَها، ولا مانِعَ أن تَصنَعَها، ولكن لا تشرَبْها! ولا أدري مِنْ أينَ جاءوا بهذه الفتوى الضالةِ؟! نقولُ: إنما هذا هو الجهلُ المتراكِبُ بعضُه فوقَ بعضٍ، أَظنَّ هذا الجاهلُ أنه لن يخرُجَ من هذه الدنيا، وأنه لن يَرْجِعَ إلى اللهِ، وأنه لن يقِفَ بين يَدي اللهِ؟؟! لا واللهِ، إنَّ النار تُسَعَّرُ، وأولُ ما تُسَعَّرُ بعالمٍ، كانَ قد ابتغى بعلمِه هذه الدنيا الفانيةَ، نعم، فأولُ ما تُسَعَّرُ به جَهَنَّمُ عالمٌ يُؤْتى به، فيقفُ بينَ يَدَي اللهِ فَيُقَرِّرُهُ بِنِعَمِهِ عليه، وبنعمةِ العلمِ فيقولُ له: عبدي! ماذا عَمِلْتَ بهذا العلم؟ فيقول: يا رَبِّ تعلمتُ وعَلَّمْتُ الناسَ ابتغاءَ وَجْهِكَ، فيقول له: كَذَبْتَ؛ إنما تَعَلَّمْتَ وَعَلَّمْتَ ليقالَ عنك عالم، ليقالَ عنك قارئٌ، لِيُشارَ إليك بالبَنانِ، لِتَلْمَعَ عبرَ القنواتِ الفضائيةِ، وتأخُذَ على ذلكَ أموالاً – وقد قيل، فيقول: خذوه على وجهِهِ إلى نارِ جَهَنَّمَ[1].

اللهمَّ قد بَلَّغتُ! اللهُمَّ فاشَهْدَ!

اللهمَّ رُدَّ المسلمينَ إلى دينكَ رداً جميلاً

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم (١٩٠٥).

الفهارس العامة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثار
- فهرس الفوائد
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الآية	رقمها	رقم الصفحة

سورة الفاتحة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة محمد

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة الطلاق

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة البلد

سورة الليل

سورة الضحى

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الفوائد

الفائدة **الصفحة**

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

كتبٌ صدرت للمؤلف:

١- العقيدةُ أولاً لو كانوا يعلمون	٤ مجلدات
٢- أحسن البيان (طبعة جديدة)	مجلد واحد
٣- الدعاء النافع (طبعة جديدة)	مجلد واحد
٤- سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام(طبعة جديدة)	مجلد واحد
٥- الصحابة رضي الله عنهم(طبعة جديدة)	مجلد واحد
٦- تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام(طبعة جديدة)	مجلد واحد
٧- حياة السعداء	مجلد واحد
٨- الفرقان من قصص القرآن	مجلد واحد
٩- البيان من قصص القرآن	مجلد واحد
١٠- البرهان من قصص القرآن	مجلد واحد
١١- ثمرات السيرة النبوية	مجلد واحد
١٢- البشارات النبوية	مجلد واحد
١٣- المبشرون بالجنة	مجلد واحد
١٤- السبيل في فقه الدعوة	مجلدان
١٥- وسائل الثبات عل الدين	مجلد واحد
١٦- محبة علي بن أبي طالب بين الغلو والجفاء	غلاف
١٧- صيحة نذير (جديد)	غلاف
١٨- الحصن الحصين (جديد)	غلاف
١٩- الشيطان العدو المبين (جديد)	مجلد واحد
٢٠- وبشر الصابرين (جديد)	مجلد واحد
٢١- كيف تواجه الفتن	مجلد واحد
٢٢- المبشرون بالنار	مجلد واحد